أبو الشهداء

الحسين بن علي

عباس محمود العقاد

تحقيق

محمد جاسم الساعدي

أبو الشهداء

الحسين بن علي

عبّاس محمود العقّاد

تحقيق

محمّد جاسم الساعدي

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net < رابط بديل

عقاد، عباس محمود، ۱۸۸۹ - ۱۹۶۴ .
Aqqad , Abbas Mahmud
ابو الشهداء الحسین بن علی/ عباس محمود العقاد؛ تحقیق محمدجاسم الساعدی. - تهران:
المجمع العالمی للتقریب بین المذاهب الاسلامیه، مدیریت النشر و المطبوعات،
۱۴۲۵ق=۲۰۰۴م=۱۳۸۲.
۴۳۲ ص.
ISBN: 964 - 7994 - 38 - 9 ۲۵۰۰۰ ریال

فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
این کتاب توسط شریف الرضی، ۱۳۷۲ با عنوان «الحسین ابوالشهداء» منتشر شده است.
عربی.
کتابنامه: ص [۳۸۷] - ۴۲۸؛ همچنین به صورت زیرنویس.
۱. واقعه کربلا، ۶۱ق. ۲. حسین بن علی(ع)، امام سوم، ۴- ۶۱ق. الف. ساعدی، محمد جاسم. ب
. مجمع جهانی تقریب مذاهب اسلامی. مدیریت انتشارات و مطبوعات محقق. ج. عنوان. د.
عنوان: الحسین ابوالشهداء.
BP ۴۱/۵/ ۲ع ۵ ۲۹۷/۹۵۳۴
۱۳۸۲
کتابخانه ملی ایران ۳۵۹۱۴ - ۸۲م

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

اسم الكتاب:	ابوالشهداء الحسين بن علي(ع)
المؤلف:	عباس محمود العقاد
المحقق:	محمد جاسم الساعدي
الناشر:	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ مديرية النشر والمطبوعات
الطبعة:	الاولى - ١٤٢٥ هـ.ق ٢٠٠٤ م
الكمية:	٢٠٠٠ نسخة
السعر:	٢٥٠٠ تومان
المطبعة:	فجر الاسلام
ردمك:	٩ - ٣٨ - ٧٩٩٤ - ٩٦٤ ISBN: 964 - 7994 - 38 - 9
العنوان:	الجمهورية الاسلامية في ايران ـ طهران ـ ص. ب: ٦٩٩٥ ـ ١٥٨٧٥
	تلفكس: ١٤ - ٨٣٢١٤١١ - ٢١ - ٠٠٩٨

جميع الحقوق محفوظة للناشر

بسم الله الرّحمن الرّحيم

المقدّمة

لم تزل المكتبة الإسلامية تحتفظ بين رفوفها النضيدة بكتب ومؤلّفات تتعرّض لسيرة ومناقب أهل بيت النبيﷺ، قد أخذت موقع الصدارة عند القرّاء المسلمين، وليس ذلك إلّا لمساهمتها الواعية في ضخّ الأوساط المثقّفة بمواد وموضوعات علمية وتاريخية متنوعة، فأثرت في تعزيز وتعميق الوشائج بين الناس وأهل البيت، وردم كلّ هوّة قد تصنعها أساليب الجهل والتخلّف والخرافة.

وهذا الموقع المشرق لم تكن لتشغله هذه الكتب لولا ما امتازت به من موضوعية وصدق وتجرّد أصحابها عن كلّ الأهواء والميول المنحرفة، وممّا زادها اشراقاً ونبضاً بالحياة أن صدرت عن أقلام أقلّ ما يوصف بحقّها: بالبراعة، والمكانة الطيّبة في عالم الأدب والتاريخ، والنزاهة في العرض والبيان والتفسير، فأكسبتها تقديراً واحتراماً جمّاً في الوسط الثقافي، وشهرةً في العالم الإسلامي برمّته.

ولعلّ من أبرزها: هذا الكتاب الذي أهوى القارئ النبيل دفّتيه بين يديه، والذي يحمل عنوان: «أبو الشهداء الحسين بن علي» للكتاب الكبير المرحوم الأستاذ عباس محمود العقّاد، الذي لم يبخل بما عنده في أن يتحف المكتبة العربية والإسلامية بمجموعة كتب رائعة وقيّمة، لدرجة أن جذبت اهتمام مثقفي العالم برمّته، اتّسمت بالأدب البليغ، والبراعة في البيان، والشفافية في العرض.

وهذا الكتاب فوق ما يشتمل على خصائص، فهو يجمع بين الحداثة والقدم في الوقت نفسه، لتضافرا ـ رغم تنافرهما ـ فأثمرا فائدة بالغة الأهمية. فوجه القدم فيه يتمثّل في مادّته التاريخية، وموضوعه الذي استفاض الحديث عنه وهو الحديث عن سيرة وحياة سيد الشهداء، سبط النبي الأكرمﷺ: الحسين بن علي.

وأمّا وجه الحداثة فيه فيكمن في القضايا والنكات المثارة فيه، فهو يعالج قضايا حيوية عديدة ترتبط بالإمام السبط والظروف التي كانت تحيط به، وبكربلاء وبعاشوراء ومن عدّة زوايا، وهي نوع من القضايا المتجدّدة بطبيعتها، التي تلهم

نخبة الأُمة بالدروس والعبر ، والتي لا تزال في حاجة ملحّة إلى جهد من الباحثين والمحقّقين لأجل كشف المزيد من جوانبها أكاديمياً وتطبيقياً .

ولهذا كلّه ، وما يحويه من أفكار تقريبية جادّة تجدر مطالعتها ، فقد وجّه المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ كما هو ديدنه ـ اهتمامه نحوه ، فبادر مركزه العلمي الى العناية بطبعه ونشره في حلّة جديدة ، ومزيّن بتحقيق وافٍ يتناسب مع أهمية هذا الكتاب ومكانة كاتبه .

وفي الوقت الذي نثمّن للمحقّق الكريم ما أبداه من مساعدة وعون في سبيل تحقيق هذا الهدف ، وتحمّله مشقّة هذه المسؤولية ، فإنّنا ندعو كلّ الأقلام المخلصة إلى تبنّي مثل هذه المشاريع التي تصبّ في سياق تعزيز الوحدة والأُخوّة بين المسلمين ، ونبذ الخلاف والفُرقة في هذه الأُمة المرحومة .

مركز التحقيقات والدراسات العلميّة
التابع للمجمع العالمي
للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة

الإهداء

إلــى المرأة التي لا يعلو حبّها حبٌّ .

إلــى الينبوع الذي لا ينضب من محبّة وتفان ونبل .

إلــى التي تعطي ولا تأخذ وتقدّم وتقدّم وتقدّم لا منّاً تبغي ولا بدلاً تنتظر .

إلــى التي شهدت بإكبار صبرها في شدائد غربة وتربيتها أولادها في ضنك معيشة ومساندتها زوجها في برٍّ ورضاً وطوعيّة .

إلــى التي زرعت في قلبي حبّ النـاس والتـمسّك بـالمثل والجـلَد عـلى الشدائد .

إلــى التي أورثتني العَبرة وعميق العاطفة وصادق التأثر .

إلــى أمّـــي (رحمها الله) .

هذا العطاء القليل

رمز تقديـر

وبعض وفاء

لعطائها الكثيـر الكثيـر

معمر

مقدّمة التحقيق

تصدير

بسم الله الرحمٰن الرحيم

والصلاة والسلام علىٰ سيّد المرسلين وأهل بيته الطاهرين وصحبه المنتجبين إلىٰ قيام يوم الدين .

لا يخفىٰ على القارئ الكريم أنّ رفعة وقدر كلّ كتاب بشرف موضوعه ومقام مؤلّفه ودقّته العلميّة في مصنّفاته، ونجد هاتين الصفتين متوفّرتين في هذا الكتاب القيّم (الحسين بن علي)، فموضوعه حول شخصيّة من الشخصيّات التي قلّما يجود التأريخ بمثلها زماناً ومكاناً والتي كتبت تأريخها بدمائها الخالدة في صفحات مشرقة مفعمة بالحبّ والشجاعة والتضحية في سبيل المبدأ والدين القويم، ومؤلّفه من جملة المؤلّفين المعروفين بالدقّة والإنصاف، ومن الذين خدموا اللغة والأدب في عصرنا الحديث .

وسوف أتعرّض إلى ما يتعلّق بالمترجم والمترجم له في الصفحات القادمة من هذا الكتاب علىٰ سنّة التحقيق الجارية في زماننا هذا. مع العلم بأنّي سوف أتعرّض لبعض الجوانب التي أهملها أو اقتضبها الأُستاذ العقّاد في كتابه هذا عن الحسين ﷺ ، فنسأل الله سبحانه وتعالىٰ العون والتوفيق في هذا المجال .

الإمام الحسين بن علي عليه السلام

- اسمه وكنيته ولقبه ونسبه .
- أُسرته .
- ولادته .
- نقش خاتمه وبوّابه وشاعره .
- روايته .
- شعره .
- خطبه .
- أدعيته .
- ثورته .
- نبذة من حكمه .
- قبس من فضائله .
- استشهاده ومدفنه .
- مراثيه .
- إقامة العزاء والبكاء عليه .
- ما قيل عنه وعن ثورته .
- ما أُلّف حوله وحول ثورته .

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه

أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطّلب ابن هاشم الهاشمي القرشي[١].

(١) على سبيل المثال لا الحصر راجع ترجمة الإمام الحسين عليه السلام في الكتب التالية: جمهرة النسب للكلبي ٣٠ و٧٧ و١١٦ و٢١٦، طبقات خليفة ٣٠ و٢٣١ و٤٠٣ ـ ٤٠٤، التاريخ الكبير ٢: ٣٨١، تاريخ المدينة المنوّرة ٣: ٧٩٨، المعارف ١٢٤، تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٤١ ـ ٢٤٧، الذرّية الطاهرة ١١٩ ـ ١٢١، الجرح والتعديل ٣: ٥٥، مروج الذهب ٣: ٦٤ ـ ٧٤، الثقات لابن حبّان ٣: ٦٨ ـ ٦٩، مقاتل الطالبيين ٥١ ـ ٨١، المعجم الكبير ٣: ٩٤ ـ ١٣٦، المستدرك على الصحيحين ٣: ١٩٤ ـ ١٩٨، الإرشاد ٢: ٢٧ ـ ١٣٥، حلية الأولياء ٢: ٣٩، الاستيعاب ١: ٤٤٢ ـ ٤٤٧، تاريخ بغداد ١: ١٤١ ـ ١٤٤، البدء والتاريخ ٦: ١٠ ـ ١٣، تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١١١ ـ ٢٦٠، المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٦٧ ـ ٤٠٢ و٤: ٤٦ ـ ١٢٨، صفوة الصفوة ١: ٧٦٢ ـ ٧٦٤، المنتظم ٥: ٣٢٢ ـ ٣٢٩ و٣٣٥ ـ ٣٤٩، أُسد الغابة ٢: ١٨ ـ ٢٣، مطالب السؤول ٢: ٤٩ ـ ٨١، تذكرة الخواص ٢٣٢ ـ ٢٨٤، كشف الغمّة ٢: ٢١٥ ـ ٢٨٥، الدرّ النظيم ٥٢٥ ـ ٥٧٥، تهذيب الكمال ٦: ٣٩٦ ـ ٤٤٩، تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات ٦١ هـ ـ ٨٠ هـ) ٩٣ ـ ١٠٨، سير أعلام النبلاء ٣: ٢٨٠ ـ ٣٢١، العبر ١: ٦٥، الكاشف ١: ٢٣٢، البداية والنهاية ٨: ١٤٩ ـ ٢١١، مرآة الجنان ١: ١٣١ ـ ١٣٧، مجمع الزوائد ٩: ١٧٩ ـ ٢٠١، العقد الثمين ٣: ٤٢٥ ـ ٤٢٦، الإصابة ٢: ١٤ ـ ١٧، تقريب التهذيب ١: ٢١٦، تهذيب التهذيب ٢: ٢٩٩ ـ ٣٠٨، الصراط المستقيم ٢: ١٦١ و١٧٨ ـ ١٨٠، تاريخ الخلفاء للسيوطي ٢٠٦ ـ ٢٠٨، الأئمّة الاثنا عشر لابن طولون ٧١ ـ ٧٢، شذرات الذهب ١: ٦٦ ـ ٦٩، سمط النجوم العوالي ٣: ١٦١ ـ ١٩٨، العوالم للبحراني (الجزء

←

ثالث أئمّة أهل البيت الطاهر وثاني السبطين وسيّد شباب أهل الجنّة وريحانة المصطفىٰ وأحد الخمسة أصحاب العبا .

له ألقاب كثيرة منها : الرشيد ، والوفي ، والسيّد الزكي ، والمبارك ، والتابع لمرضاة الله ، والدليل علىٰ ذات الله ، والسبط ، وسيّد شباب أهل الجنّة[1] .

أُسرته

أُسرة الحسين عليه‌السلام من أجداده وجدّاته وأبيه وأُمّه وأُخوته وأخواته وأعمامه وأخواله وعمّاته وخالاته وبني أخيه وبني عمّه خيرة أهل الأرض وفاءً وإباءً وشجاعة وإقداماً وشرف نفس وكرم طباع ، أمسىٰ ذكرهم حيّاً مدى الأحقاب والدهور مالئاً المشارق والمغارب ، ونقشوا علىٰ صفحات الأيام سطور مدح لا تمحىٰ وإن طال العهد .

فجدّه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وجدّته خديجة الكبرىٰ وعمّه جعفر الطيّار وعمّته أُمّ هانئ وخاله إبراهيم بن محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله وخالته زينب وأبوه أمير

← المختصّ بالحسين عليه‌السلام) ، ينابيع المودّة ١ : ١٦١ ـ ١٦٦ و٢ : ١٤٢ ـ ١٨٠ و٣ : ٢ ـ ٥ ، تهذيب تاريخ مدينة دمشق ٤ : ٣١٤ ـ ٣٤٦ ، أعيان الشيعة ١ : ٥٧٨ ـ ٦٢٩ ، أدب الطفّ ١ : ٤٢ ـ ٤٨ ، فضائل الخمسة من الصحاح الستّة ٣ : ٢٠٣ ـ ٢٧٨ و ٣١٠ ـ ٣٨٧ ، الأعلام للزركلي ٢ : ٢٤٣ ، دائرة المعارف الشيعيّة العامّة ٨ : ٢٤٤ ـ ٣٠١ ، موسوعة المورد ٥ : ١٣٥ ، موسوعة طبقات الفقهاء ١ : ٢٦ ـ ٣٤ .

(١) كشف الغمّة ٢ : ٢١٦ ، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ ١٧٠ ، أعيان الشيعة ١ : ٥٧٨ ـ ٥٧٩ .

المؤمنين علي عليه السلام وأُمّه خير النساء فاطمة الزهراء عليها السلام .

أمّا أُخوته وأخواته فعدّهم المسعودي أربعة وعشرين شخصاً[١]، وعدّهم المفيد سبعة وعشرين[٢]، وعدّهم آخرون أكثر من ذلك، وهم كالآتي :

الحسن وزينب الكبرىٰ وأُمّ كلثوم الكبرىٰ وأُمّهم فاطمة الزهراء، ومحمّد الأكبر بن الحنفية وأُمّه خولة، وعبد الله وأبو بكر وأُمّهما ليلىٰ، والعبّاس الأكبر وجعفر وعبد الله وعثمان وأُمّهم أُمّ البنين، ومحمّد الأصغر وأُمّه أُمّ ولد، ويحيىٰ وعون وأُمّهما أسماء بنت عميس، وعمر الأكبر ورقية وأُمّهما الصهباء، ومحمّد الأوسط وأُمّه أُمامة، وأُمّ الحسن ورملة الكبرىٰ وأُمّهما أُمّ سعيد، وأُمّ هانئ وميمونة وزينب الصغرىٰ ورملة الصغرىٰ وأُمّ كلثوم الصغرىٰ وفاطمة وأُمامة وخديجة وأُمّ الكرام وأُمّ سلمة وأُمّ جعفر وجمانة ونفيسة وابنة لم تسم أُمّها مخبّاة .

وأمّا أولاد الحسين فكالآتي :

علي الأكبر أُمّه ليلىٰ بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفيّة، وعلي الأصغر زين العابدين أُمّه شاه زنان (شهربانويه) بنت كسرىٰ يزدجرد بن شهريار ملك الفرس، وعبد الله الرضيع، وسكينة أُمّها الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم الكلبيّة، وأُمّ الحسن فاطمة أُمّها أُمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيميّة التي كانت عند

---

(١) مروج الذهب ٣: ٧٣.

(٢) الإرشاد ١: ٣٥٤.

الحسن أوّلاً فتزوّجها الحسين بوصية منه، وجعفر أُمّه أُمّ جعفر القضاعيّة، مات في حياة أبيه ولم يعقب، وعلي الأوسط، وزينب، ومحمّد، ومحسن المدفون في جبل الجوشن قرب حلب[١].

كما أنّ للحسين ﷺ ـ بالإضافة إلى ما ذُكر من الزوجات ـ زوجات أُخريات هنّ:

عائشة بنت خليفة بن عبد الله بن الحرث التي كانت زوجة للحسن ﷺ فتزوّجها الحسين من بعده، وحفصة بنت عبد الرحمان بن أبي بكر، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وهذه بعيدة كلّ البعد أن تكون زوجته كما ذكره بعضهم[٢]، وجارية للحسين أعتقها ثمّ تزوّجها، وقد عاتبه معاوية في ذلك، فردّ عليه الحسين بأنّه ليس فوق رسول الله ﷺ منتهىً في شرف ولا غاية في نسب وإنّما فعل ما فعل التماساً لثواب الله تعالى[٣].

ولادته

ولد الحسين ﷺ بالمدينة المنوّرة في الثالث من شعبان[٤]، وقيل:

---

(١) الإرشاد ٢: ١٣٥، إعلام الورىٰ ١: ٤٧٨، نور الأبصار ٢٧٧، أعيان الشيعة ١: ٥٧٩.

(٢) الحسين لأبي علم ٤٩.

(٣) الحسين لأبي علم ٤٨ ـ ٥١، ولاحظ زهر الآداب ١: ٩٢.

(٤) إعلام الورىٰ ١: ٤٢٠، أعيان الشيعة ١: ٥٧٨.

لخمس خلون منه[١] سنة ثلاث[٢] أو أربع من الهجرة[٣]، وهو المشهور .

وروىٰ الحاكم في مستدركه من طريق محمّد بن إسحاق الثقفي بسنده عن قتادة : أنّ ولادته لستّ سنين وخمسة أشهر ونصف من التاريخ[٤] .

وقيل : ولد في أواخر ربيع الأوّل[٥] .

وقيل : ولد لثلاث أو خمس خلون من جمادى الأُولىٰ[٦] .

والمشهور المعروف أنّه ولد في شعبان، وكانت مدّة حمله ستّة أشهر .

وقيل : إنّه كان بين ولادة الحسن والحمل بالحسين طهر واحد وستّة أشهر[٧] .

وهذا مناف للمشهور في تاريخ ولادتيهما ؛ فإنّ الحسن ولد في منتصف شهر رمضان وولد الحسين لخمس خلون من شعبان علىٰ المشهور، فيكون بين ميلاديهما عشرة شهور وعشرون يوماً .

وقيل : بين ولادتيهما سنة واحدة[٨] .

---

(١) مقاتل الطالبيين ٥١، كشف الغمّة ٢ : ٢١٥، الفصول المهمّة ١٧٠، نور الأبصار ٢٥٣ .

(٢) الوافي ٣ : ٧٦١.

وهو قول الواقدي وطائفة، كما في الاستيعاب ١ : ٤٤٢ .

(٣) الارشاد ٢ : ٢٧، الاستيعاب ١ : ٤٤٢، تاريخ بغداد ١ : ١٤١ .

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٩٤ .

(٥) التهذيب ٦ : ٤١، الوافي ٣: ٧٦١ .

(٦) حكي في أعيان الشيعة ١ : ٥٧٨ .

(٧) الوافي ٣ : ٧٥٨ .

(٨) تاريخ بغداد ١ : ١٤١ .

وربّما يتّجه ما قيل أوّلاً في الفرق بين ولادتيهما علىٰ القول بأنّ ولادة الحسين في أواخر ربيع الأوّل، ولعلّ القائل به استنبطه من الجمع بين تاريخ ولادة الحسن وأنّ بينها وبين الحمل بالحسين طهراً واحداً وأنّ مدّة الحمل بالحسين ستّة أشهر .

وروىٰ الحاكم في المستدرك من طريق محمّد بن إسحاق الثقفي بسنده عن قتادة: أنّ فاطمة ولدت حسيناً بعد الحسن لسنة وعشرة أشهر[١] .

نقش خاتمه وبوّابه وشاعره

كان نقش خاتمه: (لكلّ أجل كتاب)[٢]، أو: (إنّ الله بالغ أمره)[٣]، أو: (لا إله إلاّ الله عدّة للقاء الله)[٤]، وغيرها .

ولعلّه كان له ﷺ عدّة خواتيم هذه نقوشها .

وأمّا بوّابه فهو أسعد الهجري[٥] .

وأمّا شاعره فيحيىٰ بن الحكم وجماعة[٦] .

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٩٤، ولاحظ تهذيب الكمال ٦: ٣٩٩ .

(٢) الفصول المهمّة لابن الصبّاغ ١٧١ .

(٣) أمالي الصدوق ١١٣ .

(٤) نفس المصدر السابق .

(٥) الفصول المهمّة لابن الصبّاغ ١٧١، نور الأبصار ٢٥٣، أعيان الشيعة ١: ٥٧٩ .

(٦) راجع المصادر المتقدّمة .

روايته

روىٰ الحسين ﷺ عن: جدّه، وعن أبيه، وأُمّه، وأخيه الحسن، وخاله هند بن أبي هالة.

وروىٰ عنه: ابنه علي زين العابدين، وابنتاه فاطمة وسكينة، وابن أخيه زيد بن الحسن، وحفيده محمّد الباقر بن علي زين العابدين، وبشر بن غالب الأسدي، وثوير بن أبي فاختة، والفرزدق الشاعر، وعامر الشعبي، وعِكرمة، وسعيد بن خالد الكوفي، وشعيب بن خالد، وطلحة بن عبد الله العُقيلي، ويوسف بن ميمون الصبّاغ، وعُبيد بن حنين، وأبو هشام، وسنان ابن أبي سنان الدؤلي، والعيزار بن حُريث، وكُرز التيمي، وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان، وآخرون[1].

وقال خليفة: (ولا نحفظ له حديثاً عن رسول الله ﷺ)[2].

بينما ذكر له المحدّثون من أُخواننا السنّة ثمانية أحاديث عن الرسول ﷺ، وهاهي كالتالي علىٰ ما في مسند الإمام أحمد[3] مع حذف الأسانيد وعبارة: قال رسول الله ﷺ:

١ ـ «للسائل حقّ وإن جاء علىٰ فرس».

٢ ـ «إنّ من حسن إسلام المرء قلّة الكلام فيما لا يعنيه».

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١١١، تهذيب الكمال ٦: ٣٩٧.

(٢) طبقات خليفة ٣٠.

(٣) مسند أحمد ١: ٢٠١.

٣ ـ «ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدها... فيحدث لذلك استرجاعاً إلاّ جدّد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أُصيب بها».

٤ ـ «البخيل من ذكرت عنده ثمّ لم يصل عليّ».

٥ ـ «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

٦ ـ قال الحسين: صعدت غرفة، فأخذت تمرة، فلكتها في فيّ، فقال النبي ﷺ: «ألقها، فإنّه لا تحلّ لنا الصدقة».

٧ ـ قال الحسين: علّمني جدّي، أو: قال النبي ﷺ كلمات أقولهنّ في الوتر....

٨ ـ قال الحسين: إنّما قام رسول الله ﷺ من أجل جنازة يهودي مرّ بها عليه، فقال: «آذاني ريحها».

كما روي عنه ﵇ أحاديث أُخرىٰ عن الرسول ﷺ، كحديث: «إنّ الله تعالىٰ يحبّ معالي الأُمور وأشرفها، ويكره سفاسفها»[1].

هذا بغضّ النظر عن الأحاديث الأُخر التي رواها عنه الشيعة، فلاحظ.

شعره

ذكر الإربلي: أنّ الرواة قد ذكروا للحسين ﵇ شعراً، وقد وقع إليه شعر الحسين بخطّ الشيخ أبي عبد الله أحمد بن الخشّاب النحوي، وفيه: قال

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١١١ و١١٢، الجامع الصغير ١: ٧٥ ـ ٧٦.

أبو مخنف لوط بن يحيىٰ: أكثر ما يرويه الناس من شعر سيّدنا أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام إنّما هو ما تمثّل به، وقد أخذت شعره من مواضعه واستخرجته من مظانّه وأماكنه ورويته عن ثقات الرجال، منهم: عبد الرحمان بن نخبة الخزاعي، والمسيّب بن رافع المخزومي، وغيرهما. ولقد أنشدني يوماً رجل من ساكني سَلْع هذه الأبيات، فقلت له: اكتبنيها، فقال لي: ما أحسن رداءك هذا! وكنت قد اشتريته يومي ذاك بعشرة دنانير، فطرحته عليه، فاكتبنيها، وهي:

ذهب الذين أُحبّهم　　وبقيت فيمن لا أُحبّه
فيمن أراه يسبّني　　ظهر المغيب ولا أسبّه
يبغي فسادي ما استطاع　　وأمره ممّا أدبّه
حنقاً يدبّ إلى الضرّاء　　وذاك ممّا لا أدبه
ويرىٰ ذباب الشرّ من　　حولي يطنّ ولا يذبّه
وإذا جنا وغر الصدور　　فلا يزال به يشبّه
أفلا يعيج بعقله　　أفلا يثوب إليه لبّه
أفلا يرىٰ أنّ فعله　　ممّا يسور إليه غبّه
حسبي بربّي كافياً　　ما أختشي والبغي حسبه
ولقلّ من يبغى عليه　　فما كفاه الله ربّه[1]

ورویٰ ابن كثير عن إسحاق بن إبراهيم، قال: بلغني أنّ الحسين زار مقابر الشهداء بالبقيع، فقال:

---

(١) كشف الغمّة ٢: ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

ناديت سكّان القبور فاسكتوا　　فأجابني عن صمتهم ترب الجشا
قالت: أتدري ما صنعت بساكني　　مزّقت لحمهم وخرقت الكسا
وحشيت أعينهم تراباً بعد ما　　كانت تأذىٰ بالقليل من القذا
أمّا العظام فإنّني مزّقتها　　حتّىٰ تباينت المفاصل والشوىٰ
قطعت ذا من ذا ومن هذا كذا　　فتركتها ممّا يطول بها البلىٰ[1]

خطبه

كان الحسين ﷺ من رجال الفصاحة وفرسانها وحماة البلاغة وشجعانها، عليه تهدّلت أغصانها ومنه تشعّبت أفنانها، يفوح أرج النبوّة من كلامه ويعبق نشر الرسالة من نثره ونظمه.

ومن خطبه ﷺ أنّه قال:

«يا أيّها الناس، نافسوا في المكارم، وسارعوا في المغانم، ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجّلوه، واكسبوا الحمد بالنجح، ولا تكسبوا بالمطل ذمّاً، فمهما يكن لأحد عند أحد صنيعة له رأىٰ أنّه لا يقوم بشكرها فالله له بمكافأته ضمين، فإنّه أجزل عطاءً وأعظم صبراً، واعلموا أنّ حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملّوا النعم فتحور نقماً، واعلموا أنّ المعروف مكسب حمداً ومعقب أجراً، فلو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسناً جميلاً يسرّ الناظرين، ولو رأيتم اللؤم رأيتموه سمجاً مشوّهاً تنفر منه القلوب وتغضّ

---

(١) البداية والنهاية ٨: ٢٠٩.

دونه الأبصار .

أيّها الناس، من جاد ساد، ومن بخل رذل، وإنّ أجود النـاس مـن أعطىٰ من لا يرجوه، وإنّ أعفىٰ الناس من عفا عـن قـدرة، وإنّ أوصـل الناس من وصل من قطعه، والأُصول علىٰ مغارسها بفروعها تسمو، فمـن تعجّل لأخيه خيراً وجده إذا قدم عليه غداً، ومن أراد الله تبارك وتـعالىٰ بالصنيعة إلى أخيه كافأه بها في وقت حاجته وصرف عنه بلاء الدنيا ما هو أكثر منه، ومن نفّس كربة مؤمن فرّج الله عنه كرب الدنيا والآخرة، ومن أحسن أحسن الله إليه، والله يحبّ المحسنين»[١] .

أدعيته

إنّ الأدعية المأثورة عن الحسين عليه السلام كثيرة، ومن أشهرها دعاؤه يوم عرفة، وهو دعاء طويل مشهور بين الشيعة يداومون على الدعـاء بـه في الموقف .

ومن أدعيته القصار قوله عليه السلام :

«اللّهمّ، أنت ثقتي في كلّ كرب، ورجائي في كلّ شدّة، وأنت فيما نزل بي ثقة، وأنت ولي كلّ نعمة، وصاحب كلّ حسنة»[٢] .

---

(١) كشف الغمّة ٢: ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣: ٣٠١ .

ثورته

هذا المحور يعدّ من أهمّ المحاور التي تتعلّق بحياة الإمام الحسين ﷺ وفلسفة خروجه على النظام الحاكم آنذاك. ويمكن البحث عنه في ثلاث نقاط:

الأولىٰ: عوامل تقديس الثورات بصورة عامّة وثورة الحسين بصورة خاصّة.

الثانية: الأسباب الداعية لثورة الحسين ﷺ.

الثالثة: أهداف هذه الثورة.

وإن كانت هذه النقاط قد تتداخل بعضها مع البعض الآخر، إلّا أنّنا أفردنا كلّ واحدة علىٰ حدة، وسنتعرّض مجملاً لها فيما يلي:

أمّا بالنسبة للنقطة الأُولىٰ فنقول:

لا شكّ أنّ من عوامل تقديس أيّة نهضة وسموها وتعاليها: كونها تأتي في ظل سيطرة الظلمات المتراكمة، وبعد شيوع موجة اليأس المطلق، وفي ظروف تعيشها البشريّة لا يكون فيها نجمة واحدة مضيئة في السماوات، وإذا بالنهضة تأتي كشرارة وكبرق لامع وشعلة حقّانية تضيء الطريق للآدميين.

وبالتالي ستمثّل حركة في وسط السكون ونداءً ملحّاً وسط السكوت المميت والظلام المطبق كالبرق في وسط الظلام والقليل مقابل الكثير.

ولهذا ترىٰ مثل هذه النهضة لا تجد صدىً عند العقلاء المحبّين

لذواتهم، وهي تظلّ ـ رغم ذلك ـ أشبه بالغيمة التي تمطر على الظمآن في الصحراء القاحلة، ومثل المحبوب الذي يصل إلى المحبّ من دون موعد مسبق.

والعامل الثاني من عوامل تقديس الثورات والحركات التحرّرية هو: طهارة ونقاء وقدسيّة الهدف والغاية، وعدم اختلاط أهداف الثورة بأيّ نوع من أنواع الأهداف الشخصيّة، أو المنفعة الماديّة والمطامع الذاتيّة، أو حبّ الجاه والشهوة والإنانيّة والنرجسيّة والتمركز حول الذات، أو أنواع التعصّب القومي، أو الحمية الوطنيّة.

بل تبقىٰ الغاية رضا الله والعمل بأوامره سبحانه وتعالىٰ وتحقيق العدالة والتوحيد الحقّ ومراعاة حرّيات الآخرين وحماية المظلوم والدفاع عن الضعيف.

نعم، عندما تكون النهضة بسبب الارتعاش والحرقة التي تحصل في الوجدان والضمير الإنساني وعندما تتمّ التضحية بالمصلحة الذاتيّة والمنفعة الشخصيّة من أجل المصالح العامّة للمجتمع والتضحية بكلّ شيء من أجل الحقّ والعدالة، عندها فقط يتحوّل الأفراد وتتحوّل ثورتهم إلى تبلور وتجسيد للحقّ والعدالة، وهكذا يصبح أمثال هؤلاء مقدّسين مثل الحقّ والعدالة.

العامل الثالث من عوامل التقديس هو: كون قيادة الحركة أو الثورة تحمل إدراكاً متيناً وبصيرة نافذة ثاقبة قادرة علىٰ رؤية ما سيأتي من أحداث خلفها، فهي إذن ترىٰ ما لا يراه الآخرون خلف الستار.

وبالطبع هناك ـ كما قيل ـ عوامل أُخرىٰ لتقديس النهضة مثل: كونها في ظل عدم توازن القوىٰ بين طرفي الصراع، وفقد التجهيزات المادية الظاهريّة للقائمين عليها.

هذا كلّه في مسألة عوامل تقديس الثورات بصورة عامّة، وأمّا بخصوص قدسيّة الحركة الحسينيّة فإنّها ترجع إلى ثلاث علل:

أوّلها: قدسيّة وسمو ورفعة الهدف الذي من أجله قام الحسين ﷺ، حيث الهدف المنشود هو الوصول إلى الحقيقة وليس كسب المنفعة.

وبديهي القول هنا: إنّ من يقوم طلباً للحصول على المعاش أو للوصول إلى الثروة أو السلطة أو اكتساب الجلال والعظمة، فإنّ قيامه هذا لا يعدّ قياماً مقدّساً، فمثل هذا القيام وهذه الحركات تكون محكومة بقوانين التجارة والمعاملات، وقد تأتي بالنفع علىٰ أصحابها مرّة وقد تأتي بالضرر، وليس مهمّاً إن كانت مربحة أو خاسرة، ذلك أنّ مثل هذه الحركات حركات تدور حول محاور الأشخاص والمنافع الشخصيّة، ولهذا فهي حركات لا قيمة لها من الناحية الكلّية والشمولية.

فحين يكون النضال غير شخصي بل هو إعلان حرب ضدّ الفساد والظلم والجهل والضلال والاستبداد فإنّه سيكون صورة من صور تبلور روح تقديس الحقيقة لدى البشريّة وصفحة من صفحات نظالها ضدّ الأنانيّة والذاتيّة.

وبعبارة أُخرىٰ: فإنّ أحد وجوه قداسة النهضة يرتبط بنوع المعاناة ونوع الآمال التي يحملها صاحب تلك النهضة ورائدها.

إنّ نهضة الحسين عليه السلام كانت مصداقاً حقيقياً لوجود مثل هذا العنصر ومثل هذه المواصفات، فقد كان بإمكانه أن يضمن منافعه ومصالحه بالكامل، لكنّه ـ مع ذلك ـ فضّل أن يعرّض حياته وماله وكلّ وجوده للخطر حفاظاً على العالم الإسلامي وإنقاذاً للمسلمين من براثن الظلم والاستبداد.

ثانيها: الظروف الخاصّة المحيطة بالنهضة الحسينيّة وعدم التكافؤ بين القوىٰ في الميزان، فنجد في النهضة أعلىٰ مراتب الشهامة والشجاعة ضدّ الأجهزة القمعيّة التي تملكها الدولة.

ولا يمكن القول هنا: بأنّ أهل الكوفة كانوا يمثّلون قوّة كافية في الميزان كان الحسين يعتمد عليها كثيراً في حسابات المعركة.

في حين أنّ عظمة الحسين ونهضته تتجلّىٰ في الواقع في قيامه وهو وحيد.

وما نراه اليوم من أثر باق له ما هو إلاّ بقيّة من آثار تلك الروح العالية التوّاقة للسمو والرفعة التي هزّت أركان العالم آنذاك ولا تزال آثارها باقية حتّىٰ اليوم.

ثالثها: درجة الوعي الاجتماعي والرؤية الثاقبة والخبرة والنظرة الحادّة التي يتمتّع بها القائمون على النهضة، فلقد كانت نهضة الحسين حدثاً خارقاً للعادة تلازم مع نظرة عميقة وواعية وإدراك قوي وثاقب وبصيرة مستنيرة بنور بعيد المدىٰ.

هذا كلّه فيما يتعلّق بالنقطة الأُولىٰ.

أمّا النقطة الثانية ـ وهي: الأسباب الداعية لثورة الحسين عليه السلام ـ فيتركّز البحث فيها في ذكر أسباب ثلاثة كلّية دعت للخروج، وهي:

أوّلاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانياً: فرض البيعة الإلزاميّة على الحسين عليه السلام وامتناع الإمام عن تلبية مثل هذا الطلب.

ثالثاً: دعوة أهل الكوفة للحسين عليه السلام للقدوم عليهم.

وهذا السبب هو أضعف الأسباب في الميزان؛ حيث إنّ تبدّل وضع الكوفيين كان كفيلاً بأن يدفع الحسين للتخلي عن سائر أهدافه الأُخرىٰ ويتّجه نحو المصالحة مع النظام والموافقة على البيعة بينما تطوّرات القضيّة لاحقاً أثبتت العكس؛ إذ إنّ أكثر خطب الحسين حماساً ولهيباً واشتعالاً هي خطبه التي جاءت بعد تراجع أهل الكوفة عن موقفهم الأوّل.

كما أنّ الحسين عليه السلام كان قد بدأ حركته في أواخر شهر رجب وأوائل حكومة يزيد عندما خرج من المدينة قاصداً مكّة حيث الحرم الآمن الذي يوفّر الأمن والطمأنينة وكذلك لمركز مكّة الاجتماعي والسياسي المهمّ حيث صادف كلّ ذلك مع اقتراب مواسم العمرة والحجّ وتقاطر الناس من الأطراف والأكناف إلى مكّة، فيصبح بالإمكان إرشاد الناس ووعظهم بنحو أفضل من سائر فصول العام، وبعد مرور حوالي شهرين علىٰ مغادرته المدينة وصلت رسائل أهل الكوفة إليه وهو في مكّة، أي: بعد اتّخاذه من قبل قراره بالامتناع عن مبايعة يزيد، فدعوة أهل الكوفة قد هيّأت للحسين ظروفاً مناسبة للاستمرار في النهضة، لا أنّها كانت من الأسباب

والعوامل الرئيسية للنهضة .

أمّا النقطة الثالثة ـ وهي : أهداف الثورة ـ فيمكن تلخيص ذلك بما يلي :

١ ـ تغيير الأوضاع السياسيّة واستبدال الجهاز الحاكم وأسلوب الإدارة والسياسة والتعامل مع الأُمّة وفق الموازين والمقاييس التي ثبّتها الإسلام .

٢ ـ إيقاظ الحسّ والوعي السياسي للأُمّة وجعلها جهاز مراقبة للسلطة متىٰ ما انحرفت عن المبادئ أو تخلّت عن تطبيق الأحكام والقوانين الإسلاميّة .

٣ ـ تثبيت مبدأ شرعيّة المقاومة المسلّحة للحاكم الظالم .

٤ ـ إعادة تربية وبناء الأُمّة من جديد بناءً سليماً .

٥ ـ تصحيح الانحراف وتطبيق أحكام الشريعة وقوانينها .

٦ ـ كسر حاجز الخوف والإرهاب المفروض على الأُمّة وتحريك روح الثورة والفداء فيها .

نبذة من حكمه

قال الحسين عليه‌السلام لرجل اغتاب عنده رجلاً : « يا هذا ، كف عن الغيبة ، فإنّها أدام كلاب النار » .

وقال عنده رجل : إنّ المعروف إذا أُسدي إلى غير أهله ضاع ، فقال عليه‌السلام : « ليس كذلك ، ولكن تكون الصنيعة مثل وابل المطر تصيب البرّ

والفاجر» .

وقال ﷺ : «ما أخذ الله طاقة أحد إلاّ وضع عنه طاعته، ولا أخذ قدرته إلاّ وضع عنه كلفته» .

وقال ﷺ : «إنّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجّار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة» .

وقال لابنه زين العابدين ﷺ : «أي بني، إيّاك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلّا الله جلّ وعزّ» .

وقال ﷺ : «من دلائل علامات القبول الجلوس إلى أهل العقول، ومن علامات أسباب الجهل المماراة لغير أهل الفكر، ومن دلائل العالم انتقاده لحديثه وعلمه بحقائق فنون النظر» .

وقال ﷺ : «من حاول أمراً بمعصية الله كان أفوت لما يرجو وأسرع لما يحذر»[1] .

قبس من فضائله

لقد تحلّى الحسين ﷺ بفضائل قلّما تجتمع لأحد من شرف النسب والشجاعة والكرم والعفو والتواضع والفصاحة والصبر والثبات على المبدأ والورع والعلم والحلم وغيرها من الفضائل والمناقب .

ونقتصر هنا على بعض فضائله المروية عن لسان النبي الأكرم ﷺ .

---

(١) نقلت جميع هذه الحكم من تحف العقول ٢٤٥ ـ ٢٤٦ و٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

روي عن أبي سعيد الخدري وغيره أنّهم قالوا: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة»[١].

وروي عنه ﷺ أنّه قال: «الحسن والحسين سبطان من الأسباط»[٢].

وروي عنه ﷺ أنّه قال: «أمّا حسن فإنّ له هيبتي وسؤددي، وأمّا حسين فإنّ له جرأتي وجودي»[٣].

وكذلك قال ﷺ: «حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط»[٤].

استشهاده ومدفنه

قتل الحسين عليه السلام شهيداً في كربلاء من أرض العراق عاشر المحرّم سنة ٦١ هـ بعد الظهر مظلوماً صابراً محتسباً.

وفي المنتظم: (قال هشام بن محمّد الكلبي: قتل الحسين سنة اثنتين وستّين. وهو غلط)[٥].

---

(١) سنن الترمذي ٥: ٦٥٦، ذخائر العقبى ١٢٩، مجمع الزوائد ٩: ١٨٢ و١٨٣ و١٨٤.

(٢) الأدب المفرد ١١٦.

(٣) ذخائر العقبى ١٢٩، مجمع الزوائد ٩: ١٨٥.

(٤) الأدب المفرد ١١٦، سنن الترمذي ٥: ٦٥٨ ـ ٦٥٩، ذخائر العقبى ١٣٣.

(٥) المنتظم ٥: ٣٤٦.

وقال الشيخ المفيد وغيره: إنّ الحسين عليه السلام توفّي يوم السبت[١].

والذي صحّحه أبو الفرج الأصفهاني وغيره[٢] أنّه استشهد يوم الجمعة، حيث ذكر الأصفهاني في كتابه مقاتل الطالبيين: أنّ أوّل المحرّم الأربعاء، استخرجنا ذلك بالحساب الهندي من سائر الزيجات، تنضاف إليه الرواية. أمّا ما تعارفه العوام من أنّه قتل يوم الاثنين فلا أصل له ولا وردت به رواية[٣].

وكان عمره يوم قتل ٥٦ سنة وخمسة أشهر وسبعة أيام أو خمسة أيام، أو تسعة أشهر وعشرة أيام، أو ثمانية أشهر وسبعة أيام أو خمسة أيام، أو ٥٧ سنة بنوع من التسامح بعد السنة الناقصة سنة كاملة، أو ٥٨ سنة، أو ٥٥ سنة وستّة أشهر، علىٰ اختلاف الروايات والأقوال المتقدّمة في مولده وغيرها.

وقدّر ابن الجوزي عمره بستّ وخمسين سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام[٤]، وقدّره اليافعي بخمس وستّين سنة[٥].

ومن الغريب ذهاب المفيد إلىٰ أنّ عمره الشريف ٥٨ سنة[٦] مع ذكره

---

(١) الارشاد ٢: ١٣٣، إعلام الورىٰ ١: ٤٢٠.

(٢) كصاحب الاستيعاب ١: ٤٤٣.

(٣) مقاتل الطالبيين ٥١.

(٤) صفوة الصفوة ١: ٧٦٣.

(٥) مرآة الجنان ١: ١٠٦.

(٦) الارشاد ٢: ١٣٣.

أنّ مولده لخمس خلون من شعبان سنة أربع وشهادته كما مرّ، فإنّ عمره ـ علىٰ هذا ـ يكون ٥٦ سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام .

وقد دفن جسد الحسين ﷺ إجماعاً ورأسه علىٰ الأشهر في كربلاء .

مراثيه

لقد تبارىٰ الشعراء في رثاء الحسين ﷺ وقالوا فأكثروا وأجادوا، ولا غرو في ذلك لمكانة الحسين بين المسلمين مكانة ساميّة ومصيبته مصيبة عظمىٰ وفاجعته فاجعة كبرىٰ .

ويُذكر أنّ أوّل من رثاه من الشعراء هو سليمان بن قتّة العدوي التيمي مولىٰ بني تيم بن مرّة، وكان منقطعاً إلى بني هاشم، ومرّ بكربلاء بعد قتل الحسين بثلاث، فنظر إلىٰ مصارعهم، واتّكأ علىٰ فرس له عربيّة، وأنشأ يقول :

مررت علىٰ أبيات آل محمّد ... فلم أرها أمثالها يوم حلّت
ألم تر أنّ الشمس أضحت مريضة ... لقتل حسين والبلاغ اقشعرت
وكانوا رجاءً ثمّ أضحوا رزيّة ... لقد عظمت تلك الرزايا وجلّت
وتسألنا قيس فنعطي فقيرها ... وتقتلنا قيس إذا النعل زلّت
وعند غني قطرة من دمائنا ... سنطلبها يوماً بها حيث حلّت
فلا يبعد الله الديار وأهلها ... وإن أصبحت منهم برغمي تخلّت
وإنّ قتيل الطفّ من آل هاشم ... أذلّ رقاب المسلمين فذلّت

وقد اعولت تبكي السماء لفقده ... وأنجمنا ناحت عليه وصلّت[١]

هذا، وقد جمع السيّد الأمين ﵀ مختاراً من مراثي الحسين ﵇ من نحو ستّة آلاف بيت في كتاب سمّاه الدرّ النضيد في مراثي السبط الشهيد، وكذلك فعل السيّد جواد شبّر في كتابه أدب الطفّ البالغ عشرة مجلّدات، فمن أراد الاستزادة فليرجع إلى الكتابين المذكورين .

إقامة العزاء والبكاء عليه

قد قضىٰ العقل والدين باحترام عظماء الرجال أحياءً وأمواتاً وتجديد الذكرىٰ لوفاتهم أو شهادتهم وإظهار الحزن عليهم لا سيّما من بذل نفسه وجاهد حقّ قتل لمقصد سام وغاية نبيلة، وقد جرت علىٰ ذلك الأُمم في كلّ عصر وزمان وجعلته من أفضل أعمالها وأسنىٰ مفاخرها، فحقيق على المسلمين بل جميع الأُمم أن يقيموا الذكرىٰ في كلّ عام للحسين بن علي، فإنّه من عظماء الرجال ومن الطراز الأوّل، جمع أكرم الصفات وأحسن الأخلاق وأعظم الأفعال وأجلّ الفضائل والمناقب علماً وفضلاً وزهداً وعبادة وشجاعة وسخاءً وسماحة وفصاحة، وقد جمع إلى كرم الحسب شرف العنصر والنسب، فهو أشرف الناس أباً وأُمّاً وجدّاً وجدّة وعمّاً وعمّة وخالاً وخالة، وقد جاهد لنيل أسمى المقاصد وأنبل الغايات، وقام بما لم يقم بمثله أحد قبله ولا بعده، فبذل نفسه وماله وآله في سبيل إحياء الدين وإظهار فضائح المنافقين، واختار المنية على الدنية وميتة العزّ علىٰ حياة

---

(١) أُسد الغابة ٢: ٢١ ـ ٢٢، الدرّ النظيم ٥٧٣، أعيان الشيعة ١: ٦٢٢.

الذلّ ومصارع الكرام على طاعة اللئام، وأظهر من إباء الضيم وعزّة النفس والشجاعة والبسالة والصبر والثبات ما بهر العقول وحيّر الألباب، وحقيق بمن كان كذلك أن تقام له الذكرىٰ كلّ عام وتبكي له العيون دماً بدل الدموع، وهل الحسين دون جان دارك التي يقيم لها الفرنسيون الذكرىٰ في كلّ عام؟! وهل عملت لأُمّتها ما عمله الحسين لأُمّته أو دونه؟!

هذا، وقد حثّ الأئمّة من أهل البيت شيعتهم ومحبّيهم علىٰ إقامة الذكرىٰ لهذه الفاجعة الأليمة في كلّ عام، وهم نعم القدوة في ذلك.

ومن المندوب يوم عاشوراء إظهار الحزن والجزع والبكاء، وذلك:

أوّلاً: لأنّ فيه مواساة للرسول ﷺ الذي لا شكّ في أنّه حزين لذلك اليوم على ولده ومن كان في حياته يحبّه أشدّ الحبّ ويكرمه، وأيّ مسلم يرغب عن مواساة نبيّه في حزنه علىٰ حبيبه؟! وأيّ طاعة أفضل عند الله تعالىٰ من مواساة أفضل رسله في حزنه علىٰ ولده؟!

وثانياً: أنّه ثبت عن أئمّة أهل البيت النبوّي أنّهم أقاموا العزاء في مثل هذا اليوم وحزنوا وبكوا لهذه الفاجعة وحثّوا أتباعهم علىٰ ذلك[1]، وهم نعم القدوة والأُسوة.

ولم يكن جعل يوم عاشوراء عيداً معروفاً في الديار المصرية، وأوّل من أدخله إليها صلاح الدين الأيّوبي، كما حكاه تقي الدين المقريزي في خططه[2]. والظاهر أنّ الباعث عليه كان أمراً سياسياً، وهو مراغمة

---

(١) الأغاني ٢٠: ١٠٢، كامل الزيارات ٢٠٣ـ ٢٠٥، أمالي الصدوق ١١٢.

(٢) الخطط المقريزية ٢: ٤٣٦ـ ٤٣٧.

الفاطميين الذين سلبهم صلاح الدين ملكهم، فقصد محو كلّ أثر لهم .

ما قيل عنه ومن ثورته

١ ـ قال ابن أبي الحديد: (ما ظنّك برجل أبت نفسه الدنيّة وأن يعطي بيده، فقاتل حتّى قتل هو وبنوه وإخوته وبنو عمّه بعد بذل الأمان لهم والتوثقة بالأيمان المغلّظة، وهو الذي سنّ للعرب الإباء)[1] .

٢ ـ وقال عبد الله العلايلي: (انطلق الحسين مودّعاً الكعبة بيت الله حاملاً روحها بين جنبيه وشعلتها بكلتا يديه تواكبه الملائك وتباركه وتطيف به كأنّها حذرة عليه، فإنّه البقيّة من إرث السماء على الأرض.. رعياً لذكراك أبا عبد الله، فقد أحسستَ بروح الأخلاق في روح الوجود، فأردت الحياة دنيا من الأخلاق والفضيلة والحبّ، وأرادها الآخرون دنيا من الشهوات والرذيلة والأحقاد)[2] .

٣ ـ وقال توفيق أبو علم: (حياة الحسين عظة من التاريخ، ولكن تجمع التاريخ كلّه، فليس معناها في حدود ما وقعت من الزمان والمكان، بل حدودها حيث لا تتسع لها حدود، وهي ـ بعد ذلك ـ حديث الشخصيّة الكاملة من أقطارها، ففيها القدوة الصالحة وفيها المثل الأسمىٰ للإنسان الكامل والصراط السوي للمسلم القرآني)[3] .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ١٩٠ .

(٢) الإمام الحسين للعلايلي ٥٥٧ .

(٣) الحسين لأبي علم ٨ .

٤ ـ وقال عبد الرحمان الشرقاوي: (أحبّ الحسين ذلك الحبّ الحزين الذي يخالطه الإعجاب والإكبار والشجن، ويثير في النفس أسىً غامضاً وحنيناً خارقاً إلى العدل والحرّية والإخاء وأحلام الخلاص)[١] .

٥ ـ وقال أنطون بارا: (كان عليه السلام شمعة الإسلام أضاءت ممثّلة ضمير الأديان إلىٰ أبد الدهور، وكان درعاً حمى العقيدة من أذى منتهكيها وذبّ عنها خطر الاضمحلال، وكان انطفاؤه فوق أرض كربلاء مرحلة أُولىٰ لاشتعال أبدي، كمثل التوهّج من الانطفاء والحياة في موت)[٢] .

٦ ـ وقال سليمان كتّاني: (ما أروع الحسين يجمع عمره كلّه ويربطه بفيض من معاناته ويجمعه إلىٰ ذاته جمعاً معتّقاً بالحسّ والفهم والإدراك، فإذا هو كلّه تعبير عن ملحمة قائمة بذاتها صمّم لها التصميم المنبثق مع واقع إنساني عاشه وعاناه وغرق فيه.. إنّ الملحمة التي قدّمها علىٰ خشبة المسرح في كربلاء هي الصنيع الملحمي الكبير، ما أظنّ هوميروس تمكّن من تجميع مثله في إلياذته الشهيرة)[٣] .

٧ ـ وقال د. صالح عضيمة: (لست أعلم حقّاً أصرح ولا عدلاً أوضح من قومة الإمام الحسين عليه السلام ومن ثورته ونهضته.. لقد كانت قومته لإحياء رسالة الإسلام بعد أن كادت تقضي علىٰ يد أعدائها ومناوئيها)[٤] .

---

(١) الحسين ثائراً شهيداً ٢٣ .

(٢) الحسين في الفكر المسيحي ٦٥ .

(٣) الإمام الحسين في حلّة البرفير ١٥٢ ـ ١٥٣ .

(٤) هذا الكلام موجود في تقديمه لكتاب الشرقاوي، لاحظ ص ١١ .

٨ ـ وقال عمر رضا كحّالة: (الحسين بن علي هو سيّد أهل العراق فقهاً وحالاً وجوداً وبذلاً)[١].

٩ ـ وقال هربرت سبنسر: (إنّ أرقىٰ ما يأمل الوصول إليه الرجال الصالحون هو المشاركة في صناعة الإنسان الآدمي، أي: الاشتراك في خلق جيل صالح، بينما مدرسة الحسين ليست فقط مدرسة تنبذ المذنبين ولا يمكن لها أن تكون من صانعيهم، بل إنّها لا تكتفي بكونها تسعىٰ لخلق جيل صالح، إنّها مدرسة لتخريج المصلحين)[٢].

ما أُلّف حوله وحول ثورته

لقد تمّ تأليف عدد كبير جدّاً حول حياة الإمام الحسين عليه السلام من الكتب والمقالات والرسائل وما دوّن في الندوات والمؤتمرات وما هو مكتوب في الجرائد والمجلّات والدواوين الشعريّة والقصائد القصار وما هو بغير اللغة العربيّة[٣].

وها نحن هنا نذكر عدداً من الكتب التي ألّفها بعض أهل السنّة في الحسين عليه السلام:

---

(١) أعلام النساء لكحّالة ١: ٣٧.

(٢) حكي ذلك في الملحمة الحسينيّة ٣: ٦٦.

(٣) راجع في هذا الصدد: أهل البيت في المكتبة العربيّة، ومعجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ج٧ و٨.

• استشهاد الحسين .

لمحمّد بن جرير الطبري، طبع في دار الكتاب العربي ببيروت بتحقيق د. السيد الجميلي .

• الإمام الحسين عليه السلام .

لعبد الله العلايلي، طبع في بيروت سنة ١٩٧٢ م .

• الإمام الحسين في حلّة البرفير .

لسليمان كتّاني، طبع في قم ـ دار الكتاب الإسلامي سنة ١٩٩٠ م .

• التاريخ الحسيني .

لمحمود بن علي بن محمّد الببلاوي المالكي، طبع في مصر سنة ١٣٢٤هـ .

• الحسين عليه السلام .

لعلي جلال الحسيني المصري، طبع في القاهرة سنة ١٣٤٩ و١٣٥١هـ .

• الحسين بن علي .

لتوفيق أبو علم المصري، طبع بالقاهرة طبعة رابعة سنة ١٩٩٠ م .

• الحسين بن علي .

لمحمّد كامل حسن المحامي، طبع في بيروت .

• الحسين بن علي .

لعمر أبو النصر، مطبوع .

* الحسين بن علي الشهيد الخالد.

لحسن أحمد لطفي، طبع عام ١٣٦٧ هـ.

* حياة الإمام الحسين.

لمحمود شلبي، طبع في دار الجيل ببيروت سنة ١٩٨٦ م للمرة الثانية.

* حياة الحسين.

لعبد الحميد جودت السحّار المصري، طبع في المؤسّسة الجامعيّة للدراسات بالقاهرة سنة ١٩٩١ م.

* سيّد شباب أهل الجنّة.

لمحمّد أحمد عاشور، طبع في القاهرة.

* سيّد شباب أهل الجنّة الحسين بن علي.

لحسين محمّد يوسف المصري، طبع في مطبعة الشعب بمصر سنة ١٩٧٣ م.

* شهيد كربلاء أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام.

لإسماعيل اليوسف، طبع في بيروت سنة ١٣٨٣ هـ.

* عظمة الإمام الحسين.

لعرفات القصبي قرون، طبع في دار مصر بالقاهرة سنة ١٩٧٧ م.

* غصن الرسول الحسين بن علي.

لفؤاد علي رضا، طبع بمكتبة المعارف في بيروت بتقديم د. محمّد بن فتح الله بدران.

* ملحمة الحسين عليه السلام.

لعمر أبو ريشة السوري، نظّمها سنة ١٩٤٨ م في نحو من ألفي بيت.

المؤلّف

- ولادته وأُسرته .
- نشأته ودراسته .
- في غمرة الصحافة والسياسة .
- شخصيّته .
- نقده .
- شاعريته .
- ما قيل فيه .
- مؤلّفاته وآثاره .
- وفاته ومدفنه .

ولادته وأسرته

ولد عبّاس محمود إبراهيم مصطفىٰ العقّاد عملاق الأدب العربي والكاتب الكبير في أسوان بمصر في اليوم الثامن والعشرين من يونيو سنة ١٨٨٩ م المصادف لسنة ١٣٠٦ هـ، وأصله من دمياط، انتقل أسلافه إلىٰ المحلّة الكبرىٰ، وكان أحدهم يعمل في عقادة الحرير، فعُرف بالعقّاد.

كان أبوه يعمل صرّافاً في أسنا، ثمّ أميناً للمحفوظات في أسوان، وكان متزوّجاً بثلاث نساء: الأُولىٰ توفّيت بعد إنجابها لطفلين، والثانية كردية وهي أُمّ عبّاس حيث أنجبت له بنتاً اسمها فاطمة كانت تعيش في القاهرة وستّة من البنين كان عبّاس أكبرهم، والثالثة جارية سودانية أنجبت له أخوين آخرين لعبّاس، وهكذا كان العقّاد ثالث أحد عشر من أبناء أبيه. وكان كبير أُخوته أحمد يعمل سكرتيراً لمحكمة أسوان، وعبد اللطيف تاجراً.

وقد كبر العقّاد في أُسرة شديدة التمسّك بدينها، فقد كان أبوه يخرج إلىٰ صلاة الفجر والناس نيام يلتمس الرحمة في مصلّاه إلىٰ ما بعد طلوع الشمس، وكانت والدته امرأة متديّنة تقيم الصلوات وتطعم المساكين وتصل الأرحام وتعطف على الفقراء، وكانت تقام في بيت أُخواله ندوات لقراءة الكتب الدينيّة من أحاديث وفقه وتفسير، فكان للوراثة والبيئة شأن فيما

عند العقّاد من إيمان واعتقاد ديني[١].

نشأته ودراسته

التحق العقّاد بالمدرسة الابتدائية في أسوان سنة ١٨٩٦ م وتخرّج منها سنة ١٩٠٣ م، ثمّ التحق بالمدرسة الثانوية وتلقّىٰ دروساً في الكهرباء والكيمياء بمدرسة الصناعة بالقاهرة، وفي التلغراف بمدرسة في ضاحية الدمرداش.

بدأ حياته الأدبيّة وهو في سنة التاسعة، والتحق بأحد الوظائف الحكوميّة عام ١٩٠٤ م، وكانت وظيفته في مديرية قنا بالسكّة الحديديّة، ثم نقل إلى الزقازيق، ومن ثمّ جاء للقاهرة وعمل في وزارة الأوقاف وبالصحافة.

وقد أظهر منذ حداثته شخصيّة قويّة وذكاءً حادّاً وشغفاً بالمطالعة وطموحاً إلىٰ منزلة عالية من العلم والمعرفة، وقد تنبّأ له الإمام محمّد عبده بمستقبل مرموق[٢]، وهكذا كان.

وقد أتمّ ثقافته علىٰ نفسه معتمداً علىٰ ذهن خصب ومطالعة واسعة الآفاق واحتكاك برجال الفكر، وقد أجاد الإنجليزيّة، ثمّ ألمّ بالألمانيّة والفرنسيّة، وقد أُعجب بآراء الدكتور يعقوب صرّوف العلميّة وازداد شغفاً

---

(١) أعلام الأدب المعاصر في مصر ١: ٤٣، الأعلام للزركلي ٣: ٢٦٦، عبّاس محمود العقّاد (قطرات من بحر أدبه) ٦ ـ ٨.

(٢) أعلام الأدب المعاصر في مصر ١: ٩.

بالمطالعة وجمع الكتب، وقد قرأ لفتز جيرالد وتولستوي وماكولي وهازلت ولي هنت وماثيو آرنولد وديفيد هيوم وبيرك ونيتشه وجون ستيوارت مل[١].

وفي السابع والعشرين من سنة ١٩٣٤ م أُقيم للعقّاد حفل تكريم بمسرح الأزبكيّة اشترك فيه جمهور من العلماء والأُدباء ورجال الصحافة والسياسة.

وفي سنة ١٩٣٨ م انتخب العقّاد عضواً في مجمع اللغة العربيّة في القاهرة، وكذلك انتخب عضواً في مجمع اللغة العربيّة في دمشق وبغداد، وعيّن عضواً في مجلس الشيوخ سنة ١٩٤٤ م، وعضواً بمجلس الفنون والآداب سنة ١٩٥٦ م، وفي سنة ١٩٦٠ م تسلّم العقّاد جائزة الدولة التقديريّة[٢].

في غمرة الصحافة والسياسة

كانت القاهرة في بداية القرن العشرين ميداناً للصراع بين الدول، وكان هناك ثلاثة أحزاب وطنيّة تعمل في سبيل البلاد: الحزب الوطني برئاسة مصطفىٰ كامل، وحزب الإصلاح على المبادئ الدستوريّة برئاسة

---

(١) أعلام الأدب المعاصر في مصر ١: ١٥، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث ٢٩٠.

(٢) أعلام الأدب المعاصر في مصر ١: ٤٣، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث ٢٩٢، عبّاس محمود العقّاد (قطرات من بحر أدبه) ٦ ـ ٧.

الشيخ علي يوسف محرّر صحيفة المؤيّد، وحزب الأُمّة .

وقد مال العقّاد إلى الحزب الأخير الذي كان يدعو إلى الاستقلال المصري الخالص، وأراد أن يسهم في (الجريدة) لسان حال ذلك الحزب، إلاّ أنّه لم يجد في أُسرتها من يستطيع التعاون معهم على الطريقة التي يريدها، وانحاز إلى جريدة الدستور لصاحبها محمّد فريد وجدي، وراح يقوم بالتحرير فيها إلىٰ توقّفت عن الصدور، فعاد إلىٰ بلدته وقد اشتدّ به الإعياء، وبعد عامين من القلق والضيقة عاد إلى القاهرة وراح يكتب لمجلّة البيان التي كان يصدرها عبد الرحمان البرقوقي، وهناك جمعه الحظّ بإبراهيم عبد القادر المازني وعبد الرحمان شكري .

ومن سنة ١٩١٢ م إلىٰ سنة ١٩١٤ م راح يكتب فصولاً نقدية في مجلّة عكاظ، وظهرت فيه ميول إلىٰ آراء كارليل ونيتشه التي دغدغت فيه نزعته الفطرية إلى العزّة والأنفة والكرامة. وعندما نشبت الحرب العالميّة الأُولىٰ اتّجه العقّاد إلى التدريس في المدارس الحرّة، ولمّا وضعت الحرب أوزارها عاد إلى الصحافة، فحرّر في الأهرام وفي غيرها من الصحف والمجلّات كالجهاد والبلاغ والكتلة والأساس وروز اليوسف .

وكان العقّاد يسير في طريق الشهرة وكانت كتاباته وآراؤه تنتشر انتشار النور، إلىٰ أن انضمّ إلىٰ حزب الوفد واكتسب تقدير سعد زغلول، وحافظ أبداً علىٰ استقلاله الشخصي في الرأي، ولكن الصراعات الداخليّة بين الأحزاب جاءت بإسماعيل صدقي رئيساً للوزارة المصريّة، فألغىٰ الدستور، وأمر باعتقال العقّاد، فحكم عليه بالسجن تسعة أشهر. ولكنّ

السجن لم يهد عزيمته ولم يمنعه من مواصلة الكفاح في سبيل بلاده وأُمّته، فقد راح يكتب في الصحف ويهاجم إسماعيل صدقي وحكمه الإرهابي.

وازدادت حال مصر سوءً قبيل الحرب العالميّة الثانية وازدادت تمزّقاً وفوضىٰ، وأعلن مصطفىٰ النحّاس سياسة الصداقة مع الإنجليز، وعقد معهم سنة ١٩٣٦ م معاهدة لتحسين العلاقات بين مصر وبريطانيا، فثار ثائر العقّاد وهاجم المعاهدة في صحيفة مصر الفتاة، واستمرّ علىٰ مواصلة النضال ضد النازيّة والفاشيّة والاستعمار[1].

وكان العقّاد يضيق بكثير ممّا يقوله الرئيس جمال عبد الناصر وخاصّة ما قاله عبد الناصر بعد محاولة اغتياله قائلاً: «أنا الذي علّمتكم الكرامة، وأنا الذي علّمتكم العزّة»، حيث كان العقّاد يقول: «... إنّه عندما قام بثورته هذه وجد البيوت والشوارع وملايين الناس والأهرامات والجامعات ومئات الألوف من الكتب، لقد سبقه إلى الوجود كلّ هؤلاء وسبقته إلى القاموس كلمات أُخرىٰ غير العزّة والكرامة: الغرور والغطرسة .. مثل هذه الغطرسة!»[2].

شخصيّته

إنّ العقّاد من الشخصيّات الفذّة التي تصعب الإحاطة بشتىٰ مقوّماتها، فهو من ناحية العلم والثقافة بحر يزخر شتّىٰ فروع المعرفة علىٰ دقّة في

---

(١) الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث ٢٩١ ـ ٢٩٢.

(٢) عبّاس محمود العقّاد (قطرات من بحر أدبه) ٢١.

التفهّم ودقّة في الأداء وعلىٰ سيطرة على الموضوع وهيمنة على الفكرة والكلمة، وهو من ناحية المقدرة الذهنيّة توقّد في الذكاء وبعد في اللمح وامتداد في الرؤية وعمق في النظرة، وهو من ناحية الخُلق صلابة لا تلين وعقيدة لا تهي ورصانة تأبىٰ التبذّل ووقار يأبى السخف وتقيّد بنظام الحياة لا يحيد عنه وتمسّك بالحرّية والديمقراطيّة والروح الإنسانيّة لا يرضى الاستهانة بذرّة من ذرّاتها، وهو رجل التديّن الصادق الذي يكره التعصّب والتزمّت وجعل الدين مطيّة للأطماع والأحقاد.

وقد كان يميل إلى الخجل والانفراد والعزلة، ولم يكن ذلك بسبب عقد نفسيّة، ولكنّه ورث طبيعة الانطواء عن والديه، وكان يشغل وحدته بالمطالعة، وكان يحبّ الصداقة ويكره العداوة.

وكان شديد الحسّاسيّة سريع البكاء، وقد أُثبتت المراجع العلميّة والنفسيّة أنّ أقوى الرجال أسرعهم إلى البكاء والتأثّر[1].

ولم يتزوّج وازدرىٰ كثيراً من متع الحياة معلّياً عليها متاع الضمير ومتاع الخلق الكريم ومتاع الفكر ومتاع الذوق والشعور مقتنعاً من مطالب العيش بما يكفيه، وهو لا يقيس الحياة الصحيحة بمقياس المادّة والجسد، إنّما يقيسها بمقياس الروح والعقل ومقاصدها المثاليّة[2].

وكان من ناحية الخَلق أجشّ الصوت في قامته طول نُعت من أجله بالعملاق[3].

---

(١) المصدر السابق ٧ ـ ٩.

(٢) الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث ٢٩٣، نقلاً عن شوقي ضيف.

(٣) الأعلام للزركلي ٣: ٢٦٦.

نقده

عالج العقّاد النقد تدفعه إليه أحوال بيئته وانفتاحه على العالم الحديث وغيرته على اللغة وآدابها وعلى الأُمّة العربيّة وقضاياها. وقد تشعّب نقده فكان منه السياسي والاجتماعي والفكري والأدبي. والعقّاد تأثّر بالأدب الإنجليزي في شعره وفي نظرياته الأدبيّة وفي نقده، وكانت تعجبه طريقة (هازلت) إمام المدرسة الحديثة الإنجليزية في النقد وتعجبه صراحته الجريئة ونزاهته التي لا تحابي ولا تجامل. وكان هدف العقّاد في نقده الأدبي توجيه الأدب الحديث توجيهاً جديداً إنسانيّاً. وهو يقول: «أطلب من الشعر أن يكون عنواناً للنفس الصحيحة، ثمّ لا يعنيك ـ بعد ذلك ـ موضوعه ولا منفعته، ولا تتّهمه بالتهاون إذا لم يحدّثك عن الاجتماعيّات والحماسيّات والحوادث التي تلهج بها الألسنة والصيحات التي تقف بها الجماهير».

وتمثيل البيئة في نظره ليس من الشرائط الشاعرية، وهو يرىٰ أنّ القصيدة ينبغي أن تكون عملاً فنيّاً تامّاً يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة، كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها واللحن الموسيقي بأنغامه.

والعقّاد يُنكر في الشعر الإحالة، أي: الاعتساف والشطط، والمبالغة التي تخالف الحقائق، والخروج بالفكر عن المعقول، وما إلىٰ ذلك ممّا يخرج الشعر عن حقيقته الجماليّة.

وقد تعاون العقّاد والمازني وشكري علىٰ مناهضة أرباب المدرسة

الشعريّة التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين والتي ردّت إلى الشعر العربي ديباجته المشرقة وحرّرته من الشكليّة التصنيعيّة ومن الابتذال ووجّهته شطر الحياة الجديدة في السياسة والاجتماع، وقد اتّهم العقّاد ورفيقاه هذه المدرسة بأنّها لم تحقّق الخطوة التقدّمية المرجوّة، وهم يرون أنّ الشاعر يجب أن يعبّر عن روح أُمّته وعن نوازع نفسه ودوافعها الإنسانيّة وعن الطبيعة وحقائقها الكونيّة، وهو في تعبيره عن روح الأُمّة لا يقف عند الظواهر والأسماء والتواريخ والأحداث، بل ينفذ إلىٰ ضميرها الداخلي شاعراً بقومه في جميع ما ينظم من موضوعات حتّىٰ في مظاهر الطبيعة وعواطفه الإنسانيّة العامّة، وهي صورة لابدّ أن تعود للشاعر فيها حرّيته، فلا يتقيّد بالصياغة القديمة ولا بنقوشها الزخرفيّة، إنّما يتقيّد بأداء المعاني في عباراتها الصحيحة التي تستوفيها .

والعقّاد يحمل حملة عنيفة علىٰ أحمد شوقي ويرىٰ فيه صيقل ألفاظ، ويرىٰ أنّه لا يلتمس في شعره التعبير الصادق عن النفس إزاء الحياة والكون، وأنّ القصيدة عنده ليست بنية حيّة متماسكة. وهو يخاطبه قائلاً: «اعلم ـ أيّها الشاعر العظيم ـ أنّ الشاعر من يشعر بجوهر الأشياء لا من يعدّدها ويحصي أشكالها وألوانها، وأن ليست مزيّة الشاعر أن يقول لك عن الشيء ماذا يشبه، وإنّما مزيّته أن يقول ما هو ويكشف عن لبابه وصلة الحياة به» .

وهكذا كان العقّاد في نقده رجل الكلمة الحرّة والرأي الجريء وإن بدا في حملاته علىٰ أحمد شوقي وجماعة الشعراء المقلّدين بعض التفريط

والحدّة والقسوة والعنف. وقد أفادت حملاته هذه، فحاول الشعراء أن ينهجوا في شعرهم منهج التجديد وإن لم يتيسّر لمعظمهم أن ينجحوا في تجديدهم، وحاولوا أن يتحرّروا من القيود وإن تجاوز تحرّرهم أحياناً حدود المعقول[١].

شاعريته

للعقّاد دواوين شعريّة منها: يقظة الصباح، ووهج الظهيرة، وأشباح الأصيل، وأشجان الليل، ووحي الأربعين، وهديّة الكروان. وقد عالج فيها موضوعات مختلفة. وهو لا يرىٰ شيئاً غير قابل لأن يكون موضوعاً للشعر وذلك بشرط أن يكون ذا صلة بشعور الشاعر، ولا يكاد القارئ يلمّ بالجزء الأوّل من ديوانه حتّىٰ يرىٰ نفسه بإزاء شعر من نمط غير مألوف في العربيّة، شعر هو ثمرة لقاح الآداب العالميّة والعربيّة في النفس المصريّة الشاعرة الصادقة الحسّ المرهفة الشعور.

والعقّاد في شعره يحاول أن يخرج من النطاق التقليدي للشعر العربي، ولا يرضىٰ بأن يكون هذا الخروج في الصياغة وحدها. وأهمّ الموضوعات التي يكثر من التوقّف عندها الطبيعة والحبّ ؛ فالطبيعة في شعره ذات صلة بالكون والكون هو في قلب الشاعر والشاعر في قلبه. والحبّ عنده ليس جمالاً في الوجه وسواداً في العين ورقّة في الخصر وما إلى ذلك من الصفات الجسديّة، بل هو سموّ في الروح وطيب في الشمائل.

---

(١) الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث ٣٠٢.

قال شوقي ضيف: «تزعّم العقّاد أوّل مدرسة جدّدت الشعر تجديداً واضحاً مستقيماً، وهو تجديد فتحت فيه نوافذ شعرنا على الآداب العالميّة، وزالت عنه غشاوات التقليد، واندفع ليمثّل الروح المصري العربي الأصيل متغنّياً ببواطن السرائر إزاء الإنسان والكون متأمّلاً في الحياة والوجود نافضاً عنه الصورة التقليديّة الحسّية القديمة مفضياً إلىٰ صورة معنويّة جديدة تموج بالمشاعر الوجدانيّة والتأمّلات العقليّة. ولم تعد الوحدة في البيت، بل أصبحت الوحدة القصيدة بنظامها المتساوق الذي تتواصل فيه الأبيات وتتداخل كما تتداخل الخيوط في النسيج، بل تتخلّق كما تتخلّق الأعضاء في الكائن الحيّ»[1].

ما قيل فيه

١ ـ قال حنّا الفاخوري: (كان العقّاد في دراسته رجل التحليل العميق ورجل الفكر الصائب وإن تجاوزت أحياناً استنتاجاته دائرة مقدّماته، وكان هو وطه حسين رائدي الفكر الحديث في الأدب العربي)[2].

٢ ـ وقال وديع فلسطين: (العقّاد معلمة حيّة باقية يرجع إليها الباحثون والمنقّبون فيجدون فيها غايتهم. فأدبه علم وعلمه أدب، وفلسفته منطق ومنطقه فلسفة، وفنّه أصول وأصوله فنّ، ودينه عقل وعقله دين. وهو ـ قبل ذلك وبعده ـ إنسان عظيم يكاد ـ لولا الضعف البشري ـ يكون

---

(١) حكي عنه في المصدر السابق ٣٠٤.

(٢) لاحظ المصدر المتقدّم ٣٠٣.

سوبرمان قليل المثال في تاريخ الفكر العربي. ورجل هذه أطراف معالم شخصيّته لا يجود الزمان بمثله في كلّ ألف عام)[١] .

٣ ـ وقال خير الدين الزركلي: (العقّاد إمام في الأدب مصري من المكثرين كتابة وتصنيفاً مع الابداع... ظلّ اسمه لامعاً مدّة نصف قرن أخرج في خلالها من تصنيفه ٨٣ كتاباً في أنواع مختلفة من الأدب الرفيع)[٢] .

٤ ـ وقال منير البعلبكي: (العقّاد صحافي وشاعر وناقد مصري، دعا إلى التجديد في الأدب والحياة متأثراً بمطالعاته الواسعة في الأدب الإنجليزي. يعتبر من أغزر الكتّاب العرب المعاصرين إنتاجاً وأكثرهم جرأة وأقواهم حجّة)[٣] .

٥ ـ وقال إبراهيم شكري: (كان العقّاد قارئاً عالميّاً، وكان يتابع حركة الشعر في كلّ العالم، وهو في خواتيم العمر يخشىٰ أن يعطي رخصة التجديد ويخشىٰ أن يسيء الشباب بدون أصالة)[٤] .

٦ ـ وقال أسامة أنور عكاشة: (أخطاء الرجل العظيم تكون عظيمة، وكان بداخله فنان رقيق، وكان مع أصدقائه صديق حميم، وسمعت ممّن اتّصلوا به أنّه كان يتمتّع بروح سخرية لاذعة، ذوبانه في الحبّ، وقفاته في البرلمان)[٥] .

---

(١) حكي عنه في المصدر السابق ٢٨٩ .

(٢) الأعلام للزركلي ٣: ٢٦٦ .

(٣) موسوعة المورد ١: ١٣١ .

(٤) حكي عنه في كتاب: عبّاس محمود العقّاد (قطرات من بحر أدبه) ١٦ .

(٥) حكي عنه في المصدر السابق ١٧ .

٧ ـ وقال يوسف إدريس: (كان العقّاد مفكّراً، وكان مشغول جداً بأفكاره عن الأُسلوب، وبقدر ما كان مجدّداً في شعره وكان أوّل ديوان شعر قرأته كان للعقّاد، إلّا أنّه لم يكن مجدّداً في المقال؛ لأنّه كان يتقمّص شخصيّة أُستاذ يلقي محاضرة... وكان العقّاد يعرف أنّه عملاق؛ لأنّه كان يسير في طريق كلّه تعليم عال،
وكان يثبت أنّه أكبر من خرّيجي جامعة الأزهر ودار العلوم)[١].

مؤلّفاته وآثاره

تتوزّع أعمال العقّاد علىٰ كتب في النقد والأدب والفكر والسير، وعلىٰ ترجمة بعض الكتب، وعلىٰ مراجعة بعض الكتب والإشراف عليها، وعلىٰ كتابة مقدّمة لبعضها، وعلىٰ أعمال كتبها بالاشتراك مع آخرين، وعلىٰ كثير من المقالات والدراسات التي نشرت في الصحف والمجلّات.

وقد طبعت أكثر هذه المؤلّفات في القاهرة من سنة ١٩١١ م إلىٰ ما بعد وفاة العقّاد، وقد قام بجمع ونشر بعض آثاره الأساتذة: عامر العقّاد، ومحمود العقّاد، وحسن عبد الله الحسّاني، وبعض دور النشر في بيروت. ثمّ عاد طبع أغلب هذه الكتب مرّات ومرّات.

وسوف ندرج هنا أسماء مؤلّفاته فيما يختصّ بكتب النقد والأدب والفكر والسير[٢]. وهي كما يلي:

---

(١) حكي عنه في المصدر السابق ١٤.

(٢) لقد تمّ ترتيب هذه المؤلّفات حسب سنوات طبعها، فلاحظ.

وراجع أعلام الأدب المعاصر في مصر ١: ١٧٥ ـ ١٨٨.

١ ـ خلاصة اليوميّة .
٢ ـ الإنسان الثاني، أو: المرأة .
٣ ـ مجمع الأحياء .
٤ ـ الشذور .
٥ ـ ديوان يقظة الصباح .
٦ ـ ديوان وهج الظهيرة .
٧ ـ ديوان أشباح الأصيل .
٨ ـ الفصول .
٩ ـ مطالعات في الكتب والحياة .
١٠ ـ مراجعات في الآداب والفنون .
١١ ـ الحكم المطلق في القرن العشرين .
١٢ ـ ديوان العقّاد .
١٣ ـ ساعات بين الكتب .
١٤ ـ اليد القويّة في مصر .
١٥ ـ ابن الرومي (حياته من شعره) .
١٦ ـ تذكار جيتي .
١٧ ـ رواية قمبيز في الميزان .
١٨ ـ ديوان وحي الأربعين .
١٩ ـ ديوان هديّة الكروان .
٢٠ ـ سعد زغلول (سيرة وتحيّة) .

٢١ ـ شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي .

٢٢ ـ عالم السدود والقيود .

٢٣ ـ ديوان عابر سبيل .

٢٤ ـ سارة .

٢٥ ـ رجعة أبي العلاء .

٢٦ ـ النازيّة والأديان السماويّة .

٢٧ ـ هتلر في الميزان .

٢٨ ـ عبقرية محمّد .

٢٩ ـ عبقرية عمر .

٣٠ ـ ديوان أعاصير مغرب .

٣١ ـ عبقرية الصدّيق .

٣٢ ـ عبقرية الإمام علي بن أبي طالب .

٣٣ ـ الصدّيقة بنت الصدّيق (عائشة) .

٣٤ ـ شاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة .

٣٥ ـ عمرو بن العاص .

٣٦ ـ جميل بثينة .

٣٧ ـ أبو الشهداء الحسين بن علي .

٣٨ ـ داعي السماء (بلال بن رباح) .

٣٩ ـ عبقرية خالد .

٤٠ ـ فرنسيس بيكون مجرّب العلم والحياة .

٤١ ـ في بيتي .

٤٢ ـ هذه الشجرة (دراسة شاملة عن المرأة) .

٤٣ ـ أثر العرب في الحضارة الأُوربيّة .

٤٤ ـ الشيخ الرئيس ابن سينا .

٤٥ ـ يسألونك .

٤٦ ـ الله .

٤٧ ـ على الأثير .

٤٨ ـ الفلسفة القرآنيّة .

٤٩ ـ روح عظيم (المهاتما غاندي) .

٥٠ ـ عقائد المفكّرين في القرن العشرين .

٥١ ـ برنارد شو .

٥٢ ـ فلاسفة الحكم في العصر الحديث .

٥٣ ـ ديوان بعد الأعاصير .

٥٤ ـ بين الكتب والناس .

٥٥ ـ الديمقراطيّة في الإسلام .

٥٦ ـ سن ياتسن أبو الصين .

٥٧ ـ ضرب الإسكندرية في ١١ يوليو .

٥٨ ـ القائد الأعظم محمّد علي جناح .

٥٩ ـ ابن رشد .

٦٠ ـ أبو الأنبياء الخليل إبراهيم .

٦١ ـ أبو نواس الحسن بن هانئ .

٦٢ ـ عبقرية المسيح .

٦٣ ـ فاطمة الزهراء والفاطميون .

٦٤ ـ الإسلام في القرن العشرين حاضره ومستقبله .

٦٥ ـ ذو النورين عثمان بن عفّان .

٦٦ ـ مطلع النور، أو: طوالع البعثة المحمّدية .

٦٧ ـ فلسفة الثورة في الميزان .

٦٨ ـ أفيون الشعوب (المذاهب الهدّامة) .

٦٩ ـ بنجامين فرانكلين .

٧٠ ـ جحا الضاحك المضحك .

٧١ ـ الشيوعيّة والإنسانيّة .

٧٢ ـ الصهيونيّة العالميّة .

٧٣ ـ معاوية بن أبي سفيان في الميزان .

٧٤ ـ الإسلام والاستعمار .

٧٥ ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه .

٧٦ ـ مطالعات .

٧٧ ـ لا شيوعيّة ولا استعمار .

٧٨ ـ إبليس .

٧٩ ـ ديوان من دواوين .

٨٠ ـ التعريف بشكسبير .

٨١ ـ القرن العشرون ما كان وما سيكون .

٨٢ ـ عبد الرحمان الكواكبي .

٨٣ ـ الثقافة العربيّة أسبق من ثقافة اليونان والعبريين .

٨٤ ـ المرأة في القرآن الكريم .

٨٥ ـ شاعر أندلسي وجائزة عالميّة .

٨٦ ـ اللغة الشاعرة، مزايا الفنّ والتعبير في اللغة العربيّة .

٨٧ ـ فلسفة الغزالي .

٨٨ ـ الإنسان في القرآن الكريم .

٨٩ ـ التفكير فريضة إسلاميّة .

٩٠ ـ عبقري الإصلاح والتعليم الأُستاذ محمّد عبده .

٩١ ـ أشتات مجتمعات في اللغة والأدب .

٩٢ ـ رجال عرفتهم .

٩٣ ـ ما يقال عن الإسلام .

٩٤ ـ يوميّات .

٩٥ ـ جوائز الأدب العالميّة .

٩٦ ـ أنا .

٩٧ ـ الشطرنج .

٩٨ ـ حياة قلم .

٩٩ ـ المرأة في اللغة .

١٠٠ ـ آراء في الآداب والفنون .

أمّا كتبه التي جمعها ونشرها الآخرون[1]، فكما يلي :

١ ـ آخر كلمات العقّاد .

جمع وتقديم : عامر العقّاد، طبع في القاهرة سنة ١٩٦٥ م .

٢ ـ دراسات في المذاهب الأدبيّة والاجتماعيّة .

جمع ونشر : عامر العقّاد، طبع في القاهرة سنة ١٩٦٧ م .

٣ ـ ديوان ما بعد البعد .

جمع وإعداد : عامر العقّاد، طبع في القاهرة .

٤ ـ ردود وحدود .

جمع ونشر : عامر العقّاد، طبع في القاهرة سنة ١٩٦٩ م .

٥ ـ الإسلام دعوة عالميّة، ومقالات أُخرىٰ .

جمع : محمود أحمد العقّاد، طبع في القاهرة سنة ١٩٧٠ م .

٦ ـ بحوث في اللغة والأدب .

جمع : عامر العقّاد، طبع في القاهرة سنة ١٩٧٠ م .

٧ ـ الحرب العالميّة الثانية .

جمع ونشر : عامر العقّاد، طبع في بيروت سنة ١٩٧٢ م .

٨ ـ الإسلام والحضارة الإنسانيّة .

جمع : حسن عبد الله الحسّاني، طبع في بيروت سنة ١٩٧٣ م .

٩ ـ خواطر في الفنّ والقصّة .

جمع ونشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٣ م .

---

(١) لاحظ المصدر السابق ١ : ١٩١ ـ ١٩٨ .

١٠ ـ دين وفنّ وفلسفة .

جمع ونشر : الهيئة العامّة للكتاب ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٣ م .

١١ ـ الصهيونيّة وفلسطين .

جمع : حسن عبد الله الحسّاني، طبع في بيروت سنة ١٩٧٣ م .

١٢ ـ عيد القلم .

جمع : حسن عبد الله الحسّاني، طبع في بيروت سنة ١٩٧٣ م .

١٣ ـ مع عاهل الجزيرة العربيّة .

جمع : عامر العقّاد، طبع في بيروت سنة ١٩٧٣ م .

١٤ ـ فنون وشجون .

جمع ونشر : دار الجيل ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٤ م .

١٥ ـ قيم ومعايير .

جمع ونشر : دار الجيل ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٤ م .

١٦ ـ مواقف وقضايا في الأدب والسياسة .

جمع ونشر : دار الجيل ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٤ م .

١٧ ـ مذهب ذوي العاهات .

جمع ونشر : محمود أحمد العقّاد، طبع في القاهرة سنة ١٩٧٧ م .

هذا، وقد قام العقّاد بترجمة بعض الكتب ككتاب عرائس وشياطين، وفرنسيس باكون، وألوان من القصّة القصيرة في الأدب الأمريكي، وغيرها[1] .

---

(١) لاحظ المصدر السابق ١ : ٢٣٧ .

وأمّا الكتب التي راجعها وأشرف عليها العقّاد فمنها: تراث الإنسانيّة، وحول مائدة المعرفة، ومن قراءات الأجداد، والمعرفة عند مفكّري المسلمين[١].

وأمّا الكتب التي كتب لها العقّاد مقدّمة فمنها: ديوان المازني، والغربال لميخائيل نعيمة، وديوان الكاظمي، ورحلة الربيع لفؤاد شاكر، وقيس ولبنى لعزيز أباظة، وغيرها[٢].

وأمّا الأعمال التي ألّفها بالاشتراك مع آخرين فمنها: شاعر الهند رابندرات طاغور بالاشتراك مع د. طه حسين وآخرين، وعلمتني الحياة بالاشتراك مع محمّد حسين هيكل وآخرين، والديوان بالاشتراك مع إبراهيم عبد القادر المازني، وعصاميون عظماء من الشرق والغرب بالاشتراك مع محمّد فريد أبي حديد وآخرين[٣].

كما أُحصي له أكثر من (٥٨٧٣) مقالاً صحفيّاً[٤].

وقد بلغ عدد المقالات والدراسات التي كتبت عن العقّاد (٢٠٢١) مقالاً ودراسة، وأمّا الكتب التي كتبت عن حياته باللغة العربيّة فبلغت (٦١) كتاباً، وباللغات الأُخرى (٥٤) كتاباً، وأمّا عدد الكتب التي تناولته في فصول فبلغ عددها (٢٠٩) كتاب[٥].

---

(١) انظر المصدر السابق ١: ٢٤١.

(٢) راجع المصدر السابق ١: ٢٢٧ ـ ٢٣٣.

(٣) قارن المصدر المتقدّم ١: ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٤) لاحظ المصدر السابق ١: ٢٤٥ ـ ٢٧٦ و٢: ٥٧٧ ـ ٧٧١.

(٥) انظر المصدر المتقدّم ٢: ٧٩٩ ـ ٨٠٦ و٨٤٦ و٨٤٩ ـ ١٠٨٢ و١٠٨٥ ـ ١٠٨٩.

وفاته ومدفنه

لقد تنبّأ العقّاد بالموت عندما قال لطاهر الطناحي: «إنّ الابن يأخذ متوسّط عمري أبيه وأُمّه، وقد تنتهي حياتي قبل الثمانين» حيث قد توفّيت والدته في سنّ الثمانين ووالده دون هذا السنّ بقليل، ثمّ ابتسم وقال للطناحي: «إذا فاجأني الموت في وقت من الأوقات فإنّني أُصافحه ولا أخافه بقدر ما أخاف المرض، فالمرض ألم مذلّ لا يحتمل، ولكنّ الموت ينهي كلّ شيء! نعم، إنّ الخوف من الموت غريزة حيّة لا عيب فيها، وإنّما العيب أن يتغلّب هذا الخوف علينا ولا نتغلّب عليه، كما وجب أن نغلبه في موقف الصراع بين الغريزة والضمير، فإنّ الخضوع له في هذه الحالة ضعف، والضعف شرّ من الموت». ثمّ تمثل بأبيات شعر يقول فيها:

ستغرب شمس هذا العمر يوماً ويغمض ناظري ليل الحمامِ
فهل يسري إلىٰ قبري خيال من الدنيا بأبناء الأنامِ
خلعت اسمي على الدنيا ورسمي فما أبكي رحيلي أو مقامِ[1]

وقد توفّي هذا الرجل العظيم في القاهرة في الثاني عشر أو الثالث عشر من شهر آذار سنة ١٩٦٤ م المصادف لسنة ١٨٨٣ هـ، ودفن في أسوان مسقط رأسه[2].

وقد بكاه العلم والأدب والوطن، وتنافست الألسنة في تأبينه، وممّا

---

(١) عبّاس محمود العقّاد (قطرات من بحر أدبه) ١١ ـ ١٢.

(٢) الأعلام للزركلي ٣: ٢٦٦ و٢٦٧، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث ٢٩٢.

قاله د. طه حسين بلوعة وأسف: «أمثالك تموت أجسادهم ؛ لأنّ الموت حقّ على الأحياء جميعاً، ولكنّ ذكرهم لا يموت ؛ لأنّهم فرضوا أنفسهم على الزمان وعلى الناس فرضاً»[1].

هذا الكتاب

قد يقال: إنّ المؤلّفات التي تناول فيها العقّاد بعض التراجم ـ ومنها هذا الكتاب ـ هي ليست بتراجم، أو على الأقل ليست بتراجم فنيّة بالمعنى الحديث لهذا المصطلح ؛ لأنّ كلّ ترجمة بهذا المعنىٰ ترتكز علىٰ دعامتين أساسيتين :

أ ـ بحث تأريخي يقوم فيه المترجم بدور المؤرّخ الحقّ، فيمحّص الوقائع في حيدة تامّة، ويدرس المادّة المتوفّرة لديه بأمانة وموضوعيّة لكي ينفذ في النهاية إلى الحقيقة، ثمّ يرتّب ما توصّل إليه على نحو يتيح تفهّمه واستيعابه .

ب ـ نشاط خيالي يلعب فيه المترجم دور الفنّان، فيقدّم في إطار الحقائق التي توصّل إليها كمؤرّخ بناءً يشبه العمل القصصي الجيّد يطلعنا فيه الكاتب على المترجم له وهو يستكشف الحياة بالتدريج كما نفعل نحن جميعاً .

وعندما نحاول تطبيق الدعامة الأُولىٰ علىٰ أعمال العقّاد فإنّنا نلاحظ هنا عدم توفّر الموضوعيّة في الكثير من الأحيان، ويزيد من اعتماد العقّاد

---

(١) لاحظ الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث ٢٩٢ .

عن الموضوعيّة استخدامه لما أسماه مفتاح الشخصيّة في دراسته لكثير ممّن ترجم لهم، فإنّ هذا الأسلوب يعني في حدّ ذاته الدخول على الموضوع بفكرة قبليّة، فكرة تهتم أساساً بكلّ ما يتمشّىٰ مع هذا المفتاح ويعضده ويهمل أو يكاد كلّ ما لا يتمشّىٰ معه أو يبرزه.

وأمّا الدعامة الثانية فغير متوفّرة هنا؛ لأنّه لم يكتب تراجم تصوّر حياة المترجم لهم في مراحلها الزمنيّة المتعاقبة ومن خلال بناءٍ متماسك يبرز كيف تكشّفت لهم الدنيا وكيف تغيّرت مواقفهم تبعاً لذلك وكيف كان قلقهم وصراعهم مع الحياة، وإنّما كتب فصولاً مستقلّة لكلّ منها طابع المقال المعروض بالعرض المنطقي المباشر، وما هكذا أدب التراجم الإبداعي الذي يقوم على إعمال الخيال رغم التقيّد بالحقائق وفي إطارها والذي يعمد إلىٰ التجسيد والتصوير والتعبير بالمواقف وفتات القرائن.

والعقّاد يحاول تقديم صورة نفسيّة للشخصيّة التي يتناولها في دراسات لجوانب مختلفة منها مفسّراً لبواعث بعض تصرّفاتها في وقائع بعينها وتنويه بمواقفها من أحداث التاريخ التي شاركت في صنعه، فهو مقال منطقي تجريدي مباشر خال من أساليب العمل القصصي وحيله من التعبير باللمسات مثلاً وتتابع المواقف واللجوء إلى التفاصيل الدالّة واستخدام فتات القرائن حتّىٰ يتمّ تجسيد المشاعر والأفكار والصورة النفسيّة أو غير النفسيّة للشخصيّة[1].

ولا يخفىٰ أنّ ما قيل فيه نوع من الشطط والاعتساف وإن كان فيه

---

(١) انظر أعلام الأدب المعاصر في مصر ١: ١٥٠ و١٥١ و١٦٠ و١٦١ و١٦٨.

بعض الواقعيّة.

فخصوص كتاب العقّاد هذا (الحسين بن علي) نجد أنّ عنصر الموضوعيّة متوفّر فيه بجلاء ووضوح، حيث قد تعرّض لهذا الموضوع الهامّ بأمانة وإنصاف منقطع النظير، وأبدىٰ ما له من النظرات فيه مع التمحيص والتحليل الفنّي والنفسي الرائع للأحداث ولبعض الشخصيّات التي بحث عنها في الكتاب.

وأمّا ما ذُكر من فقدان الدعامة الثانية في خصوص هذا الكتاب يمكن توجّه ذلك إليه علىٰ تأمّل فيه.

هذا، ولا تفوتنا الإشارة هنا أنّ أعمال العقّاد في تراجمه قد تميّزت باستخدام البصر النافذ والذكاء الحادّ والمعرفة الواسعة والحجّة الناهضة والقدرة الفذّة على الإقناع واللغة القويّة الدقيقة وتقديم الأبحاث بأُسلوب عصري يجمع صاحبه بين التمكّن من التراث ومن العلوم العصريّة والثقافة العالميّة ولديه الموهبة والقدرات التي تستطيع توظيف هذه المعارف كلّها لتقديم هذه الشخصيّات في قالب عصري حديث.

منهجيّة تحقيق الكتاب

١ ـ الاعتماد في تحقيق الكتاب على النسخة المطبوعة في دار نهضة مصر / الطبعة الثانية / عام ١٩٩٨ م[١].

---

(١) ولا بأس هنا بتدوين الملاحظات التالية:

←

٢ ـ القيام بعملية تقويم النصّ، والإخراج الفني له، وتصحيح الأخطاء المطبعيّة الموجودة في الكتاب دون الإشارة إلى التصحيح ؛ لوضوح الأمر فيه .

٣ ـ القيام بتخريج الآيات القرآنيّة الكريمة والأحاديث الشريفة والنصوص التأريخيّة الواردة في الكتاب .

٤ ـ القيام بالتعليق علىٰ بعض المواضع التي نرىٰ أنّ الأُستاذ العقّاد لم يقم بالتفحّص التامّ وأطلق القول فيها .

٥ ـ شرح الألفاظ اللغويّة الغريبة بالاعتاد على المعاجم اللغويّة المختلفة .

٦ ـ ترجمة أكثر الأعلام الواردة أسماؤهم في ثنايا الكتاب بذكر نبذة مختصرة عن حياتهم ورواياتهم ودراستهم وأهم آثارهم إن وجدت وذكر سنة وفياتهم، ومن ثمّ الإحالة على المعاجم الرجاليّة المطلوبة .

٧ ـ التقديم بدراسة مختصرة حول موضوع الكتاب وحول مؤلّفه .

٨ ـ قد أشرت الىٰ المواضع التي شرحها العقّاد في هامش الكتاب

← الأولىٰ: طبعات هذا الكتاب كالآتي: القاهرة ـ مطبعة المقتطف ـ ١٩٢٩ م. القاهرة ـ مطبعة سعد ـ ١٩٤٤ م. القاهرة ـ دار الهلال ـ ١٩٥١ م. قم ـ دار الشريف الرضي ـ ١٤١٣ هـ. وغيرها من الطبعات .

الثانية: للسيّد محمّد مهدي الموسوي الكاظمي الأصفهاني مؤلّف حول الكتاب اسمه: كتاب أبي الشهداء والعقّاد .

الثالثة: قد ترجم هذا الكتاب الذي نقوم بتحقيقه إلى اللغة الفارسيّة بواسطة الشيخ محمّد كاظم معزّي. وطبع في المكتبة العلميّة الإسلاميّة بطهران .

بلفظ: (من المؤلّف) .

٩ ـ قد تمّ وضع التراجم الواردة في طيّات الكتاب في آخره تحت عنوان: (قائمة التراجم) .

١٠ ـ وضع الفهارس الفنيّة العامّة للكتاب، كفهارس: الآيات، والأحاديث، والأشعار، والأعلام، والطوائف، والمصادر، ومحتوى الكتاب، وغيرها .

وأخيراً أودّ أن أتقدّم بالشكر والتقدير إلىٰ مركز التحقيقات التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة لما بذله من عناية واهتمام في هذا المجال سائلاً المولىٰ العلي القدير أن يوفّق الجميع لما فيه مرضاته وغفرانه تعالىٰ، وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين .

محمّد جاسم داخر الساعدي

٧ / محرّم / ١٤٢٥ هـ

مقدّمة

مقدّمة

يسرّني أن أُقدّم إلى حضرات القرّاء هذه الطبعة من كتاب «أبي الشهداء»، ويعظم رجائي أن يصل إلى أيد كثيرة غير التي وصل إليها في طبعاته السابقة، وأن يتحقّق له من عموم الرسالة بهذه المثابة ما يتمنّاه كلّ مؤلّف لكلّ كتاب يزيد به رسالة من الرسالات.

ليس من عادتي أن اطّلع في كتبي بعد الفراغ من طبعها، ويتّفق أن تمضي السنوات دون أن ألقي عليها نظرة لغير مراجعة عاجلة، فإذا حدث ـ بعد ذلك ـ أن أنظر فيها لتقديمها إلىٰ طبعة جديدة، أمكنني أن أشعر بها شعور القارئ الذي يطّلع عليها لأوّل مرّة؛ بعد أن شعرت بها شعور المؤلّف الذي امتلأ بها وأدارها في نفسه عدّة مرّات. وقد استغرب منها أُموراً كالتي يستغربها القرّاء الذين يحكمون علىٰ موضوعاتها حكم الأجانب الغرباء.

عجباً! إنّ مشكلة الحياة الكبرىٰ لم تتغيّر منذ ألف وثلاث مائة سنة، ولم تزل الحرب علىٰ أشدّها بين خدّام أنفسهم وخدّام العقائد والأمثلة العليا، ولم يزل الشهداء يصلونها ناراً حامية من عبيد البطون والأكباد، ولم

يزل «داؤنا العياء»[١] كما قال أبو العلاء[٢].

كان هذا شعوري بكتاب «أبي الشهداء» حين قرأته من جديد لتقديمه إلىٰ هذه الطبعة.

مسكينة هذه الإنسانيّة! لا تزال في عطش شديد إلىٰ دماء الشهداء، بل لعلّ العطش الشديد يزداد كلّما ازدادت فيها آفات الأثرة والأنانيّة ونسيان المصلحة الخالدة في سبيل المصلحة الزائلة. أو لعلّ العطش الشديد إلىٰ دماء الشهداء يزداد في هذا الزمن خاصّة دون سائر الأزمنة الغابرة؛ لأنّه الزمن الذي وجدت فيه الوحدة الإنسانيّة وجوداً ماديّاً فعليّاً وأصبح لزاماً لها أن توجد في الضمير وفي الروح، كما وجدت في الخريطة الجغرافيّة وفي برامج السفن والطيّارات.

الوحدة الإنسانيّة اليوم حقيقة واقعيّة عمليّة، ولكنّها حقيقة واقعيّة عمليّة في كلّ شيء إلّا في ضمير الإنسان وروح الإنسان.

حقيقة واقعيّة في اشتباك المصالح التجاريّة، وفي اتّصال الأخبار بين كلّ ناحية من الكرة الأرضيّة وناحية أُخرىٰ.

حقيقة واقعيّة في أعصاب الكرة الأرضيّة إذا صحّ هذا التعبير، فلا يضطرب عصب من أعصابها في أقصىٰ المشرق حتّىٰ تتداعى له سائر

---

(١) في قوله:

فانصرفوا والبلاء باقٍ ولم يزل داؤكِ العياءُ

راجع اللزوميات ١: ٥٠.

(٢) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (١).

الأعصاب في أقصىٰ المغرب وفي أقصىٰ الشمال والجنوب.

حقيقة واقعيّة في كلّ شيء إلّا في ضمير الإنسان وفي روح الإنسان، وهذا هو المهمّ والأهمّ إذا أُريدت للإنسانيّة وحدة صحيحة صالحة جديرة بالدوام.

ولن توجد هذه الوحدة إلّا إذا وجد الشهداء في سبيلها.

فأنعم بمقدم «أبي الشهداء» من جديد إلىٰ ضمائر فريق كبير من بني الإنسان، لعلّهم يقدّمون رسالته خطوة واحدة أو خطوات في سبيل اليقين والعمل الخالص لوجه الحقّ والكمال.

نتفاءل أو لا نتفاءل..

نتشاءم أو لا نتشاءم..

ليست هذه هي المسألة، وإنّما المسألة هي أنّ طريق التفاؤل معروف وطريق التشاؤم معروف، فلا تتحقّق مصلحة الإنسانيّة إلّا إذا عمل لها كلّ فرد من أفرادها، وهانت الشهادة من أجلها علىٰ خدّامها، وتقدّم الصفوف من يقدم علىٰ الاستشهاد، ومن ورائه من يؤمن بالشهادة والشهداء.

لا عظة ولا نصيحة، ولكنّها حقيقة تقرّر كما تقرّر الحقائق الرياضيّة.

فلا بقاء للإنسانيّة بغير العمل لها، ولا عمل لها إن لم ينس الفرد مصلحته، بل حياته في سبيلها.

لا بقاء للإنسانيّة بغير الاستشهاد..

وفي هذه الآونة التي تتردّد فيها هذه الحقيقة في كلّ زاوية من زوايا الأرض نلتفت نحن أبناء العربيّة إلىٰ ذكرىٰ شهيدها الأكبر، فنحني الرؤوس إجلالاً لأبي الشهداء.

عبّاس محمود العقّاد

مزاجان تاریخیان

مزاجان تاريخيان

طبائع الناس

يتناوب طبائع الناس مزاجان متقابلان: مزاج يعمل أعماله للأريحيّة[1] والنخوة، ومزاج يعمل أعماله للمنفعة والغنيمة.

والمزاجان لا ينفصلان كلّ الانفصال..

فقد تقترن الأريحيّة بالمنفعة، وتقترن المنفعة بالأريحيّة. ولكنّهما إذا اصطدما ـ ولا سيّما في الأعمال الكبيرة ـ لم يعسر عليك أن تفصل المزاجين وتعزل المعسكرين. فهذا للأريحيّة حتّىٰ يحبّ المنفعة ويخفيها، وهذا للمنفعة حتّىٰ يحبّ الأريحيّة ويخفيها.. أو كذلك يتراءيان.

وأصحاب المطالب الكبرىٰ في التأريخ يعتمدون علىٰ هذا المزاج كما يعتمدون علىٰ ذاك..

فمنهم من يتوسّل إلىٰ الناس بما فيهم من الجشع والخسّة وقرب المأخذ وسهولة المسعىٰ، ومنهم من يتوسّل إلىٰ الناس بما فيهم من طموح إلىٰ النبل

---

(١) الأريحي: الواسع الخُلُق. يقال: أخذته الأريحيّة، إذا ارتاح للندىٰ. (صحاح اللغة ١: ٣٧١).

والنجدة وركوب المخاطر ونسيان الصغائر في سبيل العظائم.

ولكلٍّ منها سبيله إلىٰ النفوس وأمله في النجاح علىٰ حسب الأوقات والبيئات.

إلّا أنّ الأريحيّة أخلد من المنفعة بسنّة من سنن الخلق التي لا تتبدّل مع الأوقات والبيئات؛ لأنّ منفعة الإنسان وجدت لفرد من الأفراد.

أمّا الأريحيّة التي يتجاوز بها الإنسان منفعته فقد وجدت للأُمّة كلّها أو للنوع الإنساني كلّه، ومن ثمّ يكتب لها الدوام إذا اصطدمت بمنافع هذا الفرد أو ذاك.

ولقد يبدو من ظواهر الأُمور أنّ الأمر علىٰ خلاف ما نقول؛ لأنّ الحريص علىٰ منفعته يبلغها ويمضي قدماً إليها، فينال المنفعة التي لا ينالها صاحب الأريحيّة؛ لأنّه يتركها إذا اصطدمت بما هو أجلّ منها.

وهذا صحيح مشهود لا مراء فيه..

ولكنّ النجاح في الحركات التأريخيّة لن يسمّى نجاحاً إذا هو لم يتجاوز حياة فرد أو طائفة من الأفراد.

فإذا قيل: إنّ حركة من الحركات التأريخيّة قد نجحت، فمغزى ذلك بداهة أنّ الأفراد القائمين بها يذهبون وهي الباقية بعد ذهابهم.

ومن هنا يصحّ أن يقال: إنّ الأريحيّة أبقىٰ وأنجح إذا هي اصطدمت بالمنفعة الفرديّة؛ لأن ذهاب الفرد هنا أمر مفروغ منه بعد كلّ حساب، سواء أكان حساب الأريحيين أم حساب النفعيين.

وأصحاب الأريحيّة إذاً أبعد نظراً من دهاة الطامعين والنهّازين

للفرص والمغانم العاجلة؛ لأنّهم خلقوا بفطرتهم علىٰ حساب أعمار تتجاوز حساب عمرهم القصير.

فهم ـ شعروا أو لم يشعروا ـ بعيدو النظر إلىٰ عواقب الأُمور وإن خيّل إلىٰ الناس أنّهم طائشون متهجمون.

أمّا موقف المؤرّخين في العطف علىٰ حركات التأريخ فهو ـ علىٰ ما نرىٰ ـ موقف مزاج من هذين المزاجين، وليس بموقف سبيل من سبل البحث أو مذهب من مذاهب التفكير.

فالذين يجنحون بمزاجهم إلىٰ المنفعة يفهمون أعذار المنتفعين وينكرون ملامتهم علىٰ ناقديهم، والذين يجنحون بمزاجهم إلىٰ الأريحيّة يفهمون دوافع النخوة ويحسبونها عذراً لأصحابها أقوىٰ من غواية المنافع والأرزاق.

إلّا أنّ الصواب هنا ظاهر جدّ الظهور لمن يريد أن يراه..

الصواب أنّ العطف علىٰ جانب المنفعة عبث لا معنىٰ له ولا حكمة فيه، وأنّ العطف علىٰ جانب الأريحيّة واجب يخشىٰ علىٰ الناس من تركه وإهماله؛ إذ كان تركه مناقضاً لصميم الفطرة التي من أجلها فطر الناس علىٰ الإعجاب بكلّ ما يستحقّ الإعجاب.

فليس يخشىٰ علىٰ الناس يوماً أن ينسوا منافعهم ويقصّروا في خدمة أنفسهم، سواء عطف عليها المؤرّخون أو أعرضوا عنها ساخرين منكرين.

ولكنّهم يخسرون الأريحيّة إذا فقدوها وفقدوا الإعجاب بها والتطلّع إليها، وهي التي خلقت ليعجب بها الناس؛ لأنّ حرص الإنسان علىٰ منفعته لا يغنيهم في حياتهم العامّة أو في حياتهم الباقية.

أمّا الأريحيّة التي يتجاوز بها الإنسان نفسه في سبيل معنىً من المعاني أو مثل عال من الأمثلة العليا، فهي الخليقة النافعة للنوع الإنساني بأسره وإن جاز اختلافهم في كلّ معنىً وفي كلّ مثل عال.

صراع بين الأريحيّة والمنفعة

في ماضي الشرق وحاضره كثير من الحركات التأريخيّة التي وقع الصدام فيها بين الأريحيّة والمنفعة علىٰ أكثر من غرض واحد.

ولكنّنا لا نحسبنا مهتدين إلىٰ نموذج لهذا الصدام أوضح في المبادئ وأهدىٰ إلىٰ النتائج وأبين عن خصائص المزاجين معاً من النموذج الذي عرضه لنا التأريخ في النزاع بين الطالبيين والأمويين، ولا سيّما النزاع بينهما علىٰ عهد الحسين بين علي ويزيد بن معاوية.

قلنا في كتابنا: «عبقرية الإمام» ما فحواه: إنّ الكفاح بين علي ومعاوية لم يكن كفاحاً بين رجلين أو بين عقلين وحيلتين، ولكنّه كان ـ علىٰ الحقيقة ـ كفاحاً بين الإمامة الدينيّة والدولة الدنيوية، وإنّ الأيام كانت أيام دولة دنيوية، فغلب الداعون إلىٰ هذه الدولة من حزب معاوية، ولم يغلب الداعون إلىٰ الإمامة من حزب الإمام.

ولو حاول معاوية ما حاوله علي لأخفق وما أفلح، ولو أراد علي أن يسلك غير مسلكه لما أفاده ذلك شيئاً عند محبيه ولا عند مبغضيه[1].

فإذا جاز لأحد أن يشكّ في هذا الرأي وأن يرجع بنجاح معاوية إلىٰ

---

(١) عبقرية الإمام علي ٦٧ ـ ٦٨.

شيء من مزاياه الشخصيّة، فذلك غير جائز في الخلاف بين الحسين ويزيد.

وكلّ ما يجوز هنا أن يقال: إنّ أنصار الدولة الدنيوية غلبوا أنصار الإمامة علىٰ سنّة الخلفاء الراشدين؛ لأنّ مطالب الإمامة غير مطالب الزمان.

ما من أحد قط يزعم أنّ الصراع هنا كان صراعاً بين رجلين أو بين عقلين وحيلتين، وإنّما هو الصراع بين الإمامة والملك الدنيوي، أو بين الأريحيّة والمنفعة في جولتها الأولىٰ، ولم يكن ليزيد قط فضل كبير أو صغير بما قد بلغه من الفوز والغلبة.

بل لا يمكن أن يتعلّل أحد هنا بما يتعلّل به أنصار المنافع عامّة من «تقريره للنظام وحفظه للأمن العامّ»[1].

فإنّ يزيد لم يكن له فضل قط في قيام الدولة كما قامت علىٰ عهده وبعد عهده، وإنّما كانت الدولة تتماسك برغبة الراغبين في بقائها لا بقدرة الأمير المشرف عليها.

وقد حدث بعد موت يزيد أن بويع ابنه معاوية الثاني[2] بالشام ـ وكان من الزاهدين في الحكم ـ فنادىٰ الناس إلىٰ صلاة جامعة، وقال لهم: «أمّا بعد: فإنّي قد ضعفت عن أمركم، فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطّاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجده، فابتغيت ستّة مثل ستّة الشورىٰ[3] فلم

(١) انظر: محاضرات في تاريخ الأُمم الإسلاميّة (الدولة الأُمويّة) ٢: ١٣٠ و١٣٣، دراسة وثقية للتاريخ ٤٥.

(٢) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٢).

(٣) وهم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفّان، وعبد الرحمان بن عوف، وسعد بن أبي ←

أجدهم، فأنتم أولىٰ بأمركم، فاختاروا له من أحببتم»[١]، ثمّ آوىٰ إلىٰ بيته ومضت شؤون الدولة علىٰ حالها حتّىٰ مات بعد ثلاثة أشهر[٢]، وله مع هذا منافس قوي كعبد الله بن الزبير[٣] بالحجاز.

فلا وجه للمفاضلة بين الحسين بن علي ويزيد بن معاوية... ورأي معاوية وأعوانه في هذا أسبق من رأي الطالبيين وخصوم الأُمويين، فقد تردّدوا كثيراً قبل الجهر باختيار يزيد لولاية العهد وبيعة الخلافة بعد أبيه، ولم يستحسنوا ذلك قبل إزجائهم النصح إلىٰ يزيد غير مرّة بالإقلاع عن عيوبه وملاهيه.

ولمّا أنكر بعض أولياء معاوية جرأة الحسين عليه في الخطاب، وأشاروا عليه أن يكتب له كتاباً «يصغّر إليه نفسه»، قال: «وما عسيت أن أعيب حسيناً؟ والله ما أرىٰ للعيب فيه موضعاً»[٤].

* * *

← وقّاص، والزبير بن العوّام، وطلحة بن عبيد الله.

(١) قارن: الإمامة والسياسة ٢: ١٧ ـ ١٨، تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٥٤، مروج الذهب ٣: ٨٢، الكامل في التاريخ ٣: ٣١٩، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٦٨، البداية والنهاية ٨: ٢٣٧ ـ ٢٣٨، سمط النجوم العوالي ٣: ٢١٢.

(٢) واختُلف في سبب موته، فقيل: مات حتف أنفه، وقيل: مات مسموماً، وقيل: بل طعن ومات.

راجع: مروج الذهب ٣: ٨٢، الكامل في التاريخ ٣: ٣١٩، البداية والنهاية ٨: ٢٣٨.

(٣) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٣).

(٤) انظر: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ٣: ١٥٤ ـ ١٥٥.

وثمّ تعلّة أُخرىٰ يتعلّل بها المفاضلون بين علي ومعاوية، ولا موضع لها في المفاضلة بين ولديهما الحسين ويزيد، وتلك ما يزعمونه من: غلبة معاوية علىٰ علي بحجّته في الإقناع ونشاطه أو نشاط أصحابه في الدعوة السياسيّة[1].

فهذه التعلّة إن صلحت لتعليل نجاح معاوية، فما هي بصالحة لتعليل نجاح يزيد؛ لأنّ الذين انخدعوا أو تخادعوا للصيحة التي صاح بها معاوية في المطالبة بدم عثمان، كانوا يردّدون هذه الصيحة، ويساعدهم علىٰ ترديدها حقد الثأر المزعوم وسورة[2] العصبية المهتاجة، ثمّ يساعدهم علىٰ ترديدها في مبدأ الأمر أنّ معاوية لم يكن مجاهراً بطلب الخلافة ولا متعرّضاً لمزاحمة أحد علىٰ البيعة، وإنّما كان يتشبّث بمقتل عثمان والمطالبة بدمه، ولا يزيد في دعواه علىٰ ادّعاء ولاية الدم وصلة القرابة.

ولكنّ الصائحين بهذه الصيحة مع معاوية قد عاشوا حتّىٰ رأوا بأعينهم مبلغ الغيرة علىٰ تراث عثمان، وعلموا أنّ المُلك هو الغرض المقصود من وراء تلك الفتن والأرزاء، وأنّ معاوية لا يقنع بأن يملك لنفسه حتّىٰ يورّث المُلك ولده من بعده، وليس هو من أهل الرأي ولا هو من أهل الصلاح ولا هو ممّن تتّفق عليه آراء هؤلاء، ولكنّه فتىٰ عربيد[3] يقضي ليله

(١) لاحظ دراسة وتقية للتاريخ ٤٢ ـ ٤٣.

هذا، وقد نقل ابن أبي الحديد أوجه المفاضلة والردّ عليها في شرح نهج البلاغة ٥: ٣٧٢ وما بعدها.

(٢) السَوْرَة: السطوة. (صحاح اللغة ٢: ٦٩٠).

(٣) العربدة: سوء الخُلق. (المصدر السابق ٢: ٥٠٨).

ونهاره بين الخمور والطنابير، ولا يفرغ من مجالس النساء والندمان إلّا ليهرج إلىٰ الصيد، فيقضي فيه الأُسبوع بعد الأُسبوع بين الأديرة والبوادي والآجام[1]، لا يبالي خلال ذلك تمهيداً لملك ولا تدريباً علىٰ حكم ولا استطلاعاً لأحوال الرعيّة الذين سيتولّاهم بعد أبيه، ثقةً بما صار إليه من التمهيد والتوطيد وما سوف يصير.

فكلّ خلاف جاز في المفاضلة بين علي ومعاوية غير جائز في المفاضلة بين الحسين ويزيد، وإنّما الموقف الحاسم بينهما موقف الأريحيّة الصراح في مواجهة المنفعة الصراح.

وقد بلغ كلاهما من موقفه أقصىٰ طرفيه وأبعد غايتيه، فانتصر الحسين بأشرف ما في النفس الإنسانيّة من غيرة علىٰ الحقّ وكراهة للنفاق والمداراة، وانتصر يزيد بأرذل ما في النفس الإنسانيّة من جشع ومراء وخنوع لصغار المتع والأهواء.

أقام الحسين ليلته الأخيرة بكربلاء وهو لا ينتظر من عاقبته غير الموت العاجل بعد سويعات، فأذن لأصحابه أن يتفرّقوا عنه تحت الليل إن كانوا يستحيون أن يفارقوه في ضوء النهار، فأبوا إلّا أن يموتوا دونه.

وقال له مسلم بن عوسجة الأسدي: «أنحن نتخلّىٰ عنك ولم نعذر إلىٰ الله في أداء حقّك؟! أمّا والله لا أُفارقك حتّىٰ أكسر في صدورهم رمحي

---

(١) راجع: تاريخ خليفة ١٥٧، مروج الذهب ٣: ٧٧ و٨١، الردّ علىٰ المتعصّب العنيد ٥٣، تذكرة الخواص ٢٨٨ و٢٨٩، البداية والنهاية ٨: ٢٣٠ و٢٣٢ و٢٣٣، تاريخ الخلفاء للسيوطي ٢٠٩، سمط النجوم العوالي ٣: ٢٠٧.

وأضربهم بسيفي ما بقي قائمه بيدي، ولو لم يكن معي سلاح لقذفتهم بالحجارة دونك حتّىٰ أموت معك». وقد برّ مقسمه وبقي ومات[١]...

ودنا منه حبيب بن مظاهر[٢] وهو يجود بنفسه، فقال له: «لولا أنّي أعلم أنّي في أثرك لاحق بك لأحببت أن توصيني حتّىٰ أحفظك بما أنت له أهل»، فقال ـ وكان آخر ما قال ـ: «أوصيك بهذا ـ رحمك الله ـ أن تموت دونه»، وأومأ بيده نحو الحسين[٣].

وقتل الحسين، وذهب الأمل في دولته ودولة الطالبيين من بعده إلىٰ أجل بعيد، ولكنّه كان يشتم بالكلمة العوراء فيهون علىٰ الرجل من أصحاب الأريحيّة أن يموت ولا يصبر علىٰ سماع تلك الكلمة أو يترك الجواب عليها.

فلمّا نعي الحسين في الكوفة نادىٰ واليها ابن زياد[٤] إلىٰ الصلاة جامعة، وصعد إلىٰ المنبر وخطب القوم، فقال: «الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل الكذّاب ابن الكذّاب الحسين بن علي وشيعته».

فما أتمّها حتّىٰ وثب له من جانب المسجد شيخ ضرير هو عبد الله بن

---

(١) قارن: تاريخ أبي مخنف ١: ٤٥٦، أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ٣: ١٨٥، الارشاد ٢: ٩٢، إعلام الورىٰ ١: ٤٥٥ ـ ٤٥٦.

(٢) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٤).

(٣) لاحظ تاريخ أبي مخنف ١: ٤٧٣ ـ ٤٧٤.

(٤) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٥).

عفيف الأزدي الذي ذهبت إحدىٰ عينيه يوم الجمل وذهبت عينه الأُخرىٰ يوم صفّين، فصاح بالوالي غداة يوم انتصاره وزهوه: «يا ابن مرجانة! أتقتل أبناء النبيين وتقوم علىٰ المنبر مقام الصدّيقين؟! إنّما الكذّاب أنت وأبوك والذي ولّاك وأبوه».

فما طلع عليه الصباح إلّا وهو مصلوب[1].

إلىٰ هذا الأُفق الأعلىٰ من الأريحيّة والنخوة ارتفعت بالنفس الإنسانيّة نصرة الحسين، وإلىٰ الأغوار المرذولة من الخسّة والأثرة هبطت بالنفس الإنسانيّة نصرة يزيد..

وحسبك من خسّة ناصريه أنّهم كانوا يجزون بالحطام وهتك الأعراض علىٰ غزو المدينة النبويّة واستباحة ذمارها[2] فيسرعون إلىٰ الجزاء.. يسرعون إليه وليسوا هم بكافرين بالنبي الدفين في تلك المدينة، فيكون لهم عذر الإقدام علىٰ أمر لا يعتقدون فيه التحريم!

بل حسبك من خسّة ناصريه أنّهم كانوا يرعدون من مواجهة الحسين بالضرب في كربلاء؛ لاعتقادهم بكرامته وحقّه، ثمّ ينتزعون لباسه ولباس نسائه فيما انتزعوه من أسلاب! ولو أنّهم كانوا يكفرون بدينه وبرسالة جدّه لكانوا في شرعة المروءة أقلّ خسّة من ذاك.

* * *

وتتقابل وسائل النجاح في المزاجين كما تتقابل المقاصد والغايات..

---

(١) راجع: الإرشاد ٢: ١١٧، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٧.

(٢) ذِمار القوم: ما يجب عليهم حفظه. (جمهرة اللغة ٢: ٦٩٤).

فكان شعار معاوية وأشياعه: «إنّ لله جنوداً من العسل!»[1]، وهو يعني العسل الذي يداف[2] بالسمّ ليخلي طريق النجاح من كلّ معترض فيها ولو كان من الأصدقاء.

فكثرت روايات المؤرّخين عن مقتل الحسن بن علي والأشتر النخعي[3] بهؤلاء الجنود[4]!

وأعجب منها ما قيل عن مقتل عبد الرحمان بن خالد[5]، وقد كان نصيراً لمعاوية في حروب الشام.. فإنّه مات مسموماً علىٰ ما اشتهر من الروايات؛ لأنّه رشّح للخلافة بعد معاوية دون يزيد، وعلم ذلك أقرباء عبد الرحمان بن خالد، فقتلوا طبيب معاوية ابن أثال الذي اتّهموه بسمّه في الدواء[6].

ولو استباح الحسين وشيعته هذه الوسائل مرّة واحدة لكانوا وشيكين أن يبلغوا مقصدهم من قريب.

---

(١) انظر: مروج الذهب ٢: ٤٢٠ ـ ٤٢١، الكامل في التاريخ ٣: ١٧٨، البداية والنهاية ٧: ٣١٣، نسمة السحر ٣: ١٦.

(٢) المداف، أي: المخلوط والممزوج. (المصباح المنير ٢٠٣).

(٣) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٦).

(٤) لاحظ: مروج الذهب ٣: ٥، الإرشاد ٢: ١٦، إعلام الورىٰ ١: ٤٠٣ و٤١٤، الكامل في التاريخ ٣: ٢٢٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٢٢٦، البداية والنهاية ٨: ٤٣.

(٥) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٧).

(٦) قارن: تأريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٣، البداية والنهاية ٨: ٣١.

فقد كان هانئ بن عروة شيخ كندة[١] من أنصار الحسين وأبيه، وكانت كندة كلّها تطيعه وتلبّيه حتّىٰ قيل: «إنّه إذا صرخ لبّاه منهم ألف سيف»[٢].

فزاره عبيد الله بن زياد والي يزيد علىٰ الكوفة ليعوده في بعض مرضه ويتألّفه ويستميله إليه[٣]، وقيل: إنّ هانئاً عرض علىٰ مسلم بن عقيل بن أبي طالب أن يقتل عبيد الله بن زياد وهو عنده[٤]، وقيل: إنّ الذي عرض ذلك رجل من صحبة هانئ المقرّبين[٥]، فأبىٰ مسلم ما عرضه هذا وذاك، وهو يومئذٍ طلبة ذلك الوالي وجنوده قد تعقبوه وأهدروا دمه وأجزلوا الوعود لمن يسلّمه أو يدلّ عليه، وقال: «إنّا أهل بيت نكره الغدر»[٦]، ولو

---

(١) كان هانئ رضي الله عنه شيخاً لمراد، وكندة إنّما كانت حليفة مراد.

راجع مروج الذهب ٣: ٥٩.

(٢) تاريخ الكوفة ٢٩٧.

(٣) وقيل: إنّ الذي زاره ابن زياد هو شريك بن الأعور.

لاحظ مقاتل الطالبيين ٦٥.

(٤) انظر: العقد الفريد ٥: ١٢٧، نهضة الحسين للشهرستاني ٧١.

(٥) قيل: هو عُمارة بن عُبيد السلولي، وقيل: هو شريك بن الأعور. وأكثر المؤرّخين علىٰ الثاني.

راجع: تاريخ أبي مخنف ١: ٤١٢، تاريخ الطبري ٤: ٥٦٧، مقاتل الطالبيين ٦٥، تنزيه الأنبياء والأئمّة ٢٧٠ ـ ٢٧١، المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٩١ ـ ٩٢، الكامل في التاريخ ٣: ٢٦٩.

(٦) قارن المصادر المتقدّمة.

أنّه بطش بابن زياد لقد بطش يومئذٍ بأكبر أنصار يزيد.

وليقل من شاء: إنّ قتل ابن زياد كان صواباً راجحاً، وإنّ التحرّج من قتله كان خطأً فادحاً من وجهة السياسة أو من وجهة الأخلاق، فالذي لا يشكّ فيه أنّه إن كان صواباً فهو صواب سهل يستطيعه كثيرون، وإن كان خطأً فهو الخطأ الصعب الذي لا يستطيعه إلّا القليلون.

كذلك يقول من يقول: إنّ الأريحيّة التي سَمَت إليها طبائع أنصار الحسين إنّما هي أريحيّة الإيمان الذي يعتقد صاحبه أنّه يموت في نصرة الحسين فيذهب لساعته إلىٰ جنّات النعيم.

فهؤلاء الذين يقولون هذا القول يجعلون المنفعة وحدها باعث الإنسان إلىٰ جميع أعماله، حتّىٰ ما صدر منها عن عقيدة وإيمان، وينسون أنّ المنفعة وحدها لن تفسر لنا حتّىٰ الغرائز الحيوانيّة التي يصاب من جرّائها الفرد طوعاً أو كرهاً في خدمة نوعه، بل ينسون أنّ أنصار يزيد لا يكرهون جنّات النعيم ولا يكفرون بها، فلماذا لم يطلبوها كما طلبها أنصار الحسين؟ إنّهم لم يطلبوها؛ لأنّهم منقادون لغواية أُخرىٰ ولأنّهم لا يملكون عزيمة الإيمان ونخوة العقيدة، ولا تلك القوّة الخلقيّة التي يتغلبون بها علىٰ رهبة الموت ويقدعون[1] بها وساوس التعلّق بالعيش والخنوع للمتعة القريبة. فلولا اختلاف الطبائع لظهر شغف الناس جميعاً بجنّات النعيم علىٰ نحو واحد، ومضىٰ الناس علىٰ سنّة واحدة في الأريحيّة والفداء، ومرجع الأمر إذاً في آخر المطاف إلىٰ فرق واضح بين طبائع الأريحيين وطبائع النفعيين.

---

(١) قدعت فلاناً: كففته عمّا يريد. (جمهرة اللغة ٢: ٦٦١).

وكذلك يقول من يقول: إنّ الأريحيّة في نفوس أنصار الحسين كانت أريحيّة أفراد معدودين ثبتوا معه ولم يخذلوه إلىٰ يومه الأخير.

وينسىٰ هؤلاء أنّ الارتفاع ليقاس بالقمّة الواحدة كما يقاس بالقمم الكثيرة، وأنّ الغور ليسبر في مكان واحد كما يسبر في كلّ مكان، وإنّما تكون الندرة هنا أدلّ علىٰ جلالة المرتقى الذي تطيقه النفس الواحدة أو الأنفس المعدودات، ولا تطيقه نفوس الأكثرين.

فدار الخلاف إذاً في هذه الجولة التأريخيّة إنّما هو الفارق الخالد بين مزاجين بارزين كائناً ما كان تفسير المفسّرين للعقائد الروحيّة والمطامع السياسيّة، ولم يتلاق هذان المزاجان علىٰ تناحر وتناجز كما تلاقيا عامّة في النزاع بين الطالبيين والأُمويين، وخاصّة في النزاع بين الحسين ويزيد.

فحياة الحسين ﷺ صفحة، لا صفحة تماثلها في توضيح الفارق بين خصائص هذين المزاجين وبيان ما لكلٍّ منهما من عدّة للنجاح في كفاح الحياة، سواء نظرنا إلىٰ الأمد البعيد أو قصرنا النظر علىٰ الأمد القريب.

الخصومة

الخصومة

أسباب التنافس والخصومة

قبل أن يقف الحسين ويزيد متناجزين كانت الحوادث قد جمعت لهما أسباب التنافس والخصومة منذ أجيال. وكان هذا التنافس بينهما يرجع إلىٰ كلّ سبب يوجب النفرة بين رجلين: من العصبيّة، إلىٰ الترات الموروثة، إلىٰ السياسة، إلىٰ العاطفة الشخصيّة، إلىٰ اختلاف الخليقة والنشأة والتفكير.

تنافس هاشم وأُميّة علىٰ الزعامة قبل أن يولد معاوية. فخرج أُميّة ناقماً إلىٰ الشام، وبقي هاشم منفرداً بزعامة بني عبد مناف في مكّة[1].

فكان هذا أوّل انقسام وتقسيم بين الأُمويين والهاشميين. هؤلاء يعتصمون بالشام، وهؤلاء يعتصمون بالحجاز.

ثمّ علا نجم أبي سفيان بن حرب بن أُميّة[2] في الحجاز. فأصبحت له زعامة مرموقة إلىٰ جانب الزعامة الهاشميّة[3].

---

(١) لاحظ النزاع والتخاصم ٣٨ ـ ٤١.

(٢) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٨).

(٣) في الحقيقة لم يكن أبو سفيان قبل ظهور الدعوة الإسلاميّة متسنّماً لكرسي الزعامة ←

فلمّا ظهرت الدعوة المحمّديّة أخذته الغيرة علىٰ زعامته، فكان في طليعة المحاربين للدعوة الجديدة، وندرت غزوة من الغزوات لم تكن فيها لأبي سفيان أصبُع ظاهرة في تأليب القبائل وجمع الأموال.

وشاءت المصادفات زمناً من الأزمان أن يظلّ وحده علىٰ زعامة قريش في حربها للنبي ﷺ. فمات الوليد بن المغيرة زعيم مخزوم، ودان زعماء تيم وبني عدي وغيرهم من البطون القرشيّة الصغيرة بالإسلام، وبقي أبو سفيان وحده علىٰ رأس الزعامة الجاهليّة والزعامة الأُمويّة في منازلة النبي ومن معه من المهاجرين والأنصار.

وبلغ من تغلغل العداء في هذه الأُسرة للنبي ﷺ أنّ أبا لهب عمّه كان أوحد أعمامه في الكيد له والتأليب عليه، وإنّما جاءه هذا من بنائه بأُمّ جميل بنت حرب أُخت أبي سفيان التي وصفها القرآن بأنّها ﴿حَمَّالَةَ الحَطَبِ﴾[1] كناية عن السعي في الشرّ وتأريث نار البغضاء.

ثمّ فتحت مكّة، فوقف أبو سفيان ينظر إلىٰ جيش المسلمين ويقول للعبّاس بن عبد المطّلب[2]: «والله ـ يا أبا الفضل ـ لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً». فلمّا قال العبّاس: «إنّها النبوّة!»، قال: «نعم

← الهاشميّة، كيف والحال أنّ أبا طالب كان وقتها زعيم بني هاشم بلا منازع؟!

راجع كتب التأريخ في هذا الصدد كتاريخ الطبري ومروج الذهب والكامل وغيرها، وكذلك راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ١٣٤ ـ ٢٠٤.

(١) سورة المسد ١١١: ٤.

(٢) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٩).

إذن!»[١].

وقد أسلم أبو سفيان وابنه معاوية عند فتح مكّة، وكان إسلام بيته أعسر إسلام عرف بعد فتحها.

فكانت زوجه هند بنت عتبة[٢] تصيح في القوم بعد إسلامه: «اقتلوا الخبيث الدنس الذي لا خير فيه.. قبح من طليعة قوم.. هلّا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم!»[٣].

* * *

وظلّ أبو سفيان إلىٰ ما بعد إسلامه زمناً يحسب غلبة الإسلام غلبة عليه، فنظر إلىٰ النبي مرّة وهو بالمسجد نظرة الحائر المتعجّب وهو يقول لنفسه: «ليت شعري بأيّ شيء غلبني!»، فلم يخف عن النبي ﷺ معنىٰ هذه النظرة، وأقبل عليه حتّىٰ ضرب يده بين كتفيه، وقال له: «بالله غلبتك يا أبا سفيان!»[٤].

وكان في غزوة حنين يشهد هزيمة المسلمين الأُولىٰ، فيقول: «ما أراهم يقفون دون البحر!»[٥].

---

(١) قارن: السيرة النبويّة لابن هشام ٤: ٥٣، الأغاني ٦: ٣٣٣، الكامل في التاريخ ٢: ١٦٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ١٩١، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٠٥، البداية والنهاية ٤: ٢٩٠.

(٢) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (١٠).

(٣) راجع: إعلام الورىٰ ١: ٢٢٣، البداية والنهاية ٤: ٢٩١.

(٤) البداية والنهاية ٤: ٣٠٤.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢: ٦٢، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٠٨، البداية والنهاية ٤: ٣٢٧، النصائح الكافية ١١٠.

وقيل: إنّه كان في حروب الشام يهتف كلّما تقدّم الروم: «إيه بني الأصفر!»، فإذا تراجعوا عاد فقال: «ويل لبني الأصفر!»[١].

* * *

وقد تألّفه النبي ﷺ ما استطاع قبل فتح مكّة وبعد فتحها، فتزوّج بنته أُمّ حبيبة[٢] قبل الفتح، وجعل بيته بعد الفتح حرماً «من دخله فهو آمن ومن أغلق عليه داره فهو آمن»[٣]، وأقامه علىٰ رأس المؤلّفة قلوبهم الذين يزاد لهم في العطاء عسىٰ أن يذهب ما في نفوسهم من الكراهة لغلبة الإسلام.

ومع هذا كان المسلمون يوجسون منه، فلا ينظرون إليه ولا يقاعدونه، حتّىٰ برم بذلك وأحبّ أن يمسح ما بصدورهم من قبله.. فتوسّل إلىٰ النبي أن يجعل معاوية كاتباً بين يديه وأن يأمره ليقاتل الكفّار كما كان يقاتل المسلمين.

ثمّ قبض النبي ﷺ ونجم الخلاف علىٰ مبايعة الخليفة بعده بين المهاجرين والأنصار وبين بعض الصحابة من جهة أُخرىٰ، فاشرأب أبو سفيان إلىٰ هذه الفتنة، وخيّل إليه أنّه مصيب بين فتوقها ثغرة ينفذ منها إلىٰ

---

(١) لاحظ: الأغاني ٦: ٣٣٣، الكامل في التاريخ ٢: ٢٨٤، النزاع والتخاصم ٥٤، النصائح الكافية ١١٠.

(٢) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (١١).

(٣) انظر: تاريخ اليعقوبي ٢: ٥٩، الأغاني ٦: ٣٣٢ ـ ٣٣٣، إعلام الورىٰ ١: ٢٢٢، البداية والنهاية ٤: ٢٩٢ و٣٠٧.

السيادة علىٰ قريش، ثمّ السيادة من هذا الطريق علىٰ الأُمّة الإسلاميّة بأسرها.

فدخل علىٰ علي والعبّاس يثيرهما ويعرض عليهما المعونة بما في وسعه من خيل ورجل، فنادىٰ بهما: «يا علي! وأنت يا عبّاس!.. ما بال هذا الأمر في أذل قبيلة من قريش وأقلّها؟ والله لو شئت لأملأنّها عليه ـ [أي:] علىٰ أبي بكر ـ خيلاً ورجلاً وآخذنّها عليه من أقطارها».

وهو لا ريب لم يغضب لأنّ الخلافة قد فاتت بني هاشم، ولا كان يسرّه أن تصير الخلافة إليهم فتستقرّ فيهم قراراً لا طاقة له بتحويله، ولكنّه أراد خلافاً يفتح الباب لزعامة أُمويّة يملك بها زمام قريش والدولة العربيّة جمعاء.

فلم يخف مقصده هذا علىٰ علي عليه السلام، وقال له: «لا والله، لا أُريد أن تملأها عليه خيلاً ورجلاً، ولولا أنّنا رأينا أبا بكر لذلك أهلاً ما خلّيناه وإيّاها». ثمّ أنّبه قائلاً: «يا أبا سفيان!.. إنّ المؤمنين قوم نصحة بعضهم لبعض، وإنّ المنافقين قوم غششة بعضهم لبعض، متخاونون وإن قربت ديارهم وأبدانهم»[1].

(١) راجع: تاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٦، الأغاني ٦: ٣٣٤، الإرشاد ١: ١٩٠، إعلام الورىٰ ١: ٢٧١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٢٠٠، النزاع والتخاصم ٥٥، النصائح الكافية ١١٠.

ولكنّ المشهور في هذه الحادثة أنّ علياً عليه السلام قال: «ارجع يا أبا سفيان، فوالله ما تريد الله

←

وانقضت خلافة أبي بكر وخلافة عمر والأُمور تجري في مجراها الذي يأخذ علىٰ المطامع سبيلها، ويخيف أصحاب الفتن أن يبرزوا بها من جحورها.

حتّىٰ قامت خلافة عثمان بن عفّان فانتصر بها الأُمويون أيّما انتصار؛ لأنّه رأس من رؤوسهم وابن عمٍّ قريب لزعماء بيوتهم، وأصبحت الدولة الإسلاميّة أُمويّة لا يطمع في خيراتها ولا ولاياتها إلّا من كان من أُميّة أو من حزبها.

فمروان بن الحكم[1] وزير الخليفة الأكبر يغدق العطاء علىٰ الأقرباء ويحبسها عن سائر الناس[2]، ومعاوية بن أبي سفيان والي الشام يجتذب إليه الأقرباء والأولياء ومن يرجىٰ منهم العون ويخشىٰ منهم الخلاف.

فلمّا قتل عثمان ﷺ كان المنتفعون بمناصب الدولة وأموالها جميعاً من الأُمويين أو من صنائعهم المقرّبين، ومال السلطان إلىٰ جانب أُميّة علىٰ كلّ جانب آخر من القرشيين وغير القرشيين.

* * *

← بما تقول، وما زلت تكيد الإسلام وأهله، ونحن مشاغيل برسول الله ﷺ، وعلىٰ كلّ امرئٍ ما اكتسب وهو ولي ما احتقب».

لاحظ المصادر المتقدّمة باستثناء الأوّل والأخير.

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (١٢).

(٢) حيث وهبه عثمان خمس أفريقيا. لاحظ: الإمامة والسياسة ١: ٥٠، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٣، الكامل في التاريخ ٣: ٤٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٦ و٢٨، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٥٦.

لا جرم كان الصراع ـ بعد ذلك ـ صراعاً معروف النهاية من مطلع البداية، فقتل علي بن أبي طالب غيلة، وخلصت الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان.

ثمّ بايع أُناس من أهل العراق وفارس الحسن بن علي، فلم يستقم له أمرهم وضاق صدره بجدالهم ومحالهم، وكان رجلاً سكّيتاً يكره المنازعة ويجنح إلىٰ العزلة[١]، فصالح معاوية علىٰ شروط، وفّىٰ له معاوية بالمعجّل منها والتوىٰ عليه بمؤجّلها[٢]. وزاد علىٰ ذلك ـ كما تواتر في شتّىٰ الروايات ـ

---

(١) المسألة ليست مسألة حبّ السكوت وكراهة المنازعة والجنوح إلىٰ العزلة، وإنّما أشياء أُخر طويت عنها كشحاً مراعاة للاختصار. ومن أراد الاطّلاع فليراجع كتاب صلح الحسن لآل ياسين.

(٢) لا بأس هنا بالإشارة إلىٰ صورة المعاهدة التي وقّعها الفريقان:

المادّة الأُولىٰ: تسليم الأمر إلىٰ معاوية، علىٰ أن يعمل بالكتاب والسنّة وسيرة الخلفاء الصالحين.

المادّة الثانية: أن يكون الأمر للحسن من بعده، ومن بعد الحسن للحسين، وليس لمعاوية العهد به لأحد.

المادّة الثالثة: ترك سبّ الإمام علي والقنوت عليه بالصلاة، وأن لا يذكر علياً إلّا بخير.

المادّة الرابعة: استثناء ما في بيت مال الكوفة، فلا يشمله تسليم الأمر، وعلىٰ معاوية أن يحمل للحسين كلّ عام ألفي ألف درهم، وأن يفضّل بني هاشم علىٰ بن عبد شمس في العطاء، وأن يفرّق في أولاد من قُتل مع علي يوم الجمل وصفّين مليون درهم.

المادّة الخامسة: الأمان لأصحاب علي وشيعته، وأن لا يبغي معاوية لأحد من أهل بيت رسول الله ﷺ غائلة.

←

أنّه أغرى امرأته جعدة بنت الأشعث بسمّه، ووعدها أن يزوّجها يزيد ويعطيها مائة ألف درهم، فوفىٰ بوعد المال ولم يف بوعد الزواج[1].

وقد أوصىٰ الحسن عليه السلام أن يدفن عند قبر جدّه، إلّا أن تخاف فتنة. فلمّا توفّي أرادوا دفنه حيث أوصىٰ، فقام مروان بن الحكم وجمع بني أُميّة وزمرتهم ومنعوا مشيعيه، فأنكر الحسين عليهم منع سبط النبي أن يدفن إلىٰ جوار جدّه، فقيل له: «إنّ أخاك قال: إذا خفتم الفتنة ففي مقابر المسلمين سعة، وهذه فتنة»، فسكت علىٰ مضض[2].

أهداف معاوية

وقد كان معاوية ـ ولا ريب ـ ينوي أن يجعلها دولة أُمويّة متعاقبة في ذرّيته من بعده، منذ تصدّى للخلافة وخلا له المجال من أقوىٰ منافسيه، إلّا

← وكان الشرط الأوّل هو الشرط الوحيد الذي حظي بالوفاء من بين شروط المعاهدة! راجع صلح الحسن لآل ياسين ٢٥٩ ـ ٢٦١ و ٣٠١ وما بعدها.

(١) انظر: تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٥، مروج الذهب ٣: ٥، مقاتل الطالبيين ٣١و٤٨، دلائل الإمامة ٦١، الإرشاد ٢: ١٦، الاستيعاب ١: ٤٤٠، البدء والتاريخ ٦: ٥، تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٣٠٠، تذكرة الخواص ٢١١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٢١٢ و٢٢٤ و٢٣٦، الإصابة ٢: ١٣.

(٢) قارن: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ٣: ٦٠، تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٥، دلائل الإمامة ٦١، الإرشاد ٢: ١٦، الاستيعاب ١: ٤٤٢، البدء والتاريخ ٦: ٥، تذكرة الخواص ٢١١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٢١٣ ـ ٢١٤ و٢٣٧، كفاية الطالب ٤١٥، الحسن والحسين لمحمّد رضا ٥٥.

أنّه كان يتردّد ويتكتم ولا يفضي بنيّته إلىٰ أقرب المقرّبين إليه، ثمّ كبرت سنّه وخاف أن يعجل عن قصده، فمهّد لبيعة ابنه يزيد بعض التمهيد، وتوصّل إلىٰ ذلك بما طاب له من وسيلة.

فلبّاه أهل الشام وكتب ببيعته إلىٰ الآفاق، ثمّ همّه أمر الحجاز، فكتب إلىٰ مروان بن الحكم عامله أن يجمع من قبله لأخذ البيعة منهم ليزيد، فأبىٰ مروان وأغرىٰ رؤوس قريش بالإباء؛ لأنّه كان يتطلّع إلىٰ الخلافة بعد معاوية ويحسبه أقدر عليها من يزيد؛ لما اشتهر به من نقص وعبث، فعزله معاوية وولّىٰ سعيد بن العاص[1] مكانه، فلم يجبه أحد إلىٰ ما أراد.

فكتب معاوية إلىٰ عبد الله بن عبّاس[2]، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله ابن جعفر[3]، والحسين بن علي، وأمر عامله سعيداً أن يوصل كتبه إليهم ويبعث إليه بجواباتها، وقال لسعيد: «فهمت ما ذكرت من إبطاء الناس، وقد كتبت إلىٰ رؤسائهم كتباً فسلّمها إليهم، ولتشدّ عزيمتك وتحسن نيّتك، وعليك بالرفق. وانظر حسيناً خاصّة فلا يناله منك مكروه، فإنّ له قرابة وحقّاً عظيماً لا ينكره مسلم ولا مسلمة، وهو ليث عرين، ولست آمنك إن ساورته ألّا تقوىٰ عليه».

فأعيت سعيد بن العاص كلّ حيلة في إقناع وجهاء الناس وعامّتهم بهذه البيعة البغيضة، وخفّ معاوية إلىٰ مكّة ومعه الجند وحقائب الأموال،

---

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (١٣).

(٢) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (١٤).

(٣) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (١٥).

ودعا بأولئك النفر، فقال لهم: «قد علمتم سيرتي فيكم وصلتي لأرحامكم. يزيد أخوكم وابن عمّكم، وأردت أن تقدّموا يزيد باسم الخلافة، وتكونوا أنتم تعزلون وتؤمّرون وتجبون المال وتقسّمونه».

فأجاب عبد الله بن الزبير، وخيّره بين أن يصنع كما صنع رسول الله إذ لم يستخلف أحداً، أو كما صنع أبو بكر إذ عهد إلىٰ رجل ليس من بني أبيه، أو كما صنع عمر إذ جعل الأمر شورىٰ في ستّة نفر ليس فيهم أحد من ولده ولا من بني أبيه.

فقال معاوية مغضباً: «هل عندك غير هذا؟».

قال: «لا».

والتفت إلىٰ الآخرين يسألهم قائلاً: «فأنتم؟»، فوافقوا ابن الزبير.

فقال متوعّداً: «أعذر من أنذر!.. إنّي كنت أخطب فيكم، فيقوم إليّ القائم منكم فيكذّبني علىٰ رؤوس الناس، فأحمل ذلك وأصفح، وإنّي قائم بمقالة.. فأُقسم بالله لئن ردّ عليّ أحدكم كلمة في مقامي هذا، لا ترجع إليه كلمة غيرها حتّىٰ يسبقها السيف إلىٰ رأسه، فلا يبقينّ رجل إلّا علىٰ نفسه!».

ثمّ أمر صاحب حرسه أن يقيم علىٰ رأس كلّ منهم رجلين مع كلّ واحد منهما سيف، وقال له: «إن ذهب رجل منهم يردّ علىٰ كلمة بتصديق أو تكذيب، فليضرباه بسيفيهما».

ثمّ خرج بهم إلىٰ المسجد ورقىٰ المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، وقال: «هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يبرم أمر دونهم ولا يقضى إلّا علىٰ مشورتهم، وإنّهم قد رضوا وبايعوا ليزيد، فبايعوه علىٰ اسم الله»،

فبايع الناس[١].

وهكذا كانت البيعة ليزيد في الحجاز.

* * *

ومات معاوية وهو يعلم أنّ بيعة كهذه لا تجوز ولا تؤمن عقباها.. فأوصىٰ ابنه: «أنّه لا يخاف إلّا هؤلاء من قريش: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر[٢]، وعبد الله بن الزبير».

قال: «فأمّا عبد الله بن عمر فرجل قد وقذته[٣] العبادة وإذا لم يبق أحد غيره بايعك. وأمّا الحسين بن علي فلا أظنّ أهل العراق تاركيه حتّىٰ يخرجوه، فإنّ خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه. فإنّ له رحماً ماسّة وحقّاً عظيماً[٤]. أمّا ابن الزبير فإنّه خبّ ضبّ[٥]. فإذا أمكنته فرصة وثب،

---

(١) لاحظ: تاريخ خليفة ١٣١ ـ ١٣٣، العقد الفريد ٥: ١٢٠ ـ ١٢١، المنتظم ٥: ٢٨٥ ـ ٢٨٧، الكامل في التاريخ ٣: ٢٤٩ ـ ٢٥٢، تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات ٤١ هـ ـ ٦٠ هـ) ١٤٨ ـ ١٥٢، البداية والنهاية ٨: ٧٩ ـ ٨٠، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٩٦ ـ ١٩٧، سمط النجوم العوالي ٣: ١٤٧ ـ ١٥٢.

وحول كلام ابن الزبير بأنّ الرسول ﷺ لم يستخلف أحداً، راجع ما ذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٥: ١٦٦ ـ ١٦٨.

(٢) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (١٦).

(٣) الوقذ: الضرب حتّىٰ الاسترخاء. ويقال: وقذه النعاس: إذا غلبه. (صحاح اللغة ٢: ٥٧٢).

(٤) قد يقال: بأنّه لو صحّ أنّ معاوية قد أوصىٰ يزيد بالحسين فذلك لأنّه يعلم بأنّ قتل الحسين سيجرّ عليه وعلىٰ البيت الأُموي بكامله الخراب والدمار.

(٥) خبّ الرجل: إذا كان غاشّاً منكراً. والضبّ: الحقد. (جمهرة اللغة ١: ٦٥ و ٧٢).

فإن هو فعلها فقدرت عليه، فقطّعه إرباً إرباً، إلّا أن يلتمس منك صلحاً، فإن فعل فاقبل واحقن دماء قومك ما استطعت »[١].

خلافة يزيد

وآل الأمر ـ على هذا النحو ـ إلى يزيد في سنة ستّين للهجرة، وهو بين الرابعة والثلاثين والخامسة والثلاثين. ولكنّه دون أنداده في تجارب الأيام، وليس حوله من المشيرين والنصحاء أمثال: المغيرة[٢]، وزياد[٣]، وعمرو بن العاص[٤]، وغيرهم من القروم[٥] الذين كانوا حول أبيه.

فتهيّب ما هو مقدم عليه، وكتب إلى عامله بالمدينة الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان[٦]: « أن خذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتّى يبايعوا. والسلام ».

---

(١) راجع: تاريخ أبي مخنف ١: ٣٩٢ ـ ٣٩٣، الأخبار الطوال ٢٢٦، تاريخ الطبري ٤: ٥٣٤، العقد الفريد ٥: ١٢٢، المنتظم ٥: ٣٢٠، الكامل في التاريخ ٣: ٢٥٩ ـ ٢٦٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ٣٤١.

(٢) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (١٧).

(٣) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (١٨).

(٤) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (١٩).

(٥) القرم: السيّد. وأصله: البعير المكرَم، لا يُحمل عليه ولا يذلّل، ولكن يكون للفِحْلة. (صحاح اللغة ٥: ٢٠٠٩).

(٦) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٢٠).

فبعث الوليد إلى مروان بن الحكم يستشيره ، وكان مروان يريد الخلافة لنفسه ، ولكنّه علم ـ بعد موت معاوية وقيام يزيد ـ أنّ الأمر اليوم أمر بني أُميّة ، فإن خرج منهم فقد خرج منهم أجمعين ، فنصح للوليد نصيحة ذات وجهين : ظاهرها الشدّة في الدعوة ليزيد ، وباطنها السعي إلى الخلاص من يزيد ومنافسيه .

فقال : « أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر ، فتدعوهم إلى البيعة . أمّا ابن عمر فلا أراه يرى القتال ، ولكن عليك بالحسين وعبد الله بن الزبير فإن بايعا ، وإلاّ فاضرب أعناقهما » .

وضرب عنق الحسين وابن الزبير معناه الخلاص من أعظم المنافسين ليزيد ، ثمّ الخلاص من يزيد نفسه بإثارة النفوس وإيغار الصدور عليه !

* * *

وقد ذهب رسول الوليد إلى الحسين وابن الزبير ، فوجدهما في المسجد ، فعلم الحسين ما يراد منه ، وجمع طائفة من مواليه يحملون السلاح ، وقال لهم ـ وهو يدخل بيت الوليد ـ : « إن دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا فاقتحموا عليَّ بأجمعكم ، وإلاّ فلا تبرحوا حتّى أخرج إليكم » .

فلمّا عرضوا عليه البيعة ليزيد قال : « أمّا البيعة فإنّ مثلي لا يعطي بيعته سرّاً ، ولا أراك تقنع بها منّي سرّاً » .

قال الوليد : « أجل » .

قال الحسين : « فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا معهم ، فكان الأمر واحداً » .

ثمّ انصرف ومروان غاضب صامت لا يتكلّم .

وما هو إلاّ أن توارى الحسين حتّى صاح بالوليد : « عصيتني والله ! لا قدرت منه على مثلها أبداً حتّى تكثر القتلى بينكم وبينه » .

فأنكر الوليد لجاجته ، وقال له : « أتشير عليَّ بقتل الحسين ؟ ! والله إنّ الذي يحاسب بدم الحسين يوم القيامة لخفيف الميزان عند الله »[1] .

وهكذا انتهت المنافسة بين بني أُميّة وبني هاشم إلى مفترق طريق لا سبيل فيه إلى توفيق ، ولم تنقطع قط سلسلة هذه المنافسة منذ أجيال وإن غلبها الإسلام في عهد النبوّة ، وفي عهد الصدّيق والفاروق .

وكفى بالإسلام فضلاً في هذا المجال أنّه غلب العصبيّة بالعقيدة ، فجعلها تابعة لها غير قادرة على الجهر بمخالفتها . ولكنّ العصبيّة المكبوحة عصبيّة موجودة غير معدومة .

* * *

وكثيراً ما يفلت المكبوح من عنانه وإن طالت به الرياضة والانقياد .

فاتّفق كثيراً في مساجلات[2] شتّى بين كبار الصحابة أن بدرت إلى

---

(١) ذُكرت هذه الحادثة بتفاصيلها في : تاريخ خليفة ١٤٤ ، الأخبار الطوال ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ، تاريخ الطبري ٤ : ٥٤٨ ـ ٥٥٠ ، الإرشاد ٢ : ٣٢ ـ ٣٤ ، إعلام الورى ١ : ٤٣٤ ـ ٤٣٥ ، المنتظم ٥ : ٣٢٣ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٢٦٣ ـ ٢٦٤ ، البداية والنهاية ٨ : ١٤٦ ـ ١٤٧ ، سمط النجوم العوالي ٣ : ١٦٣ .

(٢) المساجلة : المفاخرة . (لسان العرب ٦ : ١٨١) .

اللسان بوادر العصبيّة والنبي ﷺ حاضر .

فلمّا أشار عمر بقتل أبي سفيان ـ على خلاف رأي العبّاس في استبقائه وتألّفه ـ قال العبّاس : « مهلاً يا عمر ! فوالله لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت مثل هذا ، ولكنّك قد عرفت أنّه من رجال عبد مناف »[١] .

ولما توثّب أُسيد بن حُضير[٢] لضرب أعناق المفترين على السيّدة عائشة[٣] ثار به سعد بن عبادة[٤] وصاح به : « كذبت لعمر الله ! ما تضرب أعناقهم . أما والله ما قلت هذه المقالة إلاّ أنّك قد عرفت أنّهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ـ الأوس ـ ما قلت هذا »[٥] .

وقد مات الفاروق وهو يوصي عليّاً ، فيقول : « اتّق الله يا علي إن ولّيت شيئاً ، فلا تحملنّ بني هاشم على رقاب المسلمين » .

ثمّ يلتفت إلى عثمان ، فيقول له : « اتّق الله إن ولّيت شيئاً ، فلا تحملنّ بني أُميّة على رقاب المسلمين »[٦] .

* * *

(١) لاحظ : الكامل في التاريخ ٢ : ١٦٥ ، البداية والنهاية ٤ : ٢٨٩ ـ ٢٩٠ .

(٢) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٢١) .

(٣) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٢٢) .

(٤) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٢٣) .

(٥) قارن : السيرة النبويّة لابن هشام ٣ : ٣٢٨ ، المنتظم ٣ : ٢٢٣ ، البداية والنهاية ٤ : ١٦١ .

(٦) راجع : الإمامة والسياسة ١ : ٤٣ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٢٧ .

ومن عجائب الحيل التي تحاول بها الغرائز الإنسانيّة أن تبقي وجودها وتمضي لطيّتها ، أنّ بني أُميّة انتفعوا من حرب الإسلام للعصبيّة في تعزيز عصبيتهم ، فجعلوها حجّة على بني هاشم : أنّ النبوّة لا تحصر الأمر فيهم ، وأنّ الأنبياء لا يورّثون[١] .

وإذا نهضت هذه الحجّة على بني هاشم ، فبنو أُميّة أقوى المنتفعين بها من بطون عبد مناف !

وقد أوجبت الضرورة قبل المجاملة في هذه المنافسات فترة من الزمن على عهد معاوية بن أبي سفيان ، فكان يلطف القول إلى أبناء علي ويواليهم بالهدايا والمجاملات ، ولكنّه كان مضطراً إلى مجاملة آل علي ومضطراً إلى تنقّص علي والغضّ من دعواه ، فكان بذلك مضطراً إلى النقيضين في آن [واحد] .

إنّه ملك ، وبايع بالملك ليزيد وهو يعلم أنّه غالب بالسلاح والمال

---

(١) هذه هي مقالة الخليفة أبي بكر لفاطمة الزهراء عندما طالبته بحقّها في فدك . لاحظ تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٧ .

ولا يخفى أنّ القول : بأنّ الخلافة خرجت عن بني هاشم وأهل البيت لئلا يقال : إنّ خلافتهم ملك متوارث ، وما في معناه .

مردود : بأنّ الخلافة مقام ومنصب ديني ، ولن يتم ويحصل منها الغرض إلاّ إذا قام بها أخصّ الناس بالدين وأولاهم بالمسلمين ، ولو كان لمثل هذا التخرّص حكم لما أوجب الله تعالى الصلاة على النبي ﷺ وآل بيته عليهم السلام ، ولما جعل لهم الخمس ، ولما افترض على الأمّة حبّهم ، فالجواب عن هذه الأُمور هو الجواب عن الخلافة .

هذا على نحو الاختصار ، وإلاّ فالمقام مقام كلام طويل جدّاً طويت عنه كشحاً .

مغلوب بالسمعة والشعور .

فكان الناس يفضّلون عليّاً عليه ، وهو لا يملك أن يفاضله بقرابة النبي ، ولا بالسابقة إلى الإسلام ، ولا بالعراقة في قريش .

فتجنّب النسب والسابقة ، وعمد إلى شخص علي في منازعات الخلافة ، فاتّهمه بتفرّقة الكلمة بين المسلمين ، وأمر بلعنه على المنابر[1] عسى أن يضعف من تلك المكانة التي هو مغلوب بها ، ويستبقي الدولة التي هو بها غالب .

ولجّ في ذلك حتّى قتل أُناساً لم يطيعوه في لعن علي واتّهامه[2] ، وأبى أن يجيب الحسن بن علي إلى شرطه الذي أراد به أن يرفع اللعن عن أبيه[3] .

وكان معاوية ـ على حصافته[4] ـ يجهل أنّه قد أضاع سمعةً وشعوراً من حيث حارب عليّاً في مقام السمعة والشعور .

---

(١) انظر : النصائح الكافية ٩٠ و٩١ . الغدير ١٠ : ٣١٢ .

(٢) كحجر بن عدي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، ورُشيد الهجري ، وعبد الله بن يحيىٰ الحضرمي ، وجويرية بن مسهر العبدي ، وأوفىٰ بن حصن ، وغيرهم من الرجال الصالحين ﷺ .

قارن : البداية والنهاية ٨ : ٤٩ ـ ٥٥ . تاريخ الكوفة ٢٨٥ ـ ٢٩٢ و٣٠٧ ـ ٣٠٩ . صلح الحسن لآل ياسين ٣٢٠ ـ ٣٦٠ .

(٣) راجع ما نقله آل ياسين في كتابه : (صلح الحسن ٣١٥ ـ ٣١٧) عن ابن أبي الحديد والمسعودي والطبري وغيرهم .

ولاحظ كذلك : الكامل في التاريخ ٣ : ٢٠٧ . النصائح الكافية ٧٣ و٩٧ و١٠١ و١٩٤ .

(٤) رجل حصيف العقل والرأي : سديده . (جمهرة اللغة ١ : ٥٤٠) .

وإنّ مجاملة كهذه التي تحيي الرجل وتغضّ من قدر أبيه هي أضعف مجاملة بين متلاقيين ، فضلاً عن خصمين متنافسين قد آل بهما التنافس بعد أجيال إلى مفترق الطريق .

زواج الحسين

وكأنّما كانت هذه المنافسة المؤصّلة الجذور لا تكفي قصاص التاريخ ، فأضاف إليها أُناس من ثقاتهم قصّة منافسة أُخرى هي وحدها كافية للنفرة بين قلبين متآلفين ، وهي : قصّة زواج الحسين ﷺ بزينب[١] بنت إسحاق التي كان يهواها يزيد هوىً أدنفه[٢] وأعياه .

وكانت زينب هذه ـ على ما قيل ـ أشهر فتيات زمانها بالجمال ، وكانت زوجة لعبد الله بن سلام القرشي والي العراق من قبل معاوية .

فمرض يزيد بحبّها ، وأخفى سرّه عن أهله ، حتّى استخرجه منه بعض خصيان القصر[٣] الذين يعينونه على شهواته .

فلمّا علم أبوه سرّ مرضه أرسل في طلب عبد الله بن سلام ، واستدعى إليه أبا هريرة[٤] وأبا الدرداء[٥] ، فقال لهما : إنّ له ابنة يريد زواجها ، ولم

---

(١) في أغلب المصادر سمّيت بـ (أُرينب) بدل : (زينب) ، كما سيأتي ذكر ذلك عمّا قريب .

(٢) الدَنَف : المرض الملازم . (صحاح اللغة ٤ : ١٣٦٠) .

(٣) اسمه رفيف على ما في الإتحاف بحبّ الأشراف ٢٠١ .

(٤) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٢٤) .

(٥) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٢٥) .

يرض لها خليلاً غير ابن سلام ؛ لدينه وفضله وشرفه ورغبة معاوية في تكريمه وتقريبه .

فخدع ابن سلام بما بلغه ، وفاتح معاوية في خطبة ابنته ، فوكّل معاوية الأمر إلى أبي هريرة ليبلّغها ويستمع جوابها .

فكان جوابها المتّفق عليه بينها وبين أبيها أنّها لا تكره ما اختاروه ، ولكنّها تخشى الضرّ ، وتشفق أن يسوقها إلى ما يغضب الله .

فطلّق ابن سلام زوجته ، واستنجز معاوية وعده ، فإذا هو يلويه به ، ويقول بلسان ابنته : إنّها توجس من رجل يطلّق زوجته وهي ابنة عمّه وأجمل نساء عصره .

وقيل : إنّ الحسين سمع بهذه المكيدة ، فسأل أبا هريرة أن يذكره عند زينب خاطباً .

فصدع أبو هريرة بأمره ، وقال لزينب : « إنّك لا تعدمين طلاّباً خيراً من عبد الله بن سلام » .

قالت : « من » ؟

قال : « يزيد بن معاوية والحسين بن علي ، وهما معروفان لديك بأحسن ما تبتغينه في الرجال » .

واستشارته في اختيار أيّهما ، فقال : « لا أختار فم أحد على فم قبّله رسول الله ، تضعين شفتيك في موضع شفتيه » .

فقالت : « لا أختار على الحسين بن علي أحداً وهو ريحانة النبي وسيّد شباب أهل الجنّة » .

فقال معاوية متغيّظاً :

أنعمي أمّ خالد   ربّ ساع لقاعد

ولم يلبث الحسين أن ردّها إلى زوجها قائلاً : « ما أدخلتها في بيتي وتحت نكاحي رغبةً في مالها ولا جمالها ، ولكن أردت إحلالها لبعلها » .

فإن صحّت هذه القصّة ـ وهي متواترة في تواريخ الثقات[1] ـ فقد تمّ

---

(١) الإمامة والسياسة ١ : ٢١٧ ـ ٢٢٣ ، الإتحاف بحبّ الأشراف ٢٠١ ـ ٢١٠ .

ونحن ـ كما قاله بعض المحقّقين ـ نشكّ في صحّة هذه الرواية ، ونكاد نقطع بأنّها مفتعلة .

أمّا الدوافع التي نعتقد أنّها الباعثة على افتعال هذه الرواية ، فسوف نتعرّض إلى جانب منها في أواخر كلامنا .

وأمّا ما نستند إليه في حكمنا على هذه الرواية بالاختلاق والافتعال فيتلخّص فيما يلي :

١ ـ إنّ أحد الشخصيات البارزة في هذه الرواية هو أبو الدرداء ، وإذا رجعنا إلى تاريخ وفاة أبي الدرداء فإنّنا نجد أنّه لا يساعد على صحّة هذه الرواية . .

وذلك لأنّهم يقولون : إنّه توفّي قبل عثمان بسنتين ، وقيل : توفّي سنة ثلاث أو اثنين أو أربع أو واحد وثلاثين بدمشق ، وقيل : توفّي بعد صفّين سنة ثمان أو تسع وثلاثين ، والأصحّ والأشهر والأكثر عند أهل العلم وأهل الحديث أنّه توفّي في خلافة عثمان بعد أن ولاّه معاوية قضاء دمشق . (راجع : الاستيعاب ٣ : ٣٠ و ٤ : ٢١٢ ، أسد الغابة ٤ : ١٦٠ و ٥ : ١٨٦ ، الإصابة ٥ : ٤٦) .

واستدل ابن الأثير على أصحّية موته في خلافة عثمان بقوله : (لو بقي لكان له ذكر بعد مقتل عثمان ، إمّا في الاعتزال وإمّا في مباشرة القتال ، ولم يسمع له بذكر فيهما البتة) . (لاحظ أسد الغابة ٤ : ١٦٠) .

←

← ولعلّ من مؤيّدات بقاء أبي الدرداء إلى سنة ثمان أوتسع وثلاثين ما نقله ابن أعثم في فتوحه والدينوري في الأخبار الطوال من : أنّ معاوية أرسل أبا الدرداء وأبا أمامة الباهلي إلى علي ، يطلب منه أن يسلّم إليه قتلة عثمان ، فأقبلا إلى علي ، فأخبراه بذلك ، فاعتزل من عسكره زهاء عشرين ألف رجل ، فصاحوا جميعاً : «نحن قتلنا عثمان» ، فخرج أبو الدرداء وأبو أمامة ، فلحقا ببعض السواحل ، ولم يشهدا شيئاً من تلك الحروب . (راجع : الأخبار الطوال ١٧٠ ، الفتوح لابن أعثم ٣ : ٩٣ ـ ٩٥) .

وعلى أيٍّ من التقادير ، سواء اعتمدنا القول الأصحّ والأشهر أم اعتمدنا القول الآخر ، فإنّ هذه الحادثة غير متصوّرة تأريخياً؛ لأنّ صريح هذه الرواية أنّ هذه القضية وقعت بعد البيعة ليزيد بولاية العهد ، أي : بعد سنة ٤٩ هـ التي فيها توفّي الإمام الحسن عليه السلام . (انظر : الإمامة والسياسة ١ : ١٩٦ تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٢٨) بل في مروج الذهب أنّه إنّما بويع ليزيد بولاية العهد سنة ٥٩ هـ . وعلى هذا فأبو هريرة أيضاً لم يكن حينئذٍ حياً .

أي : بعد مضي سنوات عديدة على وفاة أبي الدرداء ، فكيف يكون أبو الدرداء أحد أبطالها ؟ !

٢ ـ إذا كانت وفاة أبي الدرداء هي ما ذكرنا ، وإذا كانت ولادة يزيد نفسه سنة ٣١ هـ على ما يقوله المسعودي (انظر مروج الذهب ٣ : ٦٣) ، أو في سنة ٢٧ هـ أو ٢٦ هـ أو ٢٥ هـ كما يقوله آخرون (راجع : البداية والنهاية ٨ : ٢٢٦ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ٢٠٥) فإنّ ابن سنة واحدة أو أربع أوخمس أو اثني عشر ـ على اختلاف النسب والأقوال ـ لا يكون مؤهّلاً لما أهّلته له هذه الرواية من ذلك العشق المضني والهوى الجارف ، ولا يكون مؤهّلاً أيضاً لتلك النقاشات القوّية التي جرت بينه وبين أبيه معاوية ، اللهمّ إلاّ إذا كان قد أُوتي الحكم صبياً !

←

← ولا يكون مؤهّلاً أيضاً لأن يكون مستشاراً ومفزعاً لأبيه في المعضلات والأمور العظام، حسبما نصّت عليه هذه الرواية.

٣ ـ قد ذكرت هذه الرواية بطلاً آخر لا بدّ من ملاحظة دوره هنا، وهذا البطل هو: عبد الله ابن سلام، وذكرت أنّه كان والياً على العراق من قبل معاوية..

ولقد راجعت العديد من كتب التاريخ، فلم أجد فيمن استعملهم معاوية على العراق ولا على غيره من الأمصار طيلة فترة حكمه رجلاً يحمل اسم: (عبد الله بن سلام) رغم عناية المؤرّخين الفائقة في ذكر المعزولين والمولّين عاماً فعاماً على مختلف الولايات والأمصار. (راجع التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٤: ٩٤ ـ ٩٩).

٤ ـ هذه الرواية تنصّ على أنّ عبد الله بن سلام كان والياً على العراق من قبل معاوية.. وكلّنا يعلم أنّ العراق لم يدخل في حكم معاوية إلاّ في سنة ٤١ هـ، أي: بعد صلحه مع الإمام الحسن وبعد وفاة أبي الدرداء بمدّة طويلة.

٥ ـ ولقد راجعت عدداً من كتب الرجال والتاريخ، فلم أجد ذكراً إلاّ لثلاثة رجال باسم عبد الله بن سلام، اثنان منهما زمانهما متأخّر عن تلك الفترة؛ لكونهما ممّن عاش في القرن الثاني، والثالث هو عبد الله بن سلام الحبر اليهودي، وهذا الأخير لا يمكن أن يكون مراداً؛ لعدّة أمور:

فأوّلاً: هو ليس قرشياً، والرواية تنصّ على قرشيّة بطلها المذكور، وهذا إسرائيلي أنصاري، وكان من بني قينقاع.

وثانياً: إنّ هذا قد توفّي سنة ٤٣ هـ حسب قول جماعة. (لاحظ: الاستيعاب ٣: ٥٤، أسد الغابة ٣: ١٧٧، البداية والنهاية ٨: ٢٧، الإصابة ٤: ٨١، نقلاً عن: الطبري والهيثم بن عدي وابن سعد وأبي عبيد والبغوي وأبي أحمد العسكري وغيرهم)، فحينئذٍ نقول فيه نفس ما قلنا أوّلاً وثانياً وثالثاً، فراجع.

←

← وثالثاً : إنّ سنّ عبد الله بن سلام الإسرائيلي كان في هذه الفترة عالياً ، وكان شيخاً كبيراً ، وهذا لا يتناسب مع ما توحي به هذه الرواية من الغرام المتبادل بينه وبين زوجته أُرينب التي كانت في ريعان الصبا ، والتي عشقها يزيد قبل أن يتزوّجها عبد الله .

وكيف تقدم طفلة يضرب بجمالها المثل وتسير به الركبان على الاقتران بشيخ كبير ، ثمّ تغرم بحبّه حتّى تفضّله على كلّ أحد وإن كان ذلك الشخص هو ولي عهد المسلمين ؟!

ورابعاً : لا نعلم أنّ هذا الحبر اليهودي قدم العراق أصلاً ، وليس في ما بأيدينا من كتب التاريخ والرجال ما يشير إلى ذلك .

٦ ـ أُسلوب الرواية غريب وعجيب ، وهو أشبه بأُسلوب القصّة التي تؤنّق وتنمّق في مجالس السمر والسهر ، ويبدو عليها الاصطناع واضحاً جليّاً ، إذا ما قورنت بنظائرها من القصص والروايات التأريخيّة .

وعلى كلٍّ ، فإنّ الأُسلوب المسرحي التمثيلي المصطنع هو الصفة الطاغية على الرواية ولا سيّما بملاحظة بعض التعبيرات التي فيها ممّا لا يكاد يخفى على أحد . فليراجع العرض الكامل لها في كتاب : الإمامة والسياسة وغيره .

٧ ـ يلاحظ في الرواية أنّ طلاق الحسين لأُرينب الوهمي قد جاء موافقاً للطريقة التي لا يرتضيها أهل البيت عليهم السلام وليست من مذهبهم ولا عرفت عنهم ، إلاّ في حالات نادرة من تقيّة ونحوها ممّا ليس محلّه هنا .

وأخيراً فقد بقيت مواضع عديدة ملفتة للنظر في هذه الرواية نذكر منها :

ما ذكر من مكانة ومنزلة عبد الله بن سلام في قريش ، ومكانته من معاوية بالخصوص .

وأيضاً ما ذكر من أنّ يزيداً يشكو أباه على تقصيره في أمره بالنسبة لأُرينب حتّى تزوّجها رجل آخر مع العلم بأنّ أباه لم يكن يعلم بحبّه لها ! وإنّما كان هو يتوقّع أن يخطبها له لمجرّد اشتهار جمالها وكمالها وأدبها .

←

← وكذلك كون أُرينب ـ مثلاً ـ الأُولى في أهل زمانها في جمالها . . . الخ ، مع العلم بعدم وصول ذلك إلينا من طريق هذه الرواية رغم اعتناء كتب الأدب والتاريخ بهذه الأُمور عناية فائقة !

وأيضاً كيفيّة الأخذ والردّ بين معاوية وبين عبد الله بن سلام ، وكيفية المحاورات التي جرت بينهما ، وما يتضمّن ذلك من أنّ عبد الله خطبها من معاوية أكثر من مرّة رغم أنّ معاوية كان هو الذي طلب من عبد الله هذا الأمر عن طريق أبي الدرداء ورفيقه .

وكذلك ما يقال من : أنّ معاوية كتب إلى يزيد يعلمه بما جرى ! أين كان يزيد آنئذٍ عن هذه المسرحية ، ولماذا أبعده أبوه عنه مع أنّه هو المستشار له في المعضلات والمفزع له في الملمات ؟!

وإذا كان قد ذاع أمره بين الناس وشاع ونقلوه إلى الأمصار وتحدّثوا به في الأسمار وفي الليل والنهار ، فلماذا يغفل عن ذكر قضيته التي لا تدانيها طرافة وغرابة أيّة قضية أُخرى أشهر المؤرّخين كالطبري وابن الأثير وابن كثير واليعقوبي والمسعودي وأضرابهم مع اهتمامهم الشديد بكلّ غريبة وإيراد كلّ عجيبة لا سيّما إذا كانت تتعلّق بخلفاء بني أُميّة وبني العباس وترتبط بهم ؟! وكيف ينكر معاوية أنّه قد خدع عبد الله بن سلام ؟! ولماذا اختارت أن ترسل لاستشارة أبي الدرداء في أمرها حتّى ولو كان في أقاصي البلاد ؟ وهل كان من أهل قرابتها وأهل نحلتها وبلادها ؟ وماذا يمثّل أبو الدرداء في أمر كهذا ؟! إلى آخر ما هنالك ممّا لا يتّسع المجال لذكره هنا .

وأمّا إذا أردنا أن نتكلّم عن الدوافع التي دعت إلى وضع هذه الرواية ، فلعلّنا نستطيع أن نضيف إلى بعض ما ذكرناه سابقاً : إرادة تخفيف حدّة اللوم الذي يتوجّه إلى يزيد بقتله الحسين ، وذلك بسبب وجود إحن وأحقاد قديمة ، كان الحسين هو السبب في وجودها لا سيّما وأنّ ما أقدم عليه الحسين كان بمثابة صدمة عاطفيّة وطعنة نجلاء في صميم

←

بها ما نقص من النفرة والخصومة بين الرجلين ، وكان قيام يزيد على الخلافة يوم فصل في هذه الخصومة لا يقبل الإرجاء ، وكان بينهما ـ كما أسلفنا ـ مفترق طريق .

← قلب يزيد الذي برح به الهوى وألظّ به الشوق . وواضح أنّ ذلك يعتبر من الأسباب الرئيسة في تخفيف فظاعة الجريمة ومضاعفة عقابها .

الخصمان

الخصمان

موازنة

لخّص المقريزي[1] المنافسة التي بين الهاشميين والأُمويين في بيتين ، فقال :

عبد شمس قد أضرمت لبني هاشم حرباً يشيب منها الوليد
فابن حرب للمصطفى ، وابن هند لعلي ، وللحسين يزيد[2]

وسنعرض في ختام هذا الفصل عرضاً موجزاً لهذه المقابلة المتسلسلة بين أفراد الأُسرتين ؛ لتحقيق الرأي فيها ، ولكننا لجتزئ هنا بالمقابلة بين الخصمين المتصاولين من هاشم وعبد شمس في شخصي الحسين ويزيد .

فأيّاً كان الميزان الذي يوزن به كلٌّ من الرجلين ، فلا مراء البتّة في خير الرجلين .

---

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٢٦) .

(٢) النزاع والتخاصم ٥٩ . وانظر فصل الحاكم للعلوي ٩ .

وورد البيت الأوّل في النصائح الكافية (١١١) بهذا اللفظ :

آل حرب أوقدتمو نار حرب ليس يخبو لها الزمان وقود .

وما من رجل فاز حيث ينبغي أن يخيب كما قد فاز يزيد بن معاوية في حربه للحسين ، وما اختصم رجلان كان أحدهما أوضح حقّاً وأظهر فضلاً من الحسين في خصومته ليزيد بن معاوية .

والموازنة بين هذين الخصمين هي في بعض وجوهها موازنة بين الهاشميين والأُمويين من بداءة الخلاف بين الأُسرتين ، وهي موازنة حفظت كفّتيها على وضعها زهاء سبعة قرون ، فلم يظهر في هذه القرون أُموي قح ، إلاّ ظهرت فيه الخصال الأُمويّة المعهودة في القبيلة بأسرها ، ولم يظهر في خلالها هاشمي قح ، إلاّ رأيت فيه ملامح من تلك الخصال التي بلغت مثلها الأعلى في محمّد بن عبد الله ﷺ .

والهاشميون والأُمويين من أرومة[1] واحدة ترتفع إلى عبد مناف ، ثمّ إلى قريش في أصلها الأصيل .

ولكنّ الأسرتين تختلفان في الأخلاق والأمزجة وإن اتّحدتا في الأرومة .. فبنو هاشم في الأغلب مثاليون أريحيون ولا سيّما أبناء فاطمة الزهراء، وبنو أُميّة في الأغلب الأعمّ عمليون نفعيون ولا سيّما الأُصلاء منهم في عبد شمس من الآباء والأُمّهات.

وتفسير هذا الاختلاف مع اتّحاد الأرومة غير عسير .. فإنّ الأخوين في البيت الواحد قد يختلفان في الأخلاق والأعمال، كما يختلف الغريبان من أُمّتين بعيدتين تبعاً لاختلاف سلسلة الميراث في الأُصول والفروع، على ذلك النحو الذي يأذن أحياناً باختلاف الألوان والملامح في نسل واحد،

---

(١) الأروم : أصل الشجرة والقرن . (صحاح اللغة ٥ : ١٨٦٠) .

تأخذ كلّ شعبة منه بناحية من نواحي الوراثة.

* * *

ومن الثابت الذي لا نزاع فيه أنّ عبد المطّلب وأُميّة كانا يختلفان حتّىٰ في الصورة والقامة والملامح.

وفي نسل أُميّة شبهة نشير إليها ولا نزيد، فهي محلّ الإشارة والمراجعة في هذا المقام.

دخل دغفل النسّابة[1] علىٰ معاوية، فقال له: «من رأيت من علية قريش؟». فقال: «رأيت عبد المطّلب بن هاشم وأُميّة بن عبد شمس». فقال: «صفهما لي». فقال: «كان عبد المطّلب أبيض مديد القامة حسن الوجه في جبينه نور النبوّة وعزّ الملك، يطيف به عشرة من بنيه كأنّهم أُسد غاب». قال: «فصف أُميّة». قال: «رأيته شيخاً قصيراً نحيف الجسم ضريراً، يقوده عبده ذكوان». فقال معاوية: «مه!.. ذاك ابنه أبو عمرو»، فقال دغفل: «ذلك شيء قلتموه بعد وأحدثتموه.. وأمّا الذي عرفت فهو الذي أخبرتك به»[2].

وذكر الهيثم بن عدي[3] في كتاب المثالب: أنّ أبا عمرو بن أُميّة كان عبداً لأُمية اسمه ذكوان فاستلحقه.

---

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٢٧).

(٢) الروض الآنف ٣: ٦٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ١٥٩.

(٣) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٢٨).

ونقل أبو الفرج الأصبهاني[١] ـ وهو من الأمويين ـ ما تقدّم[٢]، فلم يعرض له بتفنيد.

ووضح الفرق بين بني هاشم وبني أميّة في الخلائق والمناقب في الجاهليّة قبل الإسلام.

فكان الهاشميون سراعاً إلىٰ النجدة ونصرة الحقّ والتعاون عليه، ولم يكن بنو أُميّة كذلك. فتخلّفوا عن حلف الفضول الذي نهض به بنو هاشم وحلفاؤهم. وهو الحلف الذي اتّفق فيه نخبة من رؤساء قريش «ليكوننّ مع المظلوم حتّىٰ يؤدّوا إليه حقّه، وليأخذنّ أنفسهم بالتآسي في المعاش والتساهم في المال، وليمنعنّ القوي من ظلم الضعيف والقاطن من عنف الغريب»، واتّفقوا علىٰ هذا الحلف؛ لأنّ العاص بن وائل[٣] اشترىٰ بضاعة من رجل زبيدي ولواه[٤] بثمنها، فنصروا الرجل الغريب علىٰ القرشي وأعطوه حقّه[٥].

ولمّا تنافر عبد المطّلب وحرب بن أُميّة إلىٰ نفيل بن عدي قضىٰ لعبد المطّلب، وقال لحرب:

---

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٢٩).

(٢) حُكي عنه في: الروض الآنف ٣: ٦٥، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ١٥٩.

(٣) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٣٠).

(٤) لواه دينه: مَطَلَه. (لسان العرب ١٢: ٣٦٨).

(٥) انظر: مروج الذهب ٢: ٢٧٦ ـ ٢٧٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ١٣٨ ـ ١٣٩.

أبـوك مـعاهر وأبـوه عـفّ   وذاد الفيل عن بلد الحرام[١]

يشير إلىٰ فيل أبرهة الذي أغار به علىٰ مكّة. وقال عن أُميّة: إنّه «معاهر»؛ لأنّه كان يتعرّض للنساء، وقد ضرب بالسيف مرّة؛ لأنّه تعرّض لامرأة من بني زهرة[٢]، وكان له تصرّف عجيب في علاقات الزواج والبنوّة، فاستلحق عبده ذكوان وزوّجه امرأته في حياته، ولم يعرف سيّد من سادات الجاهليّة قط صنع هذا الصنيع.

اختلاف النشأة

وندع اختلاف الطبائع ومغامز النسب، ثمّ ننظر في اختلاف النشأة والعادة ـ مع اختلاف الخلقة الجسديّة ـ فنرىٰ أنّهما صالحتان لتفسير الفارق بين أبناء هاشم وأبناء عبد شمس بعد جيلين أو ثلاثة أجيال..

فقد كان بنو هاشم يعملون في الرئاسة الدينيّة، وبنو عبد شمس يعملون في التجارة أو الرئاسة السياسيّة. وهما ما هما في الجاهليّة من الربا والمماكسة والغبن والتطفيف والتزييف.

فلا عجب أن يختلفا هذا الاختلاف بين أخلاق الصراحة وأخلاق المساومة، وبين وسائل الإيمان ووسائل الحيلة علىٰ النجاح.

ويتّفق كثيراً في الكهانات الوثنيّة أن يتّصف رؤساء الأديان بصفات

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ١٤١، النزاع والتخاصم ٤١ و٤٢. وفي المصدر: أنّ المتنافر إليه هو نفيل بن عبد العزّىٰ بن رياح.

(٢) راجع المصدرين السابقين.

الرياء والدهاء والعبث بأحلام الأغرار والجهلاء، ولكنّهم يتّصفون بهذه الصفة حين يعلمون الكذب فيما يمارسون من شعائر الكهانة ومظاهر العبادة، ويتّخذونها صناعة يروّجونها لمنفعتهم أو لما يقدرون فيها من منفعة أُولئك الأغرار والجهلاء.

أمّا أبناء هاشم فلم يكونوا من طراز أُولئك الكهّان المشعوذين، ولا كانوا من المحتالين بالكهانة علىٰ خداع أنفسهم وخداع المؤمنين والمصدّقين، بل كانوا يؤمنون بالبيت وربّ البيت.

وبلغ من إيمانهم بدينهم أنّ عبد المطّلب جدّ النبي ﷺ أوشك أن يذبح ابنه فدية لربّ البيت؛ لأنّه «نذر لئن عاش له عشرة بنين لينحرنّ أحدهم عند الكعبة»، ولم يتحلّل من نذره حتّىٰ استوثق من كلام العرّافة بعد [ما] رمىٰ القداح ثلاث مرّات[1].

* * *

والأخلاق المثاليّة توائم الرئاسة الدينيّة التي يدين أصحابها بما يدعون إليه، فإن لم تكن في بني هاشم موروثة من معدن أصيل في الأُسرة، فهي أشبه بسمت الرئاسة الدينيّة والعقيدة المتمكّنة والشعائر المتّبعة جيلاً بعد جيل، وهي أخلق أن تزداد في الأُسرة تمكّناً بعد ظهور النبوّة فيها، وأن يتلقّاها بالوراثة والقدوة أسباط النبي وأقرب الناس إليه.

وإنّك لتنحدر مع أعقاب الذرّية في الطالبيين أبناء علي والزهراء مائة

---

(١) المنتظم ٢: ١٩٨ ـ ٢٠٠، الكامل في التاريخ ٢: ٢ ـ ٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ١٤٨، البداية والنهاية ٢: ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

سنة وأربع مائة سنة، ثمّ يبرز لك رجل من رجالها، فيخيّل إليك أنّ هـذا الزمن الطويل لم يبعد قط بين الفرع وأصله في الخصال والعادات، كأنّما هو بعد أيام معدودات لابعد المئات وراء المئات من السنين، ولا تلبث أن تهتف عجباً: إنّ هذه لصفات علوية لا شكّ فيها؛ لأنّك تسمع الرجل منهم يتكلّم ويجيب من يكلّمه، وتراه يعمل ويجزي من عمل له، فلا تخطئ في كـلامه ولا في عمله تلك الشجاعة والصراحة، ولا ذلك الذكاء والبلاغ المسكت، ولا تلك اللوازم التي اشتهر بها علي وآله، وتجمعها في كلمتين اثنتين تدلّان عليها أوفىٰ دلالة، وهما: «الفروسيّة والرياضة».

طبع صريح، ولسان فصيح، ومتانة في الأسر يستوي فيها الخَلق والخُلق، ونخوة لا تبالي ما يفوتها من النفع إذا هي استقامت علىٰ سنّة المروءة والإباء.

فمن يحيىٰ بن عمر إلىٰ علي بن أبي طالب خمسة أو ستّة أجيال، ولكن يحيىٰ بن عمر يوصف لك، فإذا هو صورة مصغّرة من صور علي بـن أبي طالب علىٰ نحو من الأنحاء.

فمن أوصافه التي وصفه بها الكاتب الأُموي أبو الفرج الأصبهاني: أنّه كان «رجلاً فارساً شجاعاً شديد البدن مجتمع القلب بعيداً عـن رهـق الشباب وما يعاب به مثله»[1].

وممّا روىٰ عنه: «أنّه كان مقيماً ببغداد، وكان له عمود حديد ثقيل

(١) مقاتل الطالبيين ٤٢٠.

والرهق: الخفّة والعربدة. (لسان العرب ٥: ٣٤٥).

يكون معه في منزله، وربّما سخط علىٰ العبد أو الأمة من حشمه، فيلوي العمود في عنقه، فلا يقدر أحد أن يحلّه عنه حتّىٰ يحلّه يحيىٰ ﷺ»[١].

ولمّا ضايقه الأُمراء وضنّوا عليه بجرايته في بيت المال كان يجوع ويعرض عليه الطعام، فيأباه ويقول: «إن عشنا أكلنا»[٢].

ثمّ ثار وبلغت أنباء ثورته بغداد، فأقبلت عليهم الجموع المحشودة لقتاله، وأسرع إليه بعض الأعراب فصاح به: «أيّها الرجل، أنت مخدوع.. هذه الخيل قد أقبلت»، فوثب إلىٰ متن فرسه فجال به، وحمل علىٰ قائد القوم فضربه ضربة بسيفه علىٰ وجهه، فولّىٰ منهزماً وتبعه أصحابه، فجلس معهم ساعة وهو لا يبالي ما يكون[٣].

ولمّا تكاثرت عليه الجموع وقتل بعد ذلك، اتّهم الناس صاحبه الهيضم العجلي أنّه كان مدسوساً عليه، وأنّه غرّر به لينكص عنه عند احتدام القتال. فأقسم الرجل بالطلاق أنّه لم يكن له في الهزيمة صنع مدبّر.. قال: «وإنّما كان يحيىٰ يحمل وحده ويرجع، فنهيته عن ذلك، فلم يقبل.. وحمل مرّة كما كان يفعل، فبصرت عيني به وقد صرع في وسط عسكرهم، فلمّا رأيته قتل انصرفت بأصحابي»[٤].

ويحيىٰ الشهيد هذا هو الذي قال ابن الرومي[٥] جيميّته المشهورة في

---

(١) مقاتل الطالبيين ٤٢٠.

(٢) تاريخ الطبري ٨: ٢٣٠.

(٣) مقاتل الطالبيين ٤٢١.

(٤) انظر المصدر السابق ٤٢٢.

(٥) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٣١).

وصف قتاله ومقتله، وهي طويلة منها قوله يخاطب أُمراء زمانه:

فلو شهد الهيجا بقلب أبيكم
غداة التقىٰ الجمعان والخيل تمعج[١]
لأعطى يد العاني[٢] أو ارمدّ هارباً
كما ارمدّ بالقاع الظليم[٣] المهيّج
ولكنّه ما زال يغشىٰ بنحره
شبا الحرب حتّىٰ قال ذو الجهل: أهوج
وحاشا له من تلكم غير أنّه
أبىٰ خطّة الأمر الذي هو أسمج
وأين به عن ذاك؟.. لا أين، إنّه
إليه بعرقيه الزكيين محرج
كأنّي به كالليث يحمي عرينه[٤]
وأشباله لا يزدهيه[٥] المهجهج[٦]

---

(١) معج الفرس: أسرع سيره في سهولة [صحاح اللغة ١: ٣٤٢] (من المؤلّف).

(٢) العاني: الأسير. (العين للفراهيدي ٢: ٢٥٢).

(٣) [الظليم]: ذكر النعام [صحاح اللغة ٥: ١٩٧٨] (من المؤلّف).

(٤) العرين: مأوىٰ الأسد الذي يألفه. (المصباح المنير ٤٠٦).

(٥) لا يزدهيه، أي: لا يستخفّه. (لسان العرب ٦: ١٠٦).

(٦) المهجهج: هجهج السبع وهجهج به: صاح به وزجره ليَكُفّ. (لسان العرب ١٥: ٢٩).

كـــــدأب عـــلي في المـــواطـــن قـــبله
ـ أبي حسن ـ والغصن من حيث يخـرج
كأنّي أراه إذ هــــــوىٰ عــــن جــواده
وعـــــفّر بـــالترب الجـــبين المشـــجّج
فـحبّ بـه جـسماً إلىٰ الأرض إذ هـوىٰ
وحبّ بـــــه روحـــاً إلىٰ الله تـــعرج[1]

* * *

وقد أصاب ابن الرومي الوصف والتعليل. فما كان كلّ من يحيىٰ ولا أسلافه من قبله إلّا عليّاً صغيراً يتأسّىٰ بعلي الكبير. أو غصناً زاكياً يخرج من دوحته الكبرىٰ. «والغصن من حيث يخرج» كما قال. ولولا قوّة هذه الطبائع في أساس الأُسرة الطالبيّة لما انحدرت علىٰ هذه الصورة الواضحة بعد ستّة أجيال.

فنحن نرىٰ يحيىٰ بن عمر بعد هذه الأجيال ـ وهو بعموده الحديدي وجرأته التي لا تتزعزع ويقينه الذي لا يلوى به الإغراء والوعيد ـ كأنّما هو نسخة أُخرىٰ من جدّه الكبير الذي يحمل باب خيبر وقد أعيا حمله الرجال[2]. وينهد لعمرو بن ود وقد تهيّبه مئات الأبطال. ويتوسّط الصفوف

---

(١) وردت الأبيات مع بعض الاختلافات في: ديوان ابن الرومي ١:٣٠٧، مقاتل الطالبيين ٤٢٦.

(٢) لاحظ: المغازي للواقدي ٢: ٦٥٥، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٠١، غزوة خيبر ٨٥ و٩٨.

حاسراً وقد برزوا له بشكّة القتال ودروع النزال[1].

ولم يكن لبني أُميّة ـ علىٰ نقيض هذا ـ نصيب ملحوظ من الخلائق المثاليّة والشمائل الدينيّة، ولا كان ظهور النبوّة في أُسرة منافسة لأُسرتهم من شأنه أن يعزّز مناقبها فيهم كما يعتزّ بها أبناء بيتها وفروع أُرومتها، بل لعلّه كان من شأنه أن يجنح بهم من طرف خفي إلىٰ صفات تقابل تلك الصفات، ومزايا تعوّض لهم ما فاتهم من تلك المزايا.. فتمكّنت فيهم ـ قبل ظهور النبوّة وبعدها ـ خلائقهم العمليّة التي درّبتهم عليها المساومات التجاريّة وراضتهم عليها مراس المطامع السياسيّة. فاشتهر أُناس من رؤوسهم بمحاسن هذه الخلائق ومعائبها علىٰ سواء، وشاعت عنهم صفات: الحلم[2] والصبر والحنكة والدهاء، كما شاعت عنهم صفات: المراوغة والجشع والإقبال علىٰ الترف ومناعم الحياة.

* * *

ولقد تقابل الحسين بن علي ويزيد بن معاوية في تمثيل الأُسرتين، كما تقابلا في كثير من الخلائق والحظوظ، ولكنّهما تفاوتا في تمثيل أُسرتيهما كما تفاوتا في غير ذلك من وجوه الخلاف بينهما. فكان الحسين بن علي نموذجاً

---

(١) قارن: المغازي للواقدي ١: ٤٧٠ ـ ٤٧١، الإرشاد ١: ٩٨ ـ ٩٩ و ١٠٠، إعلام الورىٰ ١: ١٩٢ و ٣٨٠ ـ ٣٨٢، الكامل في التاريخ ٢: ١٢٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧: ٢٠٠ ـ ٢٠١، تاريخ أبي الفداء ١: ١٩٥ ـ ١٩٦.

(٢) تمكن المناقشة في هذه الصفة، لاحظ ما ذكره محمّد بن عقيل العلوي في النصائح الكافية ٢٠٣ وما بعدها.

لأفضل المزايا الهاشميّة، ولم يكن يزيد بن معاوية نموذجاً لأفضل المزايا الأُمويّة، بل كان فيه الكثير من عيوب أُسرته ولم يكن له من مناقبها المحمودة إلّا القليل.

وليس بنا هنا أن نفصّل القول في أحوال كلٍّ من الرجلين وخصائص كلٍّ من النموذجين، ولكنّنا نجتزئ منهما بما يملأ الكفّتين في هذا الميزان، وهو ميزان الأريحيّة والنفعيّة في حادث كبير من حوادث التأريخ العربي يندر نظيره في جميع التواريخ.

مكانة الحسين

وإذا كانت المعركة كلّها هي معركة الأريحيّة والنفعيّة، فالمزية الأُولىٰ التي ينبغي توكيدها هنا للحسين بن علي عليه السلام هي مزية نسبه الشريف ومكانه من محبّة النبي صلى الله عليه وآله.

إنّ المؤرّخ الذي يكتب هذا الحادث قد يكون عربيّاً مسلماً أو يكون من غير العرب والمسلمين، وقد يؤمن بمحمّد أو ينكر محمّداً وغيره من الأنبياء.. ولكنّه يخطئ دلالة الحوادث التأريخيّة إذا استخفّ بهذه المزية التي قلنا: إنّها أحقّ مزايا الحسين بالتوكيد في الصراع بينه وبين يزيد.

فليس المهمّ أن يؤمن المؤرّخون بقيمة ذلك النسب الشريف في نفوسهم أو قيمته في علوم العلماء وأفكار المفكّرين، ولكنّما المهمّ أنّ أتباع يزيد كانوا يؤمنون بحقّ ذلك النسب الشريف في الرعاية والمحبّة، وأنّهم ـ مع هذا ـ غلبتهم منافعهم علىٰ شعورهم، فكانوا من حزب يزيد ولم يكونوا من حزب الحسين.

فلولا هذه المزية في الحسين لما وضح الصراع بين الأريحيّة والنفعيّة عند الفريقين، ولا كان المصطرعون هنا وهناك من مزاجين مختلفين، ولا للمعركة كلّها تلك الدلالة التي كشفت النفس الإنسانيّة في جانبين منها قويّين، يتنازعان حوادث الأمم والأفراد من زمان بعيد، وسيظلان علىٰ نزاعهما هذا إلىٰ زمان بعيد.

* * *

ولقد كان الحسين بن علي بهذه المزية أحبّ إنسان إلىٰ قلوب المسلمين، وأجدر إنسان أن تنعطف إليه القلوب.

كان النبي ﷺ هو الذي سمّاه، وسمّىٰ من قبله أخاه.

قال علي ﷺ: «لمّا ولد الحسن سمّيته حرباً، فجاء رسول الله فقال: أروني ابني، ما سمّيتموه؟ قلت: حرب! فقال: بل هو حسن. فلمّا ولد الحسين سمّيته حرباً، فجاء رسول الله فقال: أروني ابني، ما سمّيتموه؟ قلت: حرب! فقال: بل هو حسين»[1].

وذهب إلىٰ الحسين وإخوته كلّ ما في فؤاد النبي ﷺ من محبّة البنين، وهو مشوّق الفؤاد إلىٰ الذرّية من نسله. فكان ﷺ لا يطيق أذاهما، ولا يحبّ أن يستمع إلىٰ بكاء [أحد] منهما في طفولتهما، علىٰ كثرة ما يبكي

(١) مسند أحمد ١: ٩٨ و١١٨، الأدب المفرد ٢٤٥، الذرية الطاهرة ١٢٠، المستدرك علىٰ الصحيحين ٣: ١٨٠ و١٨٣، السنن الكبرىٰ للبيهقي ٦: ١٦٦ و٧: ٦٣، الاستيعاب ١: ٤٣٦، المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٩٧، إعلام الورىٰ ١: ٤٢٧ ـ ٤٢٨، مطالب السؤول ٢: ٥١، كنز العمّال ١٣: ٦٦٠ و٦٦٥، الإتحاف بحبّ الأشراف ٣٤.

الأطفال الصغار.

وخرج من بيت عائشة يوماً، فمرّ علىٰ بيت فاطمة، فسمع حسيناً يبكي، فقال: «ألم تعلمي أنّ بكاءه يؤذيني؟»[١].

وكان يقول لها: «ادعي إليّ ابنيَّ»[٢]. فيشمّهما ويضمّهما إليه، ولا يبرح حتّىٰ يضحكهما ويتركهما ضاحكين.

وروىٰ أبو هريرة: أنّه كان ﷺ يدلع لسانه للحسين، فيرىٰ الصبي حمرة لسانه، فيهشّ إليه، وكان عيينة بن بدر شهده في بعض هذه المجالس، فقال متعجباً: «يصنع هذا بهذا؟ فوالله إنّ لي الولد، وما قبّلته قط!». قال ﷺ: «من لا يَرحم لا يُرحم!»[٣].

* * *

وخرج ليلة في إحدىٰ صلاتي العشاء وهو حامل حسناً أو حسيناً، فوضعه، ثمّ كبّر للصلاة، فأطال سجدة الصلاة. قال راوي الحديث: «فرفعت رأسي فإذا الصبي علىٰ ظهر رسول الله وهو ساجد، فرجعت إلىٰ سجودي، فلمّا قضىٰ الصلاة قيل: يا رسول الله، إنّك سجدت بين ظهري

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٧١، المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٧١، ذخائر العقبىٰ ١٤٣، مجمع الزوائد ٩: ٢٠١، نور الأبصار ٢٥٤، فضائل الخمسة من الصحاح الستّة ٣: ٣١١.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٦٥٨، تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٥٣، مطالب السؤول ٢: ١٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ١٣٢، الدرّ النظيم ٧٧٨.

(٣) ذخائر العقبىٰ ١٢٦، فضائل الخمسة من الصحاح الستّة ٣: ٣١٣.

صلاتك سجدة أطلتها حتّىٰ ظنّنا أنّه قد حدث أمر أو أنّـه يـوحىٰ إليك» قال: «كلّ ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني، فكرهت أن أعجله»[١].

وقام ﷺ يخطب المسلمين، فجاء الحسن والحسين وعـليهما قـميصان أحمران يعثيان ويعثران، فنزل ﷺ من المنبر، فحملهما ووضعهما بين يديه، ثمّ قال: «صدق الله ! ﴿إنّما أموالكُمْ وأولادكُم فِتنَة﴾[٢]، نظرت إلىٰ هـذين الصبيين يعثيان ويعثران، فلم أصبر حتّىٰ قطعت حديثي ورفعتهما»[٣].

* * *

ولا يوجد مسلم في العصر القديم أو العصر الحـديث يحبّ نبيّه كـما يحبّ المؤمنون أنبياءهم، ثمّ يصغر عنده حساب هذا الحنان الذي غمر به قلبه الكريم سبطيه وأحبّ الناس إليه.

فبهذا الحنان النبوّي قد أصبح الحسـين في عـداد تـلك الشـخوص الرمزيّة التي تتّخذ منها الأُمم والملل عنواناً للحبّ، أو عنوانـاً للـفخر، أو عنواناً للألم والفداء.. فإذا بها محبوب كلّ فرد ومـفخرته ومـوضع عـطفه وإشفاقه، كأنّما تمتّ إليه وحده بصلة القرابة أو بصلة المودّة.

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٨١، المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٧١، كنز العـمّال ١٣: ٦٦٨.

(٢) سورة الأنفال ٨: ٢٨.

(٣) مسند أحمد ٥: ٣٥٤، سنن أبي داود ١: ٢٩٠، سنن الترمذي ٥: ٦٥٨، سنن النسائي ٣: ١٩٢، مناقب علي لابن مردويه ٢٠٧، المناقب لابن شهر آشـوب ٤: ٧١، إعـلام الورىٰ ١: ٤٣٢ ـ ٤٣٣، مطالب السؤول ١: ١٤، الدرّ النظيم ٧٧٦، كـنز العـمّال ١٣: ٦٦٣.

وقد بلغ الحسين بهذا الحنان ـ مع الزمن ـ مبلغه من تلك المكانة الرمزيّة، فأوشك بعض واصفيه أن يلحقه في حمله وولادته ورضاعه بمواليد المعجزات.

فقال بعضهم: «لم يولد مولود لستّة أشهر وعاش، إلّا الحسين وعيسىٰ بن مريم»[١].

وقال آخرون: «إنّه ﷺ لم ترضعه أُمّه ولم ترضعه أنثىٰ، واعتلّت فاطمة لمّا ولدت الحسين وجفّ لبنها، فطلب رسول الله مرضعة فلم يجد، فكان يأتيه فيلقمه إبهامه فيمصّه ويجعل الله في إبهام رسوله رزقاً يغذّيه، ففعل ذلك أربعين يوماً وليلة، فأنبت الله سبحانه وتعالىٰ لحمه من لحم رسول الله»[٢].

وروي عنه غير ذلك كثير من الأساطير التي تحيط بها الأُمم تلك الشخوص الرمزيّة التي تعزّها وتغليها[٣] فتلتمس لها مولداً غير المولد المألوف والنشأة المعهودة، وتلحقها أو توشك أن تلحقها بالخوارق

---

(١) الكافي ١: ٤٦٥، دلائل الإمامة ٧١، الدرّ النظيم ٥٢٥، ذخائر العقبىٰ ١٨٨، الوافي ٣: ٧٥٧، فضائل الخمسة من الصحاح الستّة ٣: ٣١٠.

(٢) الكافي ١: ٤٦٥، المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٥٠، الوافي ٣: ٧٥٧.

(٣) نحن لا نوافق الأُستاذ العقّاد في كون ما روي في هذا المجال من الأساطير، وإنّما قد تكون هذه الأُمور من الكرامات التي يحبوها ويهبها الله سبحانه وتعالىٰ لعباده المخلصين وليبيّن للناس مكانة هؤلاء العباد ومنزلتهم عنده فيتّبعونهم لسلوك طريقة الهدىٰ والفلاح علىٰ مقتضىٰ قاعدة اللطف، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

والمعجزات.

ولقد كانت حقيقة الحسين الشخصيّة كفؤاً لتلك الصورة الرمزيّة التي نسجتها حوله الأجيال المتعاقبة قبل أن يرىٰ منه أبناء جيله غير تلك الحقيقة.

فكان ملء العين والقلب في خَلق وخُلق، وفي أدب وسيرة، وكانت فيه مشابه من جدّه وأبيه، إلّا أنّه كان في شدّته أقرب إلىٰ أبيه.

قال ﷺ مشيراً إلىٰ الحسن: «إنّ ابني هذا سيخرج من هذا الأمر، أشبه أهلي بي الحسين»[1].

واتّفق بعض الثقات علىٰ أنّ: «الغالب علىٰ الحسن الحلم والأناة كالنبي، وعلىٰ الحسين الشدّة كعلي»[2].

صفات الحسين

وقد تعلّم في صباه خير ما يتعلّمه أبناء زمانه من فنون العلم والأدب والفروسيّة، وإليه يرفع كثير من المتصوّفة وحكماء الدين نصوصهم التي يعوّلون عليها ويردّونها إلىٰ علي بن أبي طالب ﷺ[3].

وقد أُوتي ملكة الخطابة من طلاقة لسان وحسن بيان وغنّة صوت وجمال إيماء.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٧٧.

(٢) الدرّ النظيم ٤٨٩.

(٣) لاحظ طبقات الأولياء لابن الملقّن ٤٩٣.

ومن كلامه المرتجل قوله في توديع أبي ذر[١] وقد أخرجه عثمان من المدينة بعد أن أخرجه معاوية من الشام: «يا عمّاه! إنّ الله قادر على أن يغيّر ما قد ترىٰ، والله كلّ يوم في شأن. وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك، وما أغناك عمّا منعوك وأحوجهم إلىٰ ما منعتهم، فاسأل الله الصبر والنصر، واستعذ به من الجشع والجزع، فإنّ الصبر من الدين والكرم، وإنّ الجشع لا يقدّم رزقاً والجزع لا يؤخّر أجلاً»[٢].

وكان يومئذٍ في نحو الثلاثين من عمره، فكأنّما أودع هذه الكلمات شعار حياته كاملة منذ أدرك الدنيا إلىٰ أن فارقها في مصرع كربلاء.

* * *

وتواترت الروايات بقوله الشعر في أغراض الحكمة وبعض المناسبات البيتيّة، ومن ذلك هذه الأبيات:

أغن عن المخلوق بالخالق ... تغن عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمان من فضله ... فليس غير الله من رازق
من ظنّ أنّ الناس يغنونه ... فليس بالرحمان بالواثق[٣]

ومنه هذا البيتان في زوجته وابنته:

لعمرك إنّني لأحبّ داراً ... تكون بها سكينة والرباب

---

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٣٢).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٣٧٣ ـ ٣٧٤، الغدير ٨: ٣٥١.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٨٦، البداية والنهاية ٨: ٢٠٩.

ونُسبت هذه الأبيات إلى الحسن عليه السلام في نور الأبصار ٢٤٦.

أحـــبّهما وأبـــذل كـلّ مـالي   وليس لعاتب عندي عتاب[١]

وهما ـ سواء صحّت نسبتهما إليه أو لم تصح ـ معبّران عن خـلقه في بيته وبين أهله، فقد كان من أشدّ الآباء حدباً علىٰ الأبناء وأشـدّ الأزواج عطفاً علىٰ النساء.

ومن وفاء زوجاته بعد مماته: أنّ الرباب[٢] هذه التي ذكرت في البيتين السابقين خطبها أشراف قريش بعد مقتله، فقالت: «ما كنت لأتّخذ حمّاً بعد رسول الله»، وبقيت سنة لا يظلّها سقف حتّىٰ فنيت وماتت، وهي لا تفتر عن بكائه والحزن عليه[٣].

خلق كريم

وقد سنّ الحسين لمن بعده سنّة في آداب الأُسرة تليق بـالبيت الذي نشأ فيه ووكل إليه أن يرعىٰ له حقّه ويوجب علىٰ الناس مهابته وتوقيره، فهو ـ علىٰ فضله وذكائه وشجاعته ورجحانه علىٰ أخيه الحسن في مناقب كثيرة ومآثر عدّة[٤] ـ كان يستمع إلىٰ رأي الحسن ولا يسوءه بالمراجعة أو

---

(١) الأغـــاني ١٥: ٨٧ و ٨٩، زهـر الآداب ١: ٩٣، البـدايـة والنـهاية ٨: ٢١٠، نسـمة السحر ٢: ١٣٣.

(٢) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٣٣).

(٣) الكامل في التاريخ ٣: ٣٠٠، البداية والنهاية ٨: ٢١٠، نسمة السحر ٢: ١٣٣.

(٤) عند الإماميّة أنّ جميع أئمّة أهل البيت عليهم السلام متسـاوون في الفضل؛ لأنّهم نـور واحـد، ولا اختلاف بينهم إلّا في بعض الخصوصيات.

المخالفة.

فلمّا همّ الحسن بالتسليم لمعاوية كان ذلك علىٰ غير رضىً من الحسين، فلم يوافقه وأشار عليه بالقتال، فغضبت الحسن وقال له: «والله لقد هممت أن أسجنك في بيت وأُطيّن عليك بابه، حتّىٰ أقضي بشأني هذا وأفرغ منه، ثمّ أخرجك!».

فلم يراجعه الحسين بعدها وآثر الطاعة والسكوت[1].

ومن رعايته لسنن الأُسرة ووصايا الأُبوّة: أنّه ركبه دين، فساومه معاوية بمائتي ألف دينار أو بمبلغ جسيم من المال علىٰ عين «أبي

---

(١) راجع: أُسد الغابة ٢: ٢٠، البداية والنهاية ٨: ١٥٠، الحسن والحسين لمحمّد رضا ٣١ و٧١.

ولكن الظاهر أنّ هذه الرواية لا أساس لها من الصحّة، وذلك لأنّ من يطالع التاريخ يجد أنّ الحسين قد وقف إلىٰ جانب أخيه الحسن وشاهد جميع الأحداث التي مرّ بها أخوه، وكانا علىٰ اتّفاق تامٍّ في الرأي وفي جميع التدابير التي اتّخذها الحسن بعد أن رأىٰ موقف جيشه المتخاذل وأحاط بكلّ ما دبّره معاوية من المكائد. ولم يكن ليخفىٰ علىٰ الحسين عليه السلام أنّ المعركة لو قدّر للحسن أن يدخلها مع معاوية في حرب ستكون لصالح معاوية، وستنتهي حتماً إمّا بقتل الحسنين وجميع الهاشميين وخلّص شيعتهم أو بأسرهم، كما يبدو ذلك لمن تتبع الأحداث التي رافقت تلك الفترة القصيرة من خلافة الحسن عليه السلام.

هذا، مضافاً إلىٰ أنّ الحسين كان أبعد نظراً وأعمق تفكيراً في الأُمور ومعطياتها حتّىٰ من أفذاذ عصره الذين قدّروا للحسن موقفه الحكيم الذي لم يكن له مجال لاختيار سواه، وكان أرفع شأناً من أن تخفىٰ عليه المصلحة التي أدركها غيره في ما فعله أخوه حتّىٰ يقف منه ذلك الموقف المزعوم.

نيزر»[١]، فأبىٰ أن يبيعها مع حاجته إلىٰ بعض ما عرض عليه؛ لأنّ أباه تصدّق بمائها لفقراء المدينة[٢]، ولو أنّه باعها لوقفها معاوية علىٰ أُولئك الفقراء.

وقد أخذ نفسه بسمت الوقار في رعاية أُسرته ورعاية الناس عامّة، فهابه الناس وعرف معاوية عنه هذه المهابة، فوصفه لرجل من قريش ذاهب إلىٰ المدينة، فقال: «إذا دخلت مسجد رسول الله، فرأيت حلقة فيها قوم كأنّ علىٰ رؤوسهم الطير، فتلك حلقة أبي عبد الله مؤتزراً إلىٰ أنصاف ساقيه»[٣].

ولم يذكر عنه قط أنّه كان يواجه الناس بتخطئة وهو يعلّمهم ويبصّرهم بشؤون دينهم، إلّا أن تكون مكابرة أو لجاجة، فله في جواب ذلك أشباه تلك القوارص التي كانت تؤثر عن أبيه.

وما لم تكن مكابرة أو لجاجة فهو يحتال علىٰ تصحيح الخطأ حيلة لا غضاضة فيها علىٰ المخطئين.

---

(١) أبو نيزر هذا هو مولىٰ علي عليه السلام، كان ابناً للنجاشي ملك الحبشة، وقد وجده عليه السلام عند تاجر بمكّة، فاشتراه وأعتقه مكافأة بما صنع أبوه مع المسلمين حين هاجروا إليه، وقيل: إنّه رغب في الإسلام صغيراً، فأتىٰ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأسلم.

وهذه العين أوقفها علي عليه السلام علىٰ فقراء أهل المدينة وابن السبيل، وأوصىٰ الحسنين أن يجعلا فيها ثلاثة من مواليه.

انظر: الكامل في اللغة والأدب ٢: ٦٠٣ ـ ٦٠٤، معجم البلدان ١: ٣٧ و ٣: ٣٦٨.

(٢) لاحظ المصدرين المتقدّمين.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٧٩.

فمن آدابه وآداب أخيه في ذلك: أنّهما رأيا أعرابيـاً يخـفّف الوضـوء والصلاة، فلم يشاءا أن يجبهاه بغلطه، وقالا له: «نحن شابان وأنت شيخ ربّما تكون أعلم بأمر الوضوء والصلاة منّا، فنتوضّأ ونصلّي عـندك، فـإن كان عندنا قصور تعلمنا»[١]. فتنبّه الشيخ إلىٰ غـلطه دون أن يأنـف مـن تنبيهها إليه.

ومرّ يوماً بمساكين يأكلون، فدعوه إلىٰ الطعام علىٰ عـادة العـرب، فنزل وأكل معهم، ثمّ قال لهم: «قد أجـبتكم فأجـيبوني»، ودعـاهم إلىٰ الغداء في بيته[٢].

* * *

ورويت الغرائب في اختبار حذقه بالفقه واللغة، كما رويت أمثال هذه الغرائب في امتحان قدرة أبيه عليه السلام.

فقيل: إنّ أعرابياً دخل المسجد الحرام، فوقف علىٰ الحسن عليه السلام وحوله حلقة من مريديه، فسأل عنه، فقال لمّا عرّفوه بـه: «إيّـاه أردت، جـئت لأُطارحه الكلام، وأسأله عن عويص العربيّة». فقال له بعض جـلسائه: «إن كنت جئت لهذا فابدأ بذلك الشاب». وأومأ إلىٰ الحسين عليه السلام. فلمّا سلّم علىٰ الحسين وسأله عن حاجته، قال: «إنّي جئتك من الهـرقل والجـعلل والأيتم والمهم». فتبسّم الحسين، وقال: «يا أعرابي! لقد تكلّمت بكلام ما يعقله إلّا العالمون».

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٤٠٠، العوالم للبحراني ١٦: ١٠٠.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٦٦.

فأجابه الأعرابي قائلاً يريد الإغراب: «وأقول أكثر من هذا، فهل أنت مجيبي علىٰ قدر كلامي؟».

ثمّ أذن له الحسين، فأنشد أبياتاً تسعة، منها:

هفا قلبي إلىٰ اللهو وقد ودّع شرخيه

فأجابه الحسين مرتجلاً بتسعة أبيات في معناها ومن وزنها، يقول منها:

فما رسم شجاني قد محت آيات رسميه
سفور درجت ذيلين في بوغاء قاعيه
هنوف مرجف تترىٰ علىٰ تلبيد ثوبيه

إلىٰ آخر الأبيات.. ثمّ فسّر له ما أراد من الهرقل وهو: ملك الروم[1]، والجملل وهو: قصار النخل[2]، والأيتم وهو: بعض النبات[3]، والهمهم وهو: القليب الغزير الماء[4]، وفي هذه الكلمات أوصاف البلاد التي جاء منها وإشارة إليها.

فقال الأعرابي: «ما رأيت كاليوم أحسن من هذا الغلام كلاماً، وأذرب لساناً، ولا أفصح منه منطقاً»[5].

---

(١) انظر صحاح اللغة ٥: ١٨٤٩.

(٢) لاحظ المصدر السابق ٤: ١٦٥٦.

(٣) لسان العرب ١: ٦٣.

(٤) قارن صحاح اللغة ٥: ٢٠٦٢.

والقليب: البئر. (لسان العرب ١١: ٢٧٢).

(٥) راجع: مطالب السؤول ٢: ٣٨ ـ ٣٩ و٦٥، الصراط المستقيم ٢: ١٧٢.

وتلك رواية من روايات علىٰ منوالها إن لم تنبئ بما وقع فهي منبئة بما تداوله الناس من شهرة الحسين في صباه الباكر بالعلم والفصاحة.

ولخبرته بالكلام وشهرته بالفصاحة كان الشعراء يرتادونه، وبهم من الطمع في إصغائه أكبر من طمعهم في عطائه، ولكنّه علىٰ هذا كان يجري معهم علىٰ شرعة ذوي الأقدار والأخطار من أنداده، فيبذل لهم الجوائز ما وسعه البذل ويؤثرهم علىٰ نفسه في خصاصة الحال.

وقد لامه أخوه الحسن في ذلك، فكتب إليه: «إنّ خير المال ما وقىٰ به العرض»[1].

إلّا إنّه في الواقع لم يكن يعطي لوقاية العرض وكفىٰ، ولكنّه كان يعطي من قصده من ذوي الحاجات، ولا يخيّب رجاءً لمن استعان به علىٰ مروءة.

وفاء وشجاعة

وقد اشتهر مع الجود بصفتين من أكرم الصفات الإنسانيّة وأليقهما ببيته وشرفه، وهما: الوفاء والشجاعة.

فمن وفائه: أنّه أبىٰ الخروج علىٰ معاوية بعد وفاة أخيه الحسن؛ لأنّه عاهد معاوية علىٰ المسالمة، وقال لأنصاره الذين حرّضوه علىٰ خلع معاوية: إنّ بينه وبين الرجل عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتّىٰ تمضي

---

(١) كشف الغمّة ٢: ٢٤٣، تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٨١ و١٨٢، البداية والنهاية ٨: ٢٠٨، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ ١٧٧.

المدّة[1].

وكان معاوية يعلم وفاءه وجوده معاً، فقال لصحبه يوماً ـ وقد أرسل الهدايا إلىٰ وجوه المدينة من كسىً وطيب وصلات ـ : «إنّ شئتم أنبأناكم بما يكون من القوم.. أمّا الحسن فلعلّه ينيل نساءه شيئاً من الطيب وينهب ما بقي من حضره ولا ينتظر غائباً، وأمّا الحسين فيبدأ بأيتام من قتل مع أبيه بصفّين، فإن بقي شيء نحر به الجزر وسقىٰ به اللبن»[2].

وشجاعة الحسين صفة لا تستغرب منه؛ لأنّها الشيء من معدنه كما قيل. وهي فضيلة ورثها عن الآباء، وأورثها الأبناء بعده.

وقد شهد الحروب في أفريقيّة الشماليّة وطبرستان[3] والقسطنطينية[4]، وحضر مع أبيه وقائعه جميعاً من الجمل إلىٰ صفّين[5].

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٨٧، تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢٠٥.

(٢) عيون الأخبار ٣: ٤٧ ـ ٤٨.

(٣) راجع ما ذكره الحموي عنها في معجم البلدان ٣: ٢٤٤ ـ ٢٤٧.

(٤) قد يقال: إنّ النصوص التأريخيّة لا تؤكّد اشتراك الحسين عليه السلام في غزوة القسطنطينية سنة ٥١ هـ، وذلك لأنّ الحسين لم يكثر الاتّصال بمعاوية، ولم يثبت تردّده علىٰ الشام خلال حكم معاوية، ولو صحّ اشتراك الحسين كجندي في جيش يقوده يزيد لأذاعته أجهزة الأُمويين بكلّ وسائلها، ولما خفي علىٰ كثير من المؤرّخين، في حين أنّ أكثرهم لم يذكره مع المشتركين في هذه الغزوة، بل لم يذكره ـ حسب الظاهر ـ في عداد المشتركين فيها سوىٰ ابن كثير وابن عساكر، ومجرّد ذلك لا يكفي لإثبات أمر من هذا النوع. راجع البداية والنهاية ٨: ٥٨ و٢٢٩.

(٥) قارن: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٨٤، البداية والنهاية ٨: ١٥٠.

وليس في بني الإنسان من هو أشجع قلباً ممّن أقدم علىٰ ما أقدم عليه الحسين في يوم كربلاء.

وقد تربّىٰ للشجاعة كما تلقّاها في الدم بالوراثة، فتعلّم فنون الفروسيّة كركوب الخيل والمصارعة والعدو من صباه، ولم تفته ألعاب الرياضة التي تتمّ بها مرانة الجسم علىٰ الحركة والنشاط. ومنها لعبة تشبه «الجولف»[1] عند الأوروبيين كانوا يسمّونها المداحي: جمع مدحاة. وهي: أحجار مثل القرصة يحفرون في الأرض حفرة ويرسلون تلك الأحجار، فمن وقع حجره في الحفيرة فهو الغالب[2].

أمّا عاداته في معيشته فكان ملاكها لطف الحسّ وجمال الذوق والقصد في تناول كلّ مباح.

كان يحبّ الطيب والبخور، ويأنق للزهر والريحان.

---

(١) الغولف: رياضة فيها شكلان أساسيان للمنافسة هما لعب مباراة ولعب ضربات، وفي الأوّل يكسب الطرف الذي يسجّل أكبر عدد من الحفر، وفي الثاني يكسب الطرف الذي يسجّل أقل عدد من الضربات، وفيها حفر (عادةً ١٨ حفرة) وعصي وكرة، وطول الحفر يتغيّر إذ يمكن أن يكون أقلّ من ٢٠٠ متر أو أكثر من ٥٠٠ متر، تتخلّلها عوائق وأعشاب قاسية. أمّا العصي فأنواعها ثلاثة: العصا الخشبيّة المستخدمة للضربات الطويلة، والعصا الحديديّة المستخدمة للضربات الأقصر، والعصا الواضعة المستخدمة لوضع الكرة في الحفرة. وقد مورست هذه اللعبة لأوّل مرّة في إسكتلندا. (موسوعة عالم المعرفة ١٠: ٨٩١).

(٢) انظر المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٧٢.

وروىٰ أنس بن مالك[1]: أنّه كان عنده، فدخلت عليه جارية بيدها طاقة من ريحان، فحيّته بها. فقال لها: «أنت حرّة لوجه الله تعالىٰ». فسأله أنس متعجّباً: جارية تجيئك بطاقة ريحان فتعتقها؟! ». قال: «كذا أدّبنا الله، قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[2]، وكان أحسن منها عتقها»[3].

وكان يميل للفكاهة ويأنس في أوقات راحته لأحاديث أشعب[4] وأضاحيكه[5].

ولكنّه علىٰ شيوع الترف في عصره لم يكن يقارب منه إلّا ما كان يجمل بمثله، حتّىٰ تحدّث المتحدّثون أنّه لا يعرف رائحة الشراب.

وكانت له صلوات يؤدّيها غير الصلوات الخمس، وأيام من الشهر يصومها غير أيام رمضان، ولا يفوته الحجّ عاماً إلّا لضرورة[6].

وقد عاش سبعاً وخمسين سنة بالحساب الهجري[7]، وله من الأعداء

---

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٣٤).

(٢) سورة النساء ٤: ٨٦.

(٣) كشف الغمّة ٢: ٢٤٣، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ ١٧٧.

(٤) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٣٥).

(٥) لاحظ الأغاني ١٩: ٩٤.

(٦) العقد الفريد ٥: ١٣٣، صفوة الصفوة ١: ٧٦٣، مطالب السؤول ٢: ٦٣ ـ ٦٤.

(٧) لاحظ إعلام الورىٰ ١: ٤٢٠.

وفي مرآة الجنان (١: ١٠٦): أنّه عاش (٦٥) سنة، وفي البداية والنهاية (٨: ١٩٨): أنّه ←

من يصدّقون ويكذّبون، فلم يعبه أحد منهم بمعابة، ولم يملك أحد منهم أن ينكر ما ذاع من فضله.

حتّىٰ حار معاوية بعيبه حين استعظم جلساؤه خطاب الحسين له، واقترحوا عليه أن يكتب إليه بما يصغّره في نفسه، فقال: إنّه كان يجد ما يقوله في علي، ولكن لا يجد ما يقوله في حسين[1].

تلك جملة القول في سيرة أحد الخصمين.

خُلُق يزيد

ويقف خصمه أمامه موقف المقابلة والمناقضة لا موقف المقارنة والمعادلة في معظم خلائقه وعاداته وملكاته وأعماله.

فيزيد بن معاوية عريق النسب في بني عبد مناف ثمّ في قريش، ولكنّ الأصدقاء والخصوم والمادحين والقادحين متّفقون علىٰ وصف الخلائق التي اشتهر بها أبناء هذا الفرع من عبد مناف، وأشهرها الأثرة، وأحمد ما يحمد منها أنّها تنفع الناس من طريق النفع لأصحابها. وندر من وجوه الأُمويين في الجاهليّة أو الإسلام من اشتهر بخصلة تجلب إلىٰ صاحبها ضرراً أو مشقّة في سبيل نفع الناس.

وبيت أبي سفيان بيت سيادة مرعيّة لا مراء فيها..

← عاش (٦٨) سنة، وفي شذرات الذهب (١: ٦٦): أنّه عاش (٥٦) سنة.

وأقوىٰ الأقوال ما هو المثبت في المتن.

(١) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ٣: ١٥٤ ـ ١٥٥.

ولكنّ الحقيقة التي ينبغي أن نذكرها في هذا المقام: أنّ معاوية بن أبي سفيان لم يكن ليرث شيئاً من هذه السيادة التي كان قوامها كلّه وفرة المال؛ لأنّ أبا سفيان ـ على ما يظهر ـ قد أضاع ماله في حروب الإسلام، ولم يكن له من الوفر ما يبقى على كثرة الوارث[1].

وروي: أنّ امرأة استشارت النبي ﷺ في التزوّج بمعاوية، فقال لها: «إنّه صعلوك!»[2].

* * *

كذلك ينبغي أن نذكر حقيقة أُخرى في هذا المقام، وهي: أنّ معاوية لم يكن من كتّاب الوحي كما أشاع خدّام دولته بعد صدر الإسلام، ولكنّه كان يكتب للنبي ﷺ في عامّة الحوائج وفي إثبات ما يجبى من الصدقات وما يقسم في أربابها، ولم يسمع عن ثقة قط أنّه كتب للنبي شيئاً من آيات القرآن الكريم.

وعرفت لمعاوية خصال محمودة من خصال الجدّ والسيادة كالوقار والحلم والصبر والدهاء، ولكنّه ـ على هذا ـ كان لا يملك حلمه في فلتات تميد بالمُلك الراسخ، ومنها قتله حجر بن عدي[3] وستّة من أصحابه؛ لأنّهم

---

(١) عهدة هذه الدعوى على مدّعيها.

(٢) المرأة هي فاطمة بنت قيس.

راجع: صحيح مسلم ٢: ١١١٩، سنن أبي داود ٢: ٢٨٦، سنن النسائي ٦: ٢٠٨، السنن الكبرى للبيهقي ٧: ٤٧١، منحة المعبود ١: ٣٢٤.

(٣) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٣٦).

كانوا ينكرون سبّ علي وشيعته[١]. فما زال بقيّة حياته يندم على هذه الفعلة، ويقول: «ما قتلت أحداً إلّا وأنا أعرف فيم قتلته ما خلا حجراً، فإنّي لا أعرف بأيّ ذنب قتلته»[٢].

وأمّ يزيد هي ميسون بنت بحدل الكلبيّة من كرائم بني كلب المعرقات في النسب، وهي التي كرهت العيش مع معاوية في دمشق، وقالت تتشوّق إلىٰ عيش البادية:

للبس عباءة وتقرّ عيني ... أحبّ إليّ من لبس الشفوف[٣]
وبيت تخفق الأرواح فيه ... أحب إليّ من قصر منيف

ومن هذه الأبيات قولها:

وخرق[٤] من بني عمّي فقير ... أحبّ إليّ من علج[٥] عنيف[٦]!

فأرسلها وابنها يزيد إلىٰ باديتها، فنشأ يزيد مع أمّه بعيداً عن أبيه.

* * *

---

(١) هؤلاء الرجال الستّة ـ علىٰ ما في الكامل في التاريخ ٣: ٢٤٢ ـ هم: شريك بن شدّاد الحضرمي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، ومحرز بن شهاب السعدي التميمي، وكدام بن حيّان العنزي، وعبد الرحمان بن حسّان العنزي.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١٢: ٢٣١.

(٣) الشَفّ: ستر رقيق، قال أبو نصر: ستر أحمر رقيق من صوف يستشفّ ما وراءه. (صحاح اللغة ٤: ١٣٨٢).

(٤) الخِرق: الرجل المتخرّق بالمعروف الكثير الخير. (جمهرة اللغة ١: ٥٩٠).

(٥) رجل عَلج: شديد. (صحاح اللغة ١: ٣٣٠).

(٦) راجع: تاريخ أبي الفداء ١: ٢٦٨، البداية والنهاية ٨: ٢٣٥، سمط النجوم العوالي ٣: ٢١٢.

وقد أفاد من هذه النشأة البدويّة بعض أشياء تنفع الأقوياء، ولكنّها علىٰ ما هو مألوف في أعقاب السلالات القويّة تضيرهم وتجهز علىٰ ما بقي من العزيمة فيهم..

فكان ما استفاده من بادية بني كلب بلاغة الفصحىٰ وحبّ الصيد وركوب الخيل ورياضة الحيوانات ولا سيّما الكلاب.

وهذه صفات في الرجل القوي تزيّنه وتشحذ قواه، ولكنّها في أعقاب السلالات أو عكارة البيت ـ كما يقال بين العامّة ـ مدعاة إلىٰ الإغراق في اللهو والولع بالفراغ؛ لأنّها هي عنده كلّ شيء، وليست مدداً لغيرها من كبار الهمم وعظائم الهموم.

وهكذا انقلبت تلك الصفات في يزيد من المزية إلىٰ النقيصة.. فكان كلفه بالشعر الفصيح مغرياً له بمعاشرة الشعراء والندماء في مجالس الشراب، وكان ولعه بالصيد شاغلاً يحجبه عن شواغل الملك والسياسة، وكانت رياضته للحيوانات مهزلة تلحقه بأصحاب البطالة من القرّادين والفهّادين.

فكان له قرد يدعوه «أبا قيس» يلبسه الحرير، ويطرّز لباسه بالذهب والفضّة، ويحضره مجالس الشراب، ويركبه أتاناً في السباق، ويحرص علىٰ أن يراه سابقاً مجلياً علىٰ الجياد، وفي ذلك يقول يزيد ـ كما جاء في بعض الروايات ـ:

تمسّك أبا قيس بفضل عنانها ... فليس عليها إن سقطت ضمان
ألا من رأىٰ القرد الذي سبقت به ... جياد أمير المؤمنين أتان[1]

---

(١) انظر: مروج الذهب ٣: ٧٧، حياة الحيوان للدميري ٢: ٢٠١.

وقد يكون عبد الله بن حنظلة[١] مبالغاً في المذمّة حين قال ـ فيما نسب إليه ـ: «والله ما خرجنا على يزيد حتّى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء. إنّ رجلاً ينكح الأُمّهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة. والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت الله فيه بلاءً حسناً»[٢].

* * *

ولكن الروايات لم تجمع على شيء كإجماعها على إدمانه الخمر، وشغفه باللذات وتوانيه عن العظائم[٣].

وقد مات بذات الجنب وهو لمّا يتجاوز السابعة والثلاثين. ولعلّها إصابة الكبد من إدمان الشراب والإفراط في اللذات[٤].

---

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٣٧).

(٢) الردّ على المتعصّب العنيد ٥٤، تذكرة الخواص ٢٨٩، تاريخ الخلفاء للسيوطي ٢٠٩.

(٣) قارن: تاريخ خليفة ١٥٧، مروج الذهب ٣: ٨١، الردّ على المتعصّب العنيد ٥٣، تذكرة الخواص ٢٨٨ و٢٨٩، البداية والنهاية ٨: ٢٣٠ و٢٣٢ و٢٣٣.

(٤) يعدّ تليّف الكبد أهمّ ثالث سبب لوفيات المتعاطين للخمور. ففي المراحل الأُولى لشرب الخمر تتشرّب الكبد بالدهون نتيجة لتراكم كمّيات إضافيّة، فتتضخّم ويشكو المصاب من إعياء وآلام بسيطة في المنطقة العلوية اليمنى من البطن، وقد تلتهب الكبد بشكل حادٍّ فتتضخّم هي والطحال كذلك، ويصاب المرء بترفّع حروري وآلام في البطن وإعياء وفقدان الشهية للطعام، كما يصاب باليرقان بسبب توقّف الكبد عن طرح الصفراء، وتؤدّي هذه الحالة إلى وفاة حوالي ١٣٪ من المصابين، وإلى تشمّع الكبد في ٣٠٪ من الحالات تقريباً. وفي مرحلة أكثر تقدّماً يحدث التشمّع بعد مرور حوالي عشرة سنوات على بدء شرب الخمر، فيزداد التليّف وكذلك، فتزداد الصفراء في الدم ←

ولا يعقل أن يكون هذا كلّه اختلاقاً واختراعاً من الأعداء؛ لأنّ الناس لم يختلقوا مثل ذلك علىٰ أبيه أو علىٰ عمرو بن العاص، وهما بغيضان أشدّ البغض إلىٰ أعداء الأُمويين، ولأنّ الذين حاولوا ستره من خدّام دولته لم يحاولوا الثناء علىٰ مناقب فيه تحلّ عندهم محلّ مساوئه وعيوبه، كأنّ الاجتراء علىٰ مثل هذا الثناء من وراء الحسبان.

ولم يكن هذا التخلّف في يزيد من هزال في البنية أو سقم اعتراه كذلك السقم الذي يعتري أحياناً بقايا السلالات التي تهمّ بالانقراض والدثور، ولكنّه كان هزالاً في الأخلاق وسقماً في الطوية، قعد به عن العظائم مع وثوق بنيانه وضخامة جثمانه واتّصافه ببعض الصفات الجسديّة التي تزيد في وجاهة الأُمراء، كالوسامة وارتفاع القامة.

وقد أُصيب في صباه بمرض خطير ـ وهو الجدري ـ بقيت آثاره في وجهه إلىٰ آخر عمره[1]، ولكنّه مرض كان يشيع في البادية، ولم يكن من دأبه أن يقعد بكل من أُصيب به عن الطموح والكفاح.

* * *

← فتزداد نسبة السموم فيه بشكل كبير بسبب عجز الكبد عن طرحها، فتؤثّر علىٰ المخ، وتحدث اضطرابات كبيرة في مقدرة الإنسان العقليّة، ويرتفع ضغط الدم، وبالتالي يصاب المدمن بفقر دم واضح، وقد تحدث نزوف دموية في المعدة، وهذا بدوره يؤدّي إلىٰ قيء دموي تالي، وربّما يتوفّىٰ المدمن تحت تأثير هذه المضاعفات كلّها. (المخدّرات ١٤٧).

(١) البداية والنهاية ٨: ٢٢٧.

وعلىٰ فرط ولعه بالطراد حين يكون الطراد لهواً وفراغاً، كانت همّته الوانية تفتر به عن الطراد حين تتسابق إليه عزائم الفرسان في ميادين القتال، ولو كان دفاعاً عن دينه ودنياه.

فلمّا سيّر أبوه جيش سفيان بن عوف إلىٰ القسطنطينية لغزو الروم ودفاعهم عن بلاد الإسلام ـ أو بلاد الدولة الأُمويّة ـ تثاقل وتمارض حتّىٰ رحل الجيش، وشاع بعد ذلك أنّه امتحن في طريقه ببلاء المرض والجوع، فقال يزيد:

ما إن أُبالي بما لاقت جموعهم ... بالفرقدونة[١] من حمّىٰ ومن موم[٢]
إذا اتكأت علىٰ الأنماط[٣] مرتفقاً[٤] ... بدير مرّان[٥] عندي أُمّ كلثوم

فأقسم أبوه حين بلغه هذان البيتان ليلحقنّ بالجيش ليدرأ عنه عار

---

(١) لم يرد في المعاجم الجغرافية علىٰ الظاهر لفظ: (الفرقدونة)، وإنّما ورد بلفظ: (الغَذَقَنونة)، أو بلفظ: (الخذقذونة). والغذقذونة: اسم جامع للثغر الذي منه المصيصة وطرسوس وغيرهما. (معجم البلدان ٣: ٣٧٨).

(٢) الموم: الحمّىٰ مع البرسام، وقيل: البرسام، وقيل: الجدري. (لسان العرب ١٣: ٢٢٤).

(٣) النَمط: ضرب من البُسُط. (صحاح اللغة ٣: ١١٦٥).

(٤) مرتفقاً، أي: متّكئاً علىٰ مرفق اليد. (المصدر السابق ٤: ١٤٨٢).

(٥) دير مُرّان: دير بالقرب من دمشق علىٰ تلّ مشرف علىٰ مزارع الزعفران، وبناؤه بالجصّ وأكثر فرشه بالبلاط الملوّن، وهو دير كبير فيه رهبان كُثُر، وفي هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني، والأشجار محيطة به، ولأبي بكر الصنوبري شعر فيه. (معجم البلدان ٢: ٣٦١).

النكول والشماتة بجيش المسلمين بعد شيوع مقاله في خلواته[١].

* * *

ومن أعجب عجائب المناقضة التي تمّت في كلّ شيء بين الحسين ويزيد أنّ يزيد لم يختص بمزية محمودة تقابل نظائرها من مزايا الحسين، حتّىٰ في تلك الخصال التي تأتي بها المصادفة ولا فضل فيها لأصحابها ومنها مزية السنّ وسابقة الميلاد.

فلمّا تنازعا البيعة كان الحسين في السابعة والخمسين مكتمل القوّة ناضج العقل وافي المعرفة بالعلم والتجربة، وكان يزيد في نحو الرابعة والثلاثين لم يمارس من شؤون الرعاة ولا الرعيّة ما ينفعه بين هؤلاء أو هؤلاء.

ومزية السنّ هذه قد يطول فيها الأخذ والردّ بين أبناء العصور الحديثة، ولكنّها كانت تقطع القول في أُمّة العرب حيث نشأ الأسلاف والأخلاف علىٰ طاعة الشيوخ ورعاية الأعمار.. وهذا علىٰ أنّ السابعة والخمسين ليست بالسنّ التي تعلو بصاحبها في الكبر حتّىٰ تسلبه مزية الفتوّة ومضاء العزيمة.

كذلك لا يقال: إنّ الوراثة المشروعة في الممالك كان لها شأن يرجح بيزيد علىٰ الحسين في ميزان العروبة والإسلام[٢].

فقد كان توريث معاوية ابنه علىٰ غير وصية معروفة من السلف

---

(١) لاحظ: تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٩، الأغاني ١٧: ١٤١، الكامل في التاريخ ٣: ٢٢٧.

(٢) راجع محاضرات في تاريخ الأُمم الإسلاميّة (الدولة الأُموية) ٢: ١١٩ و ١٢٠.

بدعة هرقليّة كما سمّاها المسلمون في ذلك الزمان[١]، ولم يكن معقولاً أنّ العرب في صدر الإسلام يوجبون طاعة يزيد لأنّه ابن معاوية وهم لم يوجبوا طاعة آل النبي في أمر الخلافة لأنّهم قرابة محمّد ﷺ.

فقد شاءت عجائب التاريخ إذاً أن تقيم بين ذينك الخصمين قضيّة تتّضح فيها النزعة النفعيّة علىٰ نحو لم تتّضحه قط في أمثالها من القضايا، وقد وجب أن ينخذل يزيد كلّ الخذلان لولا النزعة النفعيّة التي أعانته وهو غير صالح لأن يستعين بها بغير أعوان من بطانته وأهله، ولئن كان في تلك النزعة النفعيّة مسحة تشوبها من غير معدنها الوضيع لتكوننّ هي عصبيّة القبيلة من بني أُميّة، وهي هنا نزعة مواربة[٢] تعارض الايمان الصريح ولا تسلم من الختل[٣] والتلبيس.

* * *

هذا شكّ بعض الناس في إسلام ذلك الجيل من الأُمويين[٤]، وهو شكّ لا نرتضيه من وجهة الدلائل التأريخيّة المتّفق عليها.

فقد يخطر لنا الشكّ في صدق دين أبي سفيان؛ لأنّ أخباره في

---

(١) قالها عبد الرحمان بن أبي بكر لمروان عندما طلب الأخير البيعة ليزيد من أهل المدينة.

قارن: المنتظم ٥: ٢٩٩، البداية والنهاية ٨: ٨٩، تاريخ الخلفاء للسيوطي ٢٠٣.

(٢) المواربة: المداهاة والمخاتلة. (لسان العرب ١٥: ٢٦٥).

(٣) الختل: الخداع. (جمهرة اللغة ١: ٣٨٩).

(٤) راجع: رسالة الجاحظ في بني أُميّة، والردّ علىٰ المتعصّب العنيد، والنصائح الكافية.

الإسلام تحتمل التأويلين، ولكنّ معاوية كان يؤدّي الفرائض ويتبرّك بتراث النبي ويوصي أن تدفن معه أظافره التي حفظها إلىٰ يوم وفاته[1].

وليس بيسير علينا أن نفهم كيف ينشأ معاوية الثاني علىٰ تلك التقوىٰ وذلك الصلاح وهو ناشئ في بيت مدخول الإسلام، يتصارح أهله أحياناً بما ينمّ علىٰ الكفر به أو التردّد فيه.

إنّما هي الأثرة، ثمّ الخرق في السياسة، ثمّ التمادي في الخرق مع استثارة العناد والعداء، وفي تلك الأثرة ولواحقها ما ينشِئ المقابلة من أحد طرفيها في هذه الخصومة، ويتمّ المناظرة في شقّيْ بواعثها بين ذينك الخصمين الخالدين، ونعني بهما هنا المثاليّة والواقعيّة، وما الحسين واليزيد إلّا المثالان الشاخصان منهما للعيان.

---

(١) انظر: تاريخ الطبري ٤: ٥٣٨، تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات ٤١ هـ - ٦٠ هـ) ٣١٦، البداية والنهاية ٨: ١٤١.

أعوان الفريقين

أعوان الفريقين

رجال المعسكرين

كان الحسين في طريقه إلىٰ الكوفة ـ يوم دعاه شيعته إليها ـ يسأل من يلقاهم عن أحوال الناس، فينبّئونه عن موقفهم بينه وبين بني أُميّة، وقلّما اختلفوا في الجواب.

سأل الفرزدق[1] وهو خارج من مكّة ـ والفرزدق مشهور بالتشيّع لآل البيت ـ فقال له: «قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أُميّة، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء»[2].

وقال له مجمع بن عبيد العامري: «أمّا أشراف الناس فقد أُعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم فهم قلب واحد عليك، وأمّا سائر الناس بعدهم

---

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٣٨).

(٢) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ٣: ١٦٥، تاريخ الطبري ٤: ٥٨٩ ـ ٥٩٠، الفتوح لابن أعثم ٥: ١٢٠، العقد الفريد ٥: ١٣٣، إعلام الورىٰ ١: ٤٤٥ـ٤٤٦، الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٦، البداية والنهاية ٨: ١٦٦ و١٦٧.

فإنّ قلوبهم تهوىٰ إليك وسيوفهم غداً مشهورة عليك»[١].

وقد أصاب الفرزدق وأصاب مجمع بن عبيد، فإنّ الناس جميعاً كانوا بأهوائهم وأفئدتهم مع الحسين بن علي ما لم تكن لهم منفعة موصولة بملك بني أُميّة، فهم إذاً عليه بالسيوف التي تشهرها الأيدي دون القلوب.

وقد أُعظمت الرشوة للرؤساء وأُعظمت لهم من بعدها الوعود والآمال، فعلموا أنّ دوام نعمتهم من دوام ملك بني أُميّة.

فأمّا الرؤساء الذين كانت لهم مكانتهم بمعزل عن الملك القائم، فقد كانوا ينصرون حسيناً ولا ينصرون الأُمويين، أو كانوا يصانعون الأُمويين ولا يبلغون بالمصانعة أن يشهروا الحرب علىٰ الحسين.

ومن هؤلاء هانئ بن عروة من كبار الزعماء في قبائل كندة، وشريك ابن الأعور، وسليمان بن صرد الخزاعي[٢]، وكلاهما من ذوي الشرف والدين.

بل كان من العاملين لبني أُميّة من يخزه ضميره إذا بلغ العداء للحسين أشدّه، فيترك معسكر بني أُميّة ليلوذ بالمعسكر الذي كتب عليه الموت

---

(١) تاريخ أبي مخنف ١: ٤٤٣، أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ٣: ١٧٢، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨١، البداية والنهاية ٨: ١٧٣.

ولكن اسم القائل ورد في المصدر الأوّل والثاني تحت عنوان: مجمع بن عبد الله العائذي المذحجي، وورد في المصدر الثالث: مجمع بن عبيد الله العامري، وفي المصدر الأخير: مجمع بن عبدالله العامري.

(٢) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٣٩).

والبلاء.

كما فعل الحرّ بن يزيد الرياحي في كربلاء وقد رأىٰ القوم يهمّون بقتل الحسين ولا يقنعون بحصاره، فسأل عمر بن سعد[1] قائد الجيش: «أمقاتل أنت هذا الرجل؟»، فلمّا قال: «نعم» ترك الجيش الأُموي، وذهب يقترب من الحسين حتّىٰ داناه، فقال له: «جعلت فداك يا ابن رسول الله، أنا صاحبك حبستك عن الرجوع وجعجعت[2] بك في هذا المكان، وما ظننت أنّ القوم يردّون عليك ما عرضته عليهم، ووالله لو علمت أنّهم ينتهون بك إلىٰ ما أرىٰ ما ركبت مثل الذي ركبت، وإنّي تائب إلىٰ الله ممّا صنعت، فهل ترىٰ لي من توبة؟»، فقبل الحسين توبته، وجعل الرجل يقاتل من ساعتها حتّىٰ قتل، وآخر كلمة علىٰ لسانه فاه بها: «السلام عليك يا أبا عبد الله!»[3].

* * *

فمجمل ما يقال علىٰ التحقيق: أنّه لم يكن في معسكر يزيد رجل يعينه علىٰ الحسين إلّا وهو طامع في مال مستميت في طمعه استماتة من يهدر الحرمات ولايبالي بشيء منها في سبيل الحطام.

---

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٤٠).

(٢) في صحاح اللغة (٣: ١١٩٦): (وكتب عبيد الله بن زياد إلىٰ عمر بن سعد: أن جعجع بحسين. قال الأصمعي: يعني: احبسه، وقال ابن الأعرابي: يعني: ضيّق عليه).

(٣) تاريخ أبي مخنف ١: ٤٦٤ و٤٦٦ ـ ٤٦٧، الإرشاد ٢: ٩٩ ـ ١٠٠، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٨، مقتل الحسين لكاشف الغطاء ٢٥ ـ ٢٧.

ولقد كان لمعاوية مشيرون من ذوي الرأي كعمرو بن العاص والمغيرة ابن شعبة وزياد بن أبيه وأضرابهم من أُولئك الدهاة الذين يسمّيهم التأريخ أنصار دول وبناة عروش.

وكان لهم من سمعة معاوية وذرائعه شعار يدارون به المطامع ويتحلّلون من التأثيم.

لكنّ هؤلاء بادوا جميعاً في حياة معاوية[1]، ولم يبق ليزيد مشير واحد ممّن نسمّيهم بأنصار وبناة العروش، وإنّما بقيت له شرذمة علىٰ غراره أصدق ما توصف به أنّها شرذمة جلّادين، يقتلون من أُمروا بقتله ويقبضون الأجر فرحين.

فكان أعوان معاوية ساسة وذوي مشورة، وكان أعوان يزيد جلّادين وكلاب طراد في صيد كبير.

وكانوا في خلاتقهم البدنيّة علىٰ المثال الذي يعهد في هذه الطغمة من الناس، ونعني به مثال المسخاء المشوّهين، أُولئك تمتلئ صدورهم بالحقد علىٰ أبناء آدم ولاسيّما من كان منهم علىٰ سواء الخلق وحسن الأُحدوثة، فإذا بهم يفرغون حقدهم في عدائه وإن لم ينتفعوا بأجر أو غنيمة. فإذا انتفعوا بالأجر والغنيمة فذلك هو حقد الضراوة الذي لا تعرف له حدود.

---

(١) حيث توفّي عمرو بن العاص سنة ٤٣ هـ، والمغيرة بن شعبة سنة ٥٠ هـ، وزياد بن أبيه سنة ٥٣ هـ، وغير هؤلاء كسعيد بن العاص سنة ٥٩ هـ.
راجع مرآة الجنان ١: ٩٧ و١٠٠ و١٠٢ و١٠٦.

وشرّ هؤلاء جميعاً هم: شمر بن ذي الجوشن[١]، ومسلم بن عقبة[٢]، وعبيد الله بن زياد. ويلحق بزمرتهم علىٰ مثال قريب من مثالهم عمر بن سعد بن أبي وقّاص.

فشمر بن ذي الجوشن كان أبرص كريه المنظر قبيح الصورة[٣]، وكان يصطنع المذهب الخارجي ليجعله حجّة يحارب بها عليّاً وأبناءه، ولكنّه لا يتّخذه حجّة ليحارب بها معاوية وأبناءه، كأنّه يتّخذ الدين حجّة للحقد، ثمّ ينسىٰ الدين والحقد في حضرة المال.

* * *

ومسلم بن عقبة مخلوق مسمّم الطبيعة في مسلاخ إنسان..

«وكان أعور أمغر[٤] ثائر الرأس، كأنّما يقلع رجليه من وحل إذا مشىٰ».

وقد بلغ من ضراوته بالشرّ ـ وهو شيخ فان مريض ـ أنّه أباح المدينة في حرم النبي ﷺ ثلاثة أيام، واستعرض أهلها بالسيف جزراً كما يجزر القصّاب الغنم حتّىٰ ساخت الأقدام في الدم، وقتل أبناء المهاجرين والأنصار وذرّية أهل بدر، وأخذ البيعة ليزيد بن معاوية علىٰ كلّ من استبقاه من الصحابة والتابعين علىٰ أنّه عبد قنّ لأمير المؤمنين[٥]!

---

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٤١).

(٢) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٤٢).

(٣) تذكرة الخواص ٢٨٥، البداية والنهاية ٨: ١٨٨.

(٤) الأمغر: الأحمر الكَدِر. (لسان العرب ١٣: ١٥١).

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٥٠ ـ ٢٥١، الفتوح لابن أعثم ٥: ٢٩٣ ـ ٣٠٠، مروج الذهب ٣: ←

وانطلق جنده في المدينة إلىٰ جوار قبر النبي يأخذون الأموال ويفسقون بالنساء، حتّىٰ بلغ القتلىٰ في تقدير الزهري سبع مائة من وجوه الناس وعشرة آلاف من الموالي[١].

ثمّ كتب إلىٰ يزيد يصف له ما فعل وصف الظافر المتهلّل، فقال ـ بعد كلام طويل ـ: «فأدخلنا الخيل عليهم، فما صلّيت الظهر ـ أصلح الله أمير المؤمنين ـ إلّا في مسجدهم! بعد القتل الذريع والانتهاب العظيم، وأوقعنا بهم السيوف، وقتلنا من أشرف لنا منهم، واتّبعنا مدبرهم، وأجهزنا علىٰ جريحهم، وانتهبناها ثلاثاً كما قال أمير المؤمنين أعزّ الله نصره، وجعلت دور بني الشهيد عثمان بن عفّان في حرز وأمان، والحمد لله الذي شفا صدري من قتل أهل الخلاف القديم والنفاق العظيم، فطالما عتوا وقديماً ما طغوا! أكتب هذا إلىٰ أمير المؤمنين وأنا في منزل سعيد بن العاص مدنفاً مريضاً ما أراني إلّا لما بي، فما كنت أُبالي متىٰ متّ بعد يومي هذا»[٢].

* * *

وكلّ هذا الحقد المتأجّج في هذه الطوية العفنة إنّما هو الحقد في طبائع المسخاء الشانئين.. يوهم نفسه أنّه الحقد من ثأر عثمان أو من خروج قوم علىٰ ملك يزيد.

وكان عبيد الله بن زياد متّهم النسب في قريش؛ لأنّ أباه زياداً كان

← ٧٨ ـ ٨٠، شفاء الغرام ٢: ٢٦٣ ـ ٢٦٤، أيام العرب في الإسلام ٤٢٢ ـ ٤٣٠.

(١) تاريخ أبي الفداء ١: ٢٦٧، البداية والنهاية ٨: ٢٢١.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

مجهول الأب، فكانوا يسمّونه زياد بن أبيه، ثمّ ألحقه معاوية بأبي سفيان؛ لأنّ أبا سفيان ذكر ـ بعد نبوغ زياد ـ أنّه كان قد سكر بالطائف ليلة فالتمس بغيّاً، فجاءوه بجارية تدعى سميّة، فقالت له ـ بعد مولد زياد ـ: إنّها حملت به في تلك الليلة[١].

وكانت أمّ عبيد الله جارية مجوسيّة تدعى مرجانة، فكانوا يعيّرونه بها وينسبونه إليها[٢].

ومن عوارض المسخ فيه ـ وهي عوارض لها في نفوس العرب دخلة تورث الضغن والمهانة ـ أنّه كان ألكن اللسان لا يقيم نطاق الحروف العربيّة.

فكان إذا عاب الحروري من الخوارج قال: «هروري»، فيضحك سامعوه[٣]. وأراد مرّة أن يقول: «اشهروا سيوفكم»، فقال: «افتحوا سيوفكم!» فهجاه يزيد بن مفرّغ[٤] قائلاً:

ويوم فتحت سيفك من بعيد أضعت وكلّ أمرك للضياع[٥]

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٨ ـ ٢١٩، العقد الفريد ٥: ٢٦٦ ـ ٢٦٧، مروج الذهب ٣: ١٤ ـ ١٧، الاستيعاب ٢: ١٠١، تاريخ مدينة دمشق ١٩: ١٦٢ و١٧٣ و١٧٩، الكامل في التاريخ ٣: ٢١٩ ـ ٢٢١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ٢٣٦، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٩٦، الإتحاف بحبّ الأشراف ٦٦ ـ ٦٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٣٧: ٤٣٦.

(٣) البيان والتبيين ١: ٧٢، تاريخ مدينة دمشق ٣٧: ٤٤٠.

(٤) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٤٣).

(٥) البيان والتبيين ٢: ٢١٠ ـ ٢١١.

ولم يكن أهون لديه من قطع الأيدي والأرجـل والأمـر بـالقتل في ساعة الغضب لشبهة ولغير شبهة.

في ذلك يقول مسـلم بـن عـقيل ـ وهـو صـادق مـؤيّد بـالأمثال والمثلات ـ: «ويقتل النفس التي حرّم الله قتلها علىٰ الغضب والعداوة وسوء الظنّ، وهو يلهو ويلعب كأنّه لم يصنع شيئاً»[1].

وقد كانت هذه الضراوة علىٰ أعنفها وأسوئها يوم تصدّى عبيد الله بن زياد لمنازلة الحسين؛ لأنّه كان يومئذٍ في شرّة الشباب[2] لم يتجاوز الثامنة والعشرين، وكان يزيد يبغضه ويبغض أباه؛ لأنّه كان قـد نـصح لمـعاوية بالتمهّل في الدعوة إلىٰ بيعة يزيد[3]، فكان عبيد الله من ثمّ حريصاً علىٰ دفع الشبهة والغلو في إثبات الولاء للعهد الجديد.

والذين لم يمسخوا في جبلتهم وتكوينهم هذا المسخ من أعوان يزيد بن معاوية، كان الطمع في المناصب والأموال واللذات قد بلغ ما يبلغه المسخ من تحويل الطبائع وطمس البصائر ومغالطة النفوس في الحقائق.

* * *

← وذكر الأصفهاني في الأغاني (١٨: ٢٠٧): أنّ الذي قال: «افتحوا سيوفكم» هو عبّاد بن زياد أخو عبيد الله.

(١) تاريخ أبي مخنف ١: ٤٢٦، الإرشاد ٢: ٦٢، الكامل في التـاريخ ٣: ٢٧٤، البـدايـة والنهاية ٨: ١٥٦.

(٢) الشرّة: النشاط. (لسان العرب ٧: ٧٨).

(٣) المنتظم ٥: ٢٨٦، الكامل في التاريخ ٣: ٢٤٩ ـ ٢٥٠، تذكرة الخواص ٢٤١، البداية والنهاية ٨: ٧٩ و١٥٢، سمط النجوم العوالي ٣: ١٤٨.

ومن هذا القبيل عمر بن سعد بن أبي وقّاص الذي أطاع عبيد الله بن زياد في وقعة كربلاء، ولم يعدل بتلك الوقعة عن نهايتها المشؤومة، وقد كان العدول بها عن تلك النهاية في يديه.

فقد أغرىٰ عمر بن سعد بولاية الري[١]، وهي درّة التاج في ملك الأكاسرة الأقدمين. وكان يتطلع إليها منذ فتحها أبوه[٢] القائد النبيل العزوف.

وينسب إليه أنّه قال ـ وهو يراود نفسه علىٰ مقاتلة الحسين ـ:

فوالله ما أدري وإنّي لحائر أفكّر في أمري علىٰ خطرين
أأترك ملك الري والري منيتي أم أرجع مأثوماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها حجاب، وملك الري قرّة عيني[٣]

فإن لم تكن هذه الأبيات من لسانه فهي ولا شكّ من لسان حاله؛ لأنّها تسجّل الواقع الذي لا شبهة فيه.

* * *

ومن الواقع الذي لا شبهة فيه أيضاً أنّ عمر بن سعد هذا لم يخل من

---

(١) تاريخ أبي مخنف ١: ٤٤٧، أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ٣: ١٧٧، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٣، سمط النجوم العوالي ٣: ١٧٥.

(٢) الاستيعاب ٢: ١٧٢، البداية والنهاية ٨: ٧٢.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٩٨، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٣، نهضة الحسين ٨٦.

وقال اليافعي: (قلت: ولو قال:

أأترك ملك الري بل هو بغيتي وإن عدت مأثوماً بقتل حسين

لكان هذا الإنشاد أدلّ على المراد). (مرآة الجنان ١: ١٠٧).

غلظة في الطبع على غير ضرورة ولا استفزاز..

فهو الذي ساق نساء الحسين بعد مقتله على طريق جثث القتلى التي لم تزل مطروحة بالعراء، فصحن ـ وقد لمحنها على جانب الطريق ـ صيحة أسالت الدمع من عيون رجاله، وهم ممّن قاتل الحسين وذويه[1].

هؤلاء وأمثالهم لا يسمّون ساسة ملك ولا تسمّى مهنتهم تدعيم سلطان، ولكنّهم يسمّون جلّادين متنمّرين يطيعون ما في قلوبهم من غلظة وحقد، ويطيعون ما في أيديهم من أموال ووعود، وتسمّى مهمّتهم مذبحة طائشة لا يبالي من يسفك فيها الدماء أيّ غرض يصيب.

* * *

ومنذ قضي على يزيد بن معاوية أن يكون هؤلاء وأمثالهم أعواناً له في ملكه، قضي عليه من ساعتها أن يكون علاجه لمسألة الحسين علاج الجلّادين الذين لا يعرفون غير سفك الدماء، والذين يسفكون كلّ دم أُجروا عليه.

وهكذا كان ليزيد أعوان إذا بلغ أحدهم حدّه في معونته فهو جلّاد مبذول السيف والسوط في سبيل المال، وكان للحسين أعوان إذا بلغ أحدهم حدّه في معونته فهو شهيد يبذل الدنيا كلّها في سبيل الروح.

وهي إذاً حرب جلّادين وشهداء.

---

(١) تاريخ أبي مخنف ١: ٤٩٤، سمط النجوم العوالي ٣: ١٨١.

خروج الحسين

خروج الحسين

الحسين في مكّة

عمل يزيد بوصية أبيه، فلم يكن له همّ منذ قيامه علىٰ المُلك إلّا أن يظفر ببيعة الحسين وعبد الله بن الزبير في مقدّمة النفر الذين أنكروا العهد له في حياة معاوية.

وكان الوليد بن عتبة بن أبي سفيان والي معاوية يومئذٍ علىٰ المدينة، فلمّا جاءه كتاب يزيد بنعي أبيه، وأن يأخذ أُولئك النفر بالبيعة «أخذاً شديداً ليس فيه رخصة» دعا إليه بمروان بن الحكم، فأشار عليه بمشورته التي جمعت بين الإخلاص وسوء النيّة.. وفحواها أن يبعث إلىٰ الحسين وابن الزبير، فإن بايعا وإلّا ضرب عنقيهما!

وحدث بين الحسين والوليد ما تقدّمت الإشارة إليه في محضر مروان[1]، إذ عاد الحسين إلىٰ بيته، وقد عوّل علىٰ ترك المدينة إلىٰ مكّة كما تركها ابن الزبير من قبله.

فخرج منها لليلتين بقيتا من شهر رجب سنة ستّين للهجرة، ومعه

---

(١) تقدّمت الإشارة إلىٰ ذلك في ص١٠٣ ـ ١٠٤.

جلّ أهل بيته وأُخوته وبنو أخيه، ولزم في مسيره إلىٰ مكّة الطريق الأعظم[١] فلم يتنكّبه كما فعل ابن الزبير مخافة الطلب من ورائه. فصحّت في الرجلين فراسة معاوية في هذا الأمر الصغير، كما صحّت في غيره من كبار الأُمور.

وانصرف الناس في مكّة إلىٰ الحسين عن كلّ مطالب بالخلافة غيره، ومنهم ابن الزبير. فكان ابن الزبير يطوف بالكعبة كلّ يوم ويتردّد عليه في صباحه ومسائه، يتعرّف رأيه وما نمى إليه من آراء الناس في الحجاز والعراق وسائر الأقطار الإسلاميّة.

فلبث الحسين في مكّة أربعة أشهر علىٰ هذه الحال، يتلقّىٰ بين آونة وآونة دعوات المسلمين إلىٰ الظهور وطلب البيعة، ولا سيّما أهل الكوفة وما جاورها.

فقد كتبوا إليه يقولون: إنّ هنالك مائة ألف ينصرونك، وألحّوا في الكتابة يستعجلونه الظهور[٢].

وتردّد الحسين طوال هذه الأشهر فيما يفعل بهذه الدعوات المتتابعات، فبدا له أن يتمهّل حتّىٰ يتبيّن جلية القوم ويستطلع طلعهم من قريب.

---

(١) إعلام الورىٰ ١: ٤٣٥، المنتظم ٥: ٣٢٧، تذكرة الخواص ٢٤٥، البداية والنهاية ٨: ١٤٧.

(٢) راجع: تاريخ أبي مخنف ١: ٤٠٤، الأخبار الطوال ٢٢٩، مروج الذهب ٣: ٦٤، إعلام الورىٰ ١: ٤٣٦، الكامل في التاريخ ٣: ٢٦٦، تذكرة الخواص ٢٣٧، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٦٣.

وآثر أن يرسل إليهم ابن عمّه مسلم بن عقيل بن أبي طالب يمهّد له طريق البيعة إن رأىٰ فيها محلاً لتمهيد، وكتب إلىٰ رؤساء أهل الكوفة قبل ذلك كتاباً يقول فيه: «أمّا بعد: فقد أتتني كتبكم، وفهمت ما ذكرتم من محبّتكم لقدومي عليكم، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم.. فإن كتب إليّ أنّه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجىٰ[1] منكم علىٰ مثل ما قدمت عليّ به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله. فلعمري ما الإمام إلّا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحقّ والحابس نفسه علىٰ ذات الله، والسلام»[2].

* * *

ثمّ بلغ الحسين أنّ مسلماً قد نزل الكوفة، فاجتمع علىٰ بيعته للحسين اثنا عشر ألفاً، وقيل: ثمانية عشر ألفاً[3]، فرأىٰ أن يبادر إليه قبل أن يتفرّق هذا الشمل ويطول عليهم عهد الانتظار والمراجعة، فظهر عزمه هذا

---

(١) الحجا: العقل. (صحاح اللغة ٦: ٢٣٠٩).

(٢) تاريخ أبي مخنف ١: ٤٠٥، الأخبار الطوال ٢٣٠، الفتوح لابن أعثم ٥: ٥١ ـ ٥٢، المنتظم ٥: ٣٢٨، الكامل في التاريخ ٣: ٢٦٧، تذكرة الخواص ٢٤٤.

(٣) مروج الذهب ٣: ٦٤، إعلام الورىٰ ١: ٤٣٧، تذكرة الخواص ٢٤١، البداية والنهاية ٨: ١٥٢.

وقد ذُكر أنّ عدد المبايعين خمسة وعشرون ألفاً في المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٩١، أو ثمانية وعشرون ألفاً أو ثلاثون ألفاً في تاريخ أبي الفداء ١: ٢٦٤، أو أكثر من ثلاثين ألفاً في: الإمامة والسياسة ٢: ٨٠، العقد الفريد ٥: ١٢٦.

لمشيريه من خاصّته وأهل بيته. فاختلفوا في مشورتهم عليه بين موافق ومثبّط وناصح بالمسير إلىٰ جهة غير جهة العراق.

وكان أخوه محمّد بن الحنفيّة[١] يرىٰ ـ وهو بعد في المدينة ـ أن يبعث رسله إلىٰ الأمصار ويدعوهم إلىٰ مبايعته قبل قتال يزيد. فإن أجمعوا علىٰ بيعته فذاك. وإن اجتمع رأيهم علىٰ غيره «لم ينقض الله بذلك دينه ولا عقله»[٢].

وكان عبد الله بن الزبير يقول له: «إن شئت أن تقيم بالحجاز آزرناك ونصحنا لك وبايعناك. وإن لم تشأ البيعة بالحجاز تولّيني أنا البيعة. فتطاع ولا تعصى»[٣].

ويزعم كثير من المؤرّخين أنّ ابن الزبير كان متّهم النصيحة للحسين[٤].

ومن هؤلاء المؤرّخين أبو الفرج الأصبهاني. قال: «إنّ عبد الله بن الزبير لم يكن شيء أثقل عليه من مكان الحسين بالحجاز، ولا أحبّ إليه من خروجه إلىٰ العراق طمعاً في الوثوب بالحجاز؛ لأنّ لا يتمّ له إلّا بعد

---

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٤٤).

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ٢٦٥، البداية والنهاية ٨: ١٤٧ ـ ١٤٨، سمط النجوم العوالي ٣: ١٦٤.

(٣) تاريخ أبي مخنف ١: ٤٠١ و٤٣٢، الأخبار الطوال ٢٤٤. مروج الذهب ٣: ٦٥، الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٥.

(٤) كالمسعودي في مروج الذهب ٣: ٦٥، وابن الجوزي في المنتظم ٥: ٣٢٧، والعاصي في سمط النجوم العوالي ٣: ١٧٢.

خروج الحسين، فلقيه وقال له: «علىٰ أيّ شيء عزمت يا أبا عبد الله؟». فأخبره برأيه في إتيان الكوفة، وأعلمه بما كتب به مسلم بن عقيل، فقال [ابن] الزبير: «فما يحبسك؟ فوالله لو كان لي مثل شيعتك بالعراق ما تلوّمت في شيء»[1].

* * *

ولعلّ أنصح الناس له في هذه المسألة كان عبد الله بن عبّاس؛ لما بينهما من القرابة وما عرف به ابن عبّاس من الدهاء.. سأله:

ـ «إنّ الناس أرجفوا أنّك سائر إلىٰ العراق، فما أنت صانع؟».

قال:

ـ «قد أجمعت السير في أحد يوميّ هذين».

فأعاذه ابن عبّاس بالله من ذلك، وقال له:

ـ «إنّي أتخوّف عليك في هذا الوجه الهلاك. إنّ أهل العراق قوم غدر، أقم بهذا البلد فإنّك سيّد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك ـ كما زعموا ـ فلينفوا عدوّهم، ثمّ أقدم عليهم، فإن أبيت إلّا أن تخرج فسر إلىٰ اليمن، فإنّ بها حصوناً وشعاباً ولأبيك بها شيعة».

فقال له الحسين:

ـ «يا ابن العمّ، إنّي أعلم أنّك ناصح مشفق، ولكنّي قد أزمعت

---

(١) مقاتل الطالبيين ٧٢.

وقد نُقلت الواقعة في: تاريخ أبي مخنف ١: ٤٠١ و٤٣٢، تاريخ خليفة ١٤٤، مروج الذهب ٣: ٦٥، الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٥، البداية والنهاية ٨: ١٦٠.

وأجمعت علىٰ المسير».

قال ابن عبّاس:

ـ «إن كنت لابدّ فاعلاً، فلا تخرج أحداً من ولدك ولا حرمك ولا نسائك، فخليق أن [لا] تقتل وهم ينظرون إليك كما قتل ابن عفّان»[١].

السفر إلىٰ العراق

وخرج في الثامن من ذي الحجّة[٢] لا ينتظر العيد بمكّة؛ لأنّ أخبار البيعة بالكوفة حفّزته إلىٰ التعجيل بالسفر قبل فوات الأوان.

وكان مسلم بن عقيل قد نزل بالكوفة، فأقبل عليه الناس أُلوفاً أُلوفاً يبايعون الحسين علىٰ يديه، وبلغوا ثمانية عشر ألفاً في تقدير ابن كثير[٣] وثلاثين ألفاً في تقدير ابن قتيبة[٤].

---

(١) الفتوح لابن أعثم ٥: ١١٤، مروج الذهب ٣: ٦٥، مقاتل الطالبيين ٧٢، تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢١١، المنتظم ٥: ٣٢٨، الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٦، البداية والنهاية ٨: ١٦٠ و ١٦٤.

(٢) إعلام الورىٰ ١: ٤٤٥، المنتظم ٥: ٣٢٨، سمط النجوم العوالي ٣: ١٧٢.

وفي تذكرة الخواص (٢٤٠): أنّه خرج في اليوم السابع من ذي الحجّة، ولكن في (ص ٢٤٥) من المصدر السابق أنّه خرج في يوم الثامن من ذي الحجّة.

(٣) البداية والنهاية ٨: ١٥٢.

وراجع ترجمة ابن كثير في قائمة التراجم رقم (٤٥).

(٤) الإمامة والسياسة ٢: ٨.

وراجع ترجمة ابن قتيبة في قائمة التراجم رقم (٤٦).

وهال الأمر النعمان بن بشير[1] والي الكوفة، فحار فيما يصنع بمسلم وأتباعه وهم يزدادون يوماً بعد يوم، فصعد المنبر وخطب الناس معلناً أنّه لا يقاتل إلّا من قاتله ولا يثب إلّا على من وثب عليه[2].

* * *

وتسابق أنصار بني أُميّة إلىٰ يزيد ينقلون إليه ما يجري بالكوفة، فأشار عليه سرجون الرومي[3] مولىٰ أبيه أن يعزل النعمان ويولّي الكوفة عبيد الله بن زياد مضمومة إلىٰ البصرة التي كان يتولّاها في ذلك الحين[4].

وقدم عبيد الله إلىٰ الكوفة، فكان أوّل ما عمل بها أن جمع إليه عرفاء المدينة ـ أي: مشايخ أحيائها ـ فأمرهم أن يكتبوا له أسماء الغرباء ومن في أحيائهم من «طلبة أمير المؤمنين والحرورية وأهل الريب»، وأنذرهم «أيّما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إليه، صلب علىٰ باب داره، وأُلغيت تلك العرافة من العطاء»[5].

والتمس وجوه المدينة من شيعة الحسين يترضّاهم ويستخرج خفاياهم.. فسأل عمّن تخلّف منهم عن لقائه وعلىٰ رأسهم هانئ بن عروة،

---

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٤٧).

(٢) الأخبار الطوال ٢٣١، الفتوح لابن أعثم ٥: ٥٧، الإرشاد ٢: ٤١، الكامل في التاريخ ٣: ٢٦٧.

(٣) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٤٨).

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٥٥٦، الفتوح لابن أعثم ٥: ٦٠، الإرشاد ٢: ٤٢، إعلام الورىٰ ١: ٤٣٧، سمط النجوم العوالي ٣: ١٦٧، تاريخ الكوفة ٢٩٥.

(٥) الإرشاد ٢: ٤٤ ـ ٤٥، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٦.

فقيل له: إنّه مريض لا يبرح داره.. وكان يتعلّل بالمرض تجنّباً للقائه والسلام عليه.

فذهب عبيد الله إليه يعوده ويتلطّف إليه، وجاء في بعض الروايات: أنّه قد أُشير علىٰ مسلم بن عقيل بقتله وهو في بيت هانئ، فأبىٰ أن يغتاله وهو آمن في بيت مريض يعوده[١].

وقال ابن كثير ما فحواه: إنّهم أشاروا علىٰ مسلم بن عقيل بقتله وهو في دار شريك بن الأعور، وقد علم شريك أنّ عبيد الله سيعوده، فبعث إلىٰ هانئ بن عروة يقول له: «ابعث مسلم بن عقيل في داري؛ ليقتل عبيد الله إذا جاء يعودني».. فتحيّن مسلم عن قتله، وسأله شريك: «ما منعك أن تقتله؟» قال: «بلغني حديث عن رسول الله ﷺ: إنّ الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن[٢]، وكرهت أن أقتله في بيتك»، قال شريك: «أمّا لو قتلته لجلست في الثغر لا يستعدي به أحد، ولكفيتك أمر البصرة، ولكنت تقتله ظالماً فاجراً». ثمّ مات شريك بعد ثلاثة أيام[٣].

* * *

وتضطرب الأقاويل في وقائع هذه الأيام؛ لتلاحقها وكثرتها وكثرة رواتها والعاملين فيها.. ولكنّ الشائع من تلك الأقاويل ينبئنا عن عنت

---

(١) تاريخ أبي مخنف ١: ٤١٢، الأخبار الطوال ٢٣٤ ـ ٢٣٥، الفتوح لابن أعثم ٥: ٧١ ـ ٧٤، مقاتل الطالبيين ٦٥، المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٩١ ـ ٩٢.

(٢) انظر: مسند أحمد ١: ١٦٦، مجمع الزوائد ١: ٩٦، كنز العمّال ١٠: ٤٩٩.

(٣) البداية والنهاية ٨: ١٥٣.

شديد لقيه عبيد الله بن زياد في مغالبة مسلم وشيعته، وأنّه هرب مرّة من المسجد؛ لأنّ الناس بصروا بمسلم مقبلاً، فتصايحوا بعبيد الله، فاعتصم بقصره وأغلق عليه أبوابه[1].

واجتمع إلىٰ مسلم أربعة آلاف من حزبه، فأمر من ينادي في الناس بشعار الشيعة: «يا منصورا أمت»، ثمّ تقدّم إلىٰ قصر الإمارة في تعبئة كتعبئة الجيش.

ولم يكن في القصر إلّا ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون من أهل الكوفة. فخامر اليأس عبيد الله وظنّ أنّه هالك قبل أن يدركه الغوث من مولاه. ولكنّه تحيّل بما في وسع المستميت من حيلة هي علىٰ أيّة حال أجدىٰ وأسلم له من التسليم، فأنفذه أنصاره إلىٰ كلّ صوب في المدينة يعدون ويتوعّدون.. وانطلق هؤلاء الأنصار يرجفون بقرب وصول المدد الزاخر من يزيد، وينذرون الناس بقطع العطاء وأخذ البريء بالمذنب والغائب بالشاهد، ويبذلون المال لمن يرشى بالمال والوعد لمن يقنع بالوعد إلىٰ حين[2].

---

(١) الفتوح لابن أعثم ٥: ٨٦، مقاتل الطالبيين ٦٦، الإرشاد ٢: ٥١، البداية والنهاية ٨: ١٥٤.

(٢) لاحظ: الأخبار الطوال ٢٣٨ ـ ٢٣٩، مروج الذهب ٣: ٦٧، مقاتل الطالبيين ٦٦ ـ ٦٧، الإرشاد ٢: ٥٢ ـ ٥٤، الكامل في التاريخ ١٣: ٢٧١ ـ ٢٧٢، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٦٤.

مقتل مسلم بن عقيل

وتوسّلوا بكلّ وسيلة تبلغ بهم ما أرادوا من تخذيل الناس عن مسلم ابن عقيل حتّىٰ كانوا يرسلون الزوجة وراء زوجها والأُمّ وراء ولدها والأخ وراء أخيه، فيتعلّقون بهم حتّىٰ يقفلوا إلىٰ دورهم أو يدخلوا بهم في زمرة عبيد الله.

فلمّا غربت شمس ذلك اليوم نظر مسلم حوله فإذا هو في خمس مائة من أُولئك الآلاف الأربعة، ثمّ صلّىٰ المغرب فلم يكن وراءه في الصلاة غير ثلاثين تسلّلوا من حوله تحت الظلام، وبقي وحيداً في المسجد لا يجد معه من يدلّه علىٰ منزل يأوي إليه[1].

وتسمّع عبيد الله من القصر حين سكنت الجلبة[2]، وسأل أصحابه أن يشرفوا ليروا من بقي من تلك الجموع.. فلم يروا أحداً ولم يسمعوا صوتاً. فخيّل إليهم أنّها مكيدة حرب وأنّ القوم رابضون[3] تحت الظلال، فأدلىٰ بالقناديل والمشاعل حتّىٰ اطمأنّ إلىٰ خلو المسجد وتفرّق مسلم وأتباعه، فدعا إلىٰ الصلاة الجامعة، وأمر المنادين في أرجاء الكوفة: «ألا برئت الذمّة من رجل من الشرطة والعرفاء والمناكب ـ رؤوس العرفاء ـ والمقاتلة، صلّىٰ

---

(١) راجع المصادر المتقدّمة.

(٢) الجَلَب: الصوت، وقيل: اختلاط الصوت. (تاج العروس ٢: ١٦٧).

(٣) الرابض: الجالس المقيم. (لسان العرب ٥: ١٠٩ و١١٢).

العشاء إلاّ في المسجد»[١].

* * *

وأقام الحرّاس خلفه وهو يصلّي بمن أجابوه وقد امتلأ بهم المسجد، فخطبهم بعد الفراغ من صلاته قائلاً: «برئت ذمّة الله من رجل وجدنا ابن عقيل في داره».

وصاح في رئيس شرطته: «يا حصين بن نمير[٢]! ثكلتك أمّك إن ضاع باب سكّة من سكك الكوفة وخرج هذا الرجل ولم تأتني به! وقد سلّطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصد على أفواه السكك، وأصبح غداً فاستبرئ الدور وجس خلالها حتّى تأتيني بهذا الرجل».

وما هي إلّا سويعات حتّى جيء بابن عقيل وقد دافع الشرط عن نفسه ما استطاع، ووصل إلى القصر جريحاً مجهداً ظمآن، فأهوى إلى قُلّة[٣] عند الباب فيها ماء بارد، فقال له أحد أصحاب عبيد الله[٤]: «أتراها ما أبردها! والله لا تذوق منها قطرة حتّى تذوق الجحيم في نار جهنّم!».

وأنكر عمر بن حريث هذه الفظاعة من الرجل[٥]، فجاءه بقُلّة عليها

(١) مقاتل الطالبيين ٦٨، الإرشاد ٢: ٥٥ ـ ٥٦، الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٢.

(٢) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٤٩).

(٣) القُلّة: الجرّة العظيمة. (جمهرة اللغة ١: ١٦٤).

(٤) القائل هو مسلم بن عمرو الباهلي والد قتيبة.

لاحظ: الفتوح لابن أعثم ٥: ٩٦، مقاتل الطالبيين ٧٠، الإرشاد ٢: ٦٠.

(٥) قيل: المنكر هو غلام لعمرو بن حريث الباهلي اسمه قيس.

منديل ومعها قدح فصبّ منها في القدح وأدناه منه، فإذا هو ينفث الدم في القدح كلّما رفعه للشرب منه حتّىٰ امتلأ وسقطت فيه ثنيتاه، فحمد الله وقال: «لو كان لي من الرزق المقسوم لشربته»[١].

وأدخلوه علىٰ عبيد الله، فنظر إلىٰ جلسائه وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقّاص، فناشده القرابة ليسمعنّ منه وصية ينفذها بعد موته، فأبىٰ أن يصغي إليه ا.. ثمّ أذن له عبيد الله، فقام معه، فقال مسلم: «إنّ عليّ بالكوفة ديناً استدنته سبع مائة درهم، فبع سيفي ودرعي فاقضها عنّي، وابعث إلىٰ الحسين من يردّه، فإنّي قد كتبت إليه أعلمه أنّ الناس معه، ولا أراه إلّا مقبلاً».

فعاد عمر إلىٰ عبيد الله، فأفشىٰ له السرّ الذي ناجاه به وأوصاه أن يكتمه. ثمّ دعا عبيد الله بالحرسي الذي قاومه مسلم وضربه علىٰ رأسه ـ واسمه بكير بن حمران[٢] ـ فأسلم مسلماً إليه، وقال له: «لتكن أنت الذي

← راجع: الفتوح لابن أعثم ٥: ٩٧، الإرشاد ٢: ٦٠ ـ ٦١.

وقيل: الغلام اسمه سليم. (مقاتل الطالبيين ٧٠).

وقيل: بل سليمان. (تاريخ الكوفة ٣٠٠).

وقيل: إنّ المنكر هو عمارة بن عقبة بن أبي معيط، بعث بالقلّة مع غلامه نسيم. (الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٣، البداية والنهاية ٨: ١٥٦).

(١) راجع جميع فصول هذه القصّة في: الفتوح لابن أعثم ٥: ٩٠. مقاتل الطالبيين ٦٨، الإرشاد ٢: ٥٧، الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٢.

(٢) هكذا ورد اسمه في: مروج الذهب ٣: ٩٦. مقاتل الطالبيين ٧١، الكامل في التاريخ ←

تضرب عنقه».

وصعدوا به إلىٰ أعلىٰ القصر، فأشرفوا به علىٰ الجموع المحيطة به، وضربوا عنقه، فسقط رأسه إلىٰ الرحبة وأُلقيت جثّته إلىٰ الناس[1]. ثمّ أرسل رأسه إلىٰ يزيد مع رؤوس سراة في المدينة كان مسلم يأوي إليهم أوّل مقدمه إليها، ومنهم هانئ بن عروة الذي تقدّمت الإشارة إليه[2].

طلائع الفشل

كان مقتل مسلم بن عقيل في التاسع من ذي الحجّة ليلة العيد، وكان خروج الحسين من مكّة قبل ذلك بيوم واحد[3]، فلم يسمع بمقتله إلّا وهو في آخر الطريق.

ولمّا شارف العراق أحبّ أن يستوثق مرّة أُخرىٰ قبل دخوله، فكتب

← ٣: ٢٧٤، البداية والنهاية ٨: ١٥٧، تاريخ الكوفة ٣٠١.

وقيل: اسمه أحمر بن بكير. (الأخبار الطوال ٢٤١).

وقيل: بكر بن حمران. (الإرشاد ٢: ٦٣).

وعدّ ابن أعثم هذا الشخص من عداد المقتولين بسيف ابن عقيل في الفتوح ٥: ٩٥ـ ٩٦.

(١) قارن: الأخبار الطوال ٢٤١، الفتوح لابن أعثم ٥: ١٠٠ ـ ١٠١، العقد الفريد ٥: ١٢٧ ـ ١٢٨، الإرشاد ٢: ٦١، البداية والنهاية ٨: ١٥٧، أيام العرب في الإسلام ٤١١.

(٢) الأخبار الطوال ٢٤٢، الإرشاد ٢: ٦٥، الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٥، تذكرة الخواص ٢٤٣.

(٣) الفتوح لابن أعثم ٥: ٨٧ ـ ٨٨، تذكرة الخواص ٢٤٥، الدرّ النظيم ٥٤٦.

إلىٰ أهل الكوفة كتاباً مع قيس بن مسهر الصيداوي يخبرهم بمقدمه ويحضّهم علىٰ الجدّ والتساند، فوافىٰ قيس القادسيّة، وقد رصد فيها شرط عبيد الله، فاعتقلوه وأشخصوه إليه.. فأمره عبيد الله أن يصعد القصر فيسبّ «الكذّاب ابن الكذّاب الحسين بن علي!» وينهى الناس أن يطيعوه. فصعد قيس، وقال: «أيّها الناس، إنّ هذا الحسين بن علي خير خلق الله، ابن فاطمة بنت رسول الله، وأنا رسوله إليكم، وقد فارقته بالحاجز فأجيبوه، والعنوا عبيد الله بن زياد وأباه».

فما كان منهم إلّا أن قذفوا به من حالق، فمات[1].

وحدث مثل هذا مع عبد الله بن يقطر، فأبىٰ أن يلعن الحسين، ولعن عبيد الله بن زياد، فألقوا به من شرفات القصر إلىٰ الأرض، فاندكّت عظامه ولم يمت، فذبحوه[2].

وجعل الحسين كلّما سأل قادماً من العراق أنبأه بمقتل رسول من رسله أو داعية من دعاته، فأشار عليه بعض صحبه بالرجوع، وقال له غيرهم: «ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع».

ووثب بنو عقيل فأقسموا لا يبرحون حتّىٰ يدركوا ثأرهم أو يذوقوا

---

(١) الفتوح لابن أعثم ٥: ١٤٥ ـ ١٤٧، الإرشاد ٢: ٧٠ ـ ٧١، البداية والنهاية ٨: ١٦٨، تاريخ الكوفة ٢٩٣.

(٢) الإرشاد ٢: ٧٥، الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٨، البداية والنهاية ٨: ١٦٨، تاريخ الكوفة ٢٩٢.

ما ذاق مسلم[١].

ولم ير الحسين ـ بعد ذلك ـ أن يصحب معه أحداً إلّا علىٰ بصيرة من أمره وما هو لاقيه إن تقدّم ولم ينصرف لشأنه. فخطب الرهط الذين صحبوه، وقال لهم: «قد خذلنا شيعتنا.. فمن أحبّ منكم أن ينصرف فلينصرف، ليس عليه منّا ذمام».. فتفرّقوا إلّا أهل بيته وقليلاً ممّن تبعوه في الطريق[٢].

الحسين والحرّ بن يزيد

والتقىٰ الركب عند جبل ذي حسم بطلائع جيش عبيد الله يقودها الحرّ بن يزيد التميمي اليربوعي في ألف فارس، أمروا بأن لا يدعوا الحسين حتّىٰ يقدموا به علىٰ عبيد الله في الكوفة.

فأمر الحسين مؤذّنه بالآذان لصلاة الظهر، وخطب أصحابه وأصحاب الحرّ بن يزيد، فقال:

ـ «أيّها الناس، إنّي لم آتكم حتّىٰ أتتني كتبكم ورسلكم أن أقدم علينا فليس لنا إمام، لعلّ الله يجمعنا بك علىٰ الهدىٰ والحقّ. فقد جئتكم، فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا أو كنتم لقدومي كارهين انصرفت عنكم إلىٰ المكان الذي أقبلت منه».

---

(١) الإرشاد ٢: ٧٥، الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٨.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٠١، مقاتل الطالبيين ٧٣، الإرشاد ٢: ٧٥ ـ ٧٦، الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٨، البداية والنهاية ٨: ١٦٩.

فلم يجبه أحد..

فقال للمؤذّن:

ـ «أقم الصلاة».

وسأل الحرّ:

ـ «أتريد أن تصلّي أنت بأصحابك وأُصلّي بأصحابي؟».

فقال الحرّ:

ـ «بل نصلّي جميعاً بصلاتك»[١].

* * *

ثمّ تياسر الحسين إلىٰ طريق العذيب[٢] فبلغها وفرسان عبيد الله يلازمونه ويصرّون علىٰ أخذه إلىٰ أميرهم وصدّه عن وجهته حيثما اتّجه غير وجهتهم، فأقبل عليهم يعظهم وهم يصغون إليه، فقال:

«أيّها الناس، إنّ رسول الله ﷺ قال: من رأىٰ سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله مخالفاً لسنّة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر ما عليه بفعل ولا قول كان حقّاً علىٰ الله أن يدخله مدخله. ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمان، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا

---

(١) إعلام الورىٰ ١: ٤٤٨، المنتظم ٥: ٣٣٥، سمط النجوم العوالي ٣: ١٧٣ ـ ١٧٤.

(٢) العذيب: ماء بين القادسيّة والمغيثة يبعد عن الأُولىٰ بأربعة أميال وعن الثانية باثنين وثلاثين ميلاً، وقيل: هو وادٍ لبني تميم وهو منازل حاجّ الكوفة، وقيل: هو حدّ السواد. (معجم البلدان ٣: ٣٠٤).

حلاله، وأنا أحقّ من غيري. وقد أتتني كتبكم ورسلكم ببيعتكم وأنّكم لا تسلّموني ولا تخذلوني، فإن بقيتم علىٰ بيعتكم تصيبوا رشدكم، وأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، نفسي مع أنفسكم وأهلي من أهلكم، فلكم فيّ أُسوة. وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي، فلعمري ما هي لكم بنكير، والمغرور من اغترّ بكم، فحظّكم أخطأتم ونصيبكم ضيّعتم، ومن نكث فإنّما ينكث علىٰ نفسه، وسيغني الله عنكم، والسلام».

فأنصت الحرّ بن يزيد وأصحابه، ثمّ توجّه إليه يحذّره العاقبة وينبّه: «لئن قاتلت لتقتلنّ!».

فصاح به الحسين:

ـ «أبالموت تخوّفني!.. ما أدري ما أقول لك؟.. ولكنّي أقول كما قال أخو الأوس لابن عمر وهو يريد نصرة رسول الله، فخوّفه ابن عمر وأنذره أنّه لمقتول، فأنشد:

سأمضي وما بالموت عار علىٰ الفتىٰ ... إذا ما نوىٰ خيراً وجاهد مسلما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه ... وخالف مثبوراً وفارق مجرما
فإن عشت لم أندم وإن مت لم أُلم ... كفىٰ بك ذلاً أن تعيش وترغما[1]»

* * *

ثمّ سار الركبان ينظر بعضها إلىٰ بعض كلّما مال الحسين نحو البادية

---

(١) لاحظ: تاريخ أبي مخنف ١: ٤٤٢ ـ ٤٤٣، الإرشاد ٢: ٨٠ ـ ٨١، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٠ ـ ٢٨١، البداية والنهاية ٨: ١٧٢ ـ ١٧٣، سمط النجوم العوالي ٣: ١٧٤.

أسرع الحرّ بن يزيد فردّه نحو الكوفة. حتّىٰ نزلا بنينوىٰ[1]. فإذا راكب مقبل عليه بالسلاح، يحيي الحرّ ولا يحيي الحسين، ثمّ أسلم الحرّ كتاباً من عبيد الله يقول فيه: «أمّا بعد: فجعجع بالحسين حتّىٰ يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله إلّا بالعراء في غير حصن وعلىٰ غير ماء.. وقد أمرت رسولي أن يلزمك فلا يفارقك حتّىٰ يأتيني بإنفاذك أمري، والسلام».

فلمّا بدا من الحرّ بن يزيد أنّه يريد أن ينفذ أمر عبيد الله بن زياد ويخشىٰ رقيبه الذي أُمر ألّا يفارقه حتّىٰ ينفذ أمره، قال أحد أصحاب الحسين ـ زهير بن القين ـ: «إنّه لا يكون ـ والله ـ بعدما ترون إلّا ما هو أشدّ منه. يا ابن رسول الله!.. إنّ قتال هؤلاء أهون علينا من قتال من يأتينا بعدهم. فلعمري ليأتينا من بعدهم ما لا قبل لنا به. فهلمّ نناجز هؤلاء». فأعرض الحسين عن مشورته، وقال: «إنّي أكره أن أبدأهم بقتال»[2].

عمر بن سعد

وكان الديلم قد ثاروا علىٰ يزيد بن معاوية واستولوا علىٰ دستبىٰ[3]

---

(١) نينوىٰ: ناحية بسواد الكوفة. (معجم البلدان ٤: ٤٢٩، موسوعة العتبات المقدّسة ٨: ٣٢).

(٢) راجع: الأخبار الطوال ٢٥١، الإرشاد ٢: ٨٣ ـ ٨٤، المنتظم ٥: ٣٣٦، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٢.

(٣) دستبىٰ: كورة كبيرة كانت مقسومة بين الري وهمذان، فقسم منها يسمّىٰ دستبىٰ ←

بأرض همذان، فجمع لهم عبيد الله بن زياد جيشاً عدّته أربعة آلاف فارس بقيادة عمر بن سعد بن أبي وقّاص الذي يذكر الديلم اسم أبيه سعد فاتح بلادهم، وقد وعد بولاية الري بعد قمع الثورة الديلميّة[١].

فلمّا قدم الحسين إلىٰ العراق قال عبيد الله لعمر:

ـ «نفرغ من الحسين، ثمّ تسير إلىٰ عملك».

فاستعفاه، وعلم عبيد الله موطن هواه، فقال له:

ـ «نعم، نعفيك علىٰ أن تردّ إلينا عهدنا».

فاستمهله حتّىٰ يراجع نصحاءه.. فنصح له ابن أُخته حمزة بن المغيرة ابن شعبة[٢] ـ وهو من أكبر أعوان معاوية ـ ألّا يقبل مقاتلة الحسين، وقال له:

ـ «والله لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض لو كان لك، خير من أن تلقىٰ الله بدم الحسين»[٣].

* * *

وبات ليلته يقلّب وجوه رأيه، حتّىٰ إذا أصبح ذهب إلىٰ ابن زياد،

← الرازي وهو يقارب التسعين قرية، وقسم منها يسمىٰ دستبىٰ همدان وهو عدّة قرىٰ. (معجم البلدان ٢: ٣٠٠ و٣١٦).

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات ٦١ هـ ـ ٨٠ هـ) ١١، البداية والنهاية ٨: ١٧٤، سمط النجوم العوالي ٣: ١٥٧.

(٢) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٥٠).

(٣) تاريخ أبي مخنف ١: ٤٤٧، تاريخ الطبري ٤: ٦١٠، سمط النجوم العوالي ٣: ١٧٥.

فاقترح عليه أن يبعث إلىٰ الحسين من أشراف الكوفة من ليس يغني في الحرب عنهم.. فأبىٰ ابن زياد إلّا أن يسير إلىٰ الحسين أو ينزل عن ولاية الري.. فسار علىٰ مضض وجنوده متثاقلون متحرّجون، إلّا زعانف المرتزقة الذين ليس لهم من خلاق[١].

وكان جنود الجيش يتسلّلون منه ويتخلّفون بالكوفة.. فندب عبيد الله رجلاً من أعوانه ـ هو سعد بن عبد الرحمان المنقري ـ ليطوف بها ويأتيه بمن تخلّف عن المسير لقتال الحسين، وضرب عنق رجل جيء به وقيل: إنّه من المتخلّفين، فأسرع بقيّتهم إلىٰ المسير[٢].

وقد أدرك الجيش الحسين وهو بكربلاء علىٰ نحو من خمسة وعشرين ميلاً إلىٰ الشمال الغربي من الكوفة. نزل بها في الثاني من المحرّم سنة إحدىٰ وستّين.

وخلا الجوّ في الكوفة لرجلين اثنين يسابق كلاهما صاحبه في اللؤم وسوء الطويّة، وينفردان بتصريف الأمر في قضيّة الحسين دون مراجعة من ذي سلطان. وهما: عبيد الله بن زياد، وشمر بن ذي الجوشن.

عبيد الله المغموز النسب الذي لا يشغله شيء، كما يشغله التشفّي لنسبه المغموز من رجل هو بلا مراء أعرق العرب نسباً في الجاهليّة والإسلام.. فليس أشهىٰ إليه من فرصة ينزّل فيها ذلك الرجل علىٰ حكمه، ويشعره فيها بذلّه ورغمه.

---

(١) راجع المصادر المتقدّمة.

(٢) لاحظ الأخبار الطوال ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

شمر بن ذي الجوشن

وشمر بن ذي الجوشن الأبرص الكريه الذي يغصّه من الحسين ما يغصّ كلّ لئيم مشنوء من كلّ كريم محبوب وسيم.

وكان كلاهما يفهم لؤم صاحبه ويعطيه فيه حقّه وعذره، فهما في هذه الخلّة متناصحان متفاهمان!

ولم يكن أيسر من حلّ قضيّة الحسين علىٰ وجه يرضي يزيد ويمهّد له الولاء في قلوب المسلمين ولو إلىٰ حين.. لولا ذلك الضغن الممتزج بالخليقة الذي هو كسكر المخمور لا موضع معه لرأي مصيب، ولا لتفكير في عاقبة بعيدة أو قريبة.

فالحسين في أيديهم ليس أيسر عليهم من اعتقاله وإبقائه بأعينهم في مكان ينال فيه الكرامة ولا يتحفّز لثورة.

لكنّهما لم يفكّرا في أيسر شيء ولا أنفع شيء للدولة التي يخدمانها، وإنّما فكّرا في النسب المغموز والصورة الممسوخة، فلم يكن لهما من همّ غير إرغام الحسين وإشهاد الدنيا كلّها علىٰ إرغامه.

تلقّىٰ ابن زياد من عمر بن سعد كتاباً يقول فيه: «إنّ الحسين أعطاني أن يرجع إلىٰ المكان الذي أقبل منه أو أن نسيّره إلىٰ أيّ ثغر من الثغور شئنا، أو أن يأتي يزيد فيضع يده في يده»[1].

---

(١) تاريخ أبي مخنف ١: ٤٤٨ و٤٥٠، الإرشاد ٢: ٨٧، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٤، البداية والنهاية ٨: ١٧٠ و١٧٥، سمط النجوم العوالي ٣: ١٧٥.

والذي نراه نحن من مراجعة الحوادث والأسانيد أنّ الحسين ربّما اقترح الذهاب إلىٰ يزيد ليرىٰ رأيه، ولكنّه لم يعدهم أن يبايعه أو يضع يده في يده؛ لأنّه لو قبل ذلك لبايع في مكانه واستطاع عمر بن سعد أن يذهب به إلىٰ وجهته، ولأنّ أصحاب الحسين في خروجه إلىٰ العراق قد نفوا ما جاء في ذلك الكتاب، ومنهم عقبة بن سمعان حيث كان يقول: «صحبت الحسين من المدينة إلىٰ مكّة ومن مكّة إلىٰ العراق، ولم أُفارقه حتّىٰ قتل، وسمعت جميع مخاطباته إلىٰ الناس إلىٰ يوم قتله.. فوالله ما أعطاهم ما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد ولا أن يسيّروه إلىٰ ثغر من الثغور، ولكنّه قال: دعوني أرجع إلىٰ المكان الذي أقبلت منه، أو دعوني أذهب في هذه الأرض العريضة حتّىٰ ننظر إلىٰ ما يصير إليه أمر الناس»[١].

ولعلّ عمر بن سعد قد تجوّز في نقل كلام الحسين عمداً؛ ليأذنوا له في حمله إلىٰ يزيد، فيلقي عن كاهله مقاتلته وما تجرّ إليه من سوء القالة ووخز الضمير، أو لعلّ الأعوان الأُمويين قد أشاعوا عن الحسين اعتزامه للمبايعة؛ ليلزموا بالبيعة أصحابه من بعده، ويسقطوا حجّتهم في مناهضة الدولة الأُمويّة.

وأيّاً كانت الحقيقة في هذه الدعوىٰ فهي تكبّر مأثمة عبيد الله وشمر ولا تنقص منها.

ولقد كانا علىٰ العهد بمثليهما، كلاهما كفيل أن يحول بين صاحبه وبين خالجة من الكرم تخامره أو تغالب اللؤم الذي فطر عليه، فلا يصدر منهما

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٦١٤، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٣ ـ ٢٨٤، تذكرة الخواص ٢٤٨.

إلّا ما يوائم لئيمين لا يتّفقان علىٰ خير.

وكأنّما جنح عبيد الله إلىٰ شيء من الهوادة حين جاءه كتاب عمر بن سعد، فابتدره شمر ينهاه ويجنح إلىٰ الشدّة والاعتساف، فقال له:

ـ «أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك وإلىٰ جنبك؟! والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك ليكونّن أولىٰ بالقوّة والعزّة ولتكوننّ أولىٰ بالضعف والعجز.. فلا تعطه هذه المنزلة، ولكن لينزل علىٰ حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت كنت ولي العقوبة، وإن عفوت كان ذلك لك».

ثمّ أراد أن يوقع بعمر ويتّهمه عند عبيد الله؛ ليخلفه في القيادة ثمّ يخلفه في الولاية، فذكر لعبيد الله أنّ الحسين وعمر يتحدّثان عامّة الليل بين المعسكرين.

فعدل عبيد الله إلىٰ رأي شمر وأنفذه بأمر منه أن يضرب عنق عمر إن هو تردّد في إكراه الحسين علىٰ المسير إلىٰ الكوفة أو مقاتلته حتّىٰ يقتل، وكتب إلىٰ عمر يقول له:

«أمّا بعد: فإنّي لم أبعثك إلىٰ الحسين لتكفّ عنه ولا لتمنّيه السلامة والبقاء ولا لتطاوله ولا لتعتذر عنه ولا لتقعد له عندي شافعاً.. انظر فإن نزل الحسين وأصحابه علىٰ الحكم واستسلموا فابعث بهم إليّ مسلّماً، وإن أبوا فازحف إليهم حتّىٰ تقتلهم وتمثّل بهم، فإنّهم لذلك مستحقّون. فإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره، فإنّه عاق مشاق قاطع ظلوم.. فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أنت أبيت فاعتزل

جندنا وخلّ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر، والسلام!»[١].

وختمت مأساة كربلاء كلّها بعد أيام معدودات. ولكنّها أيام بقيت لها جريرة لم يحمدها طالب منفعة ولا طالب مروءة، ومضت مئات السنين وهي لا تمحو آثار تلك الأيام في تاريخ الشرق والإسلام.

---

(١) راجع: تاريخ الطبري ٤: ٦١٥، العقد الفريد ٥: ١٢٨، الإرشاد ٢: ٨٨، إعلام الورىٰ ١: ٤٥٣، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٤، تذكرة الخواص ٢٤٨، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٦٥، البداية والنهاية ٨: ١٧٠ و١٧٥، سمط النجوم العوالي ٣: ١٧٦.

هل أصاب ؟

هل أصاب؟

خطأ الشهداء

خروج الحسين من مكّة إلىٰ العراق حركة لا يسهل الحكم عليها بمقياس الحوادث اليوميّة؛ لأنّها حركة من أندر حركات التأريخ في باب الدعوة الدينيّة أو الدعوة السياسيّة.. لا تتكرر كلّ يوم، ولا يقوم بها كلّ رجل، ولا يأتي الخطأ فيها ـ إن أصابت ـ من نحو واحد ينحصر القول فيه، ولا يأتي الخطأ فيها ـ إن أخطأت ـ من سبب واحد يمتنع الاختلاف عليه. وقد يكون العرف فيها بين أصوب الصواب وأخطأ الخطأ فرقاً صغيراً من فعل المصادفة والتوفيق، فهو خليق أن يذهب إلىٰ النقيضين.

هي حركة لا يأتي بها إلّا رجال خلقوا لأمثالها، فلا تخطر لغيرهم علىٰ بال؛ لأنّها تعلو علىٰ حكم الواقع القريب الذي يتوخّاه في مقاصده سالك الطريق اللاحب والدرب المطروق.

هي حركة فذّة يقدم عليها رجال أفذاذ، من اللغو أن ندينهم بما يعمله رجال من غير هذا المعدن وعلىٰ غير هذه الوتيرة؛ لأنّهم يحسّون ويفهمون ويطلبون غير الذي يحسّه ويفهمه ويطلبه أُولئك الرجال.

هي ليست ضربة مغامر من مغامري السياسة، ولا صفقة مساوم من مساومي التجارة، ولا وسيلة متوسّل ينزل علىٰ حكم الدنيا أو تنزل الدنيا علىٰ حكمه، ولكنّها وسيلة من يدين نفسه ويدين الدنيا برأي من الآراء هو مؤمن به ومؤمن بوجوب إيمان الناس به دون غيره.. فإن قبلته الدنيا قبلها، وإن لم تقبله فسيّان عنده فواته بالموت أو فواته بالحياة، بل لعلّ فواته بالموت أشهىٰ إليه.

هي حركة لا تقاس إذاً بمقياس المغامرات ولا الصفقات، ولكنّها تقاس بمقياسها الذي لا يتكرّر ولا يستعاد علىٰ الطلب من كلّ رجل أو في كلّ أوان.

ولا ننسىٰ أنّ السنين الستّين التي انقضت بعد حركة الحسين، قد انقضت في ظل دولة تقوم علىٰ تخطئته في كلّ شيء وتصويب مقاتليه في كلّ شيء.

* * *

إنّ القول بصواب الحسين معناه: القول ببطلان تلك الدولة، والتماس العذر له معناه: إلقاء الذنب عليها. وليس بخافٍ علىٰ أحد كيف ينسىٰ الحياء وتبتذل القرائح أحياناً في تنزيه السلطان القائم وتأثيم السلطان الذاهب.

فليس الحكم علىٰ صواب الحسين أو علىٰ خطئه إذن بالأمر الذي يرجع فيه إلىٰ أُولئك الصنائع المتزلّفين الذين يرهبون سيف الدولة القائمة ويغنمون من عطائها، ولا لصنائع مثلهم يرهبون بعد ذلك سيفاً غير ذلك السيف ويغنمون من عطاء غير ذلك العطاء.

إنّما الحكم في صواب الحسين وخطئه لأمرين لا يختلفان باختلاف الزمان وأصحاب السلطان، وهما: البواعث النفسيّة التي تدور علىٰ طبيعة الإنسان الباقية، والنتائج المقررة التي مثلت للعيان باتّفاق الأقوال.

وبكلٍّ من هذين المقياسين القويين نقيس حركة الحسين في خروجه علىٰ يزيد بن معاوية، فنقول: إنّه قد أصاب.

أصاب إذا نظرنا إلىٰ بواعثه النفسيّة التي تهيمن عليه، ولا يتخيّل العقل أن تهيمن عليه بواعث غيرها.

وأصاب إذا نظرنا إلىٰ نتائج الحركة كلّها نظرة واسعة، لا يستطيع أن يجادل فيها من يأخذ الأمور بسنّة الواقع والمصلحة، أو من يأخذ الأمور بسنّة النجدة والمروءة.

فما هي البواعث النفسيّة التي قامت بنفس الحسين يوم دعي في المدينة بعد موت معاوية لمبايعة ابنه يزيد؟

هي بواعث تدعوه كلّها أن يفعل ما فعل ولا تدعو مثله إلىٰ صنيع غير ذلك الصنيع.

وخير لبني الإنسان ألف مرّة أن يكون فيهم خلق كخلق الحسين الذي أغضب يزيد بن معاوية، من أن يكون جميع بني الإنسان علىٰ ذلك الخلق الذي يرضىٰ به يزيد.

فأوّل ما ينبغي أن نذكره لفهم البواعث النفسيّة التي خامرت نفس الحسين في تلك المحنة الأليمة: أنّ بيعة يزيد لم تكن بالبيعة المستقرّة ولا بالبيعة التي يضمن لها الدوام في تقدير صحيح.

فهي بيعة نشأت في مهد الدسّ والتمليق، ولم يجسر معاوية عليها حتىٰ شجّعه عليها من له مصلحة ملحّة في ذلك التشجيع.

* * *

كان المغيرة بن شعبة والياً لمعاوية علىٰ الكوفة، ثمّ همّ بعزله وإسناد ولايته إلىٰ سعيد بن العاص جرياً علىٰ عادته في إضعاف الولاة قبل تمكّنهم، وضرب فريق منهم بفريق حتىٰ يعينه بعضهم علىٰ بعض ولا يتّفقوا عليه.

فلمّا أحسّ المغيرة نيّة معاوية، قدم الشام ودخل علىٰ يزيد وقال له كالمستفهم المتعجّب:

ـ «لا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة؟».

ولم يكن يزيد نفسه يصدّق أنّه أهل لها أو أنّ بيعته ممّا يتمّ بين المسلمين علىٰ هيّنة.

فقال للمغيرة:

ـ «أوَ ترىٰ ذلك يتمّ؟».

فأراه المغيرة أنّه ليس بالعسير إذا أراده أبوه..

وأخبر يزيد أباه بما قال المغيرة، فعلم هذا أنّ فرصته سانحة وأنّه سيبادل معاوية رشوة آجلة برشوة عاجلة.. يرشوه بإعانته علىٰ بيعة يزيد، ويأخذ منه الرشوة ببقائه علىٰ ولاية الكوفة إلىٰ أن يقضي في أمر هذه البيعة، وله في التمهيد لها نصيب.

فلمّا لقىٰ معاوية سأله هذا عمّا أخبره به يزيد، فأعاده عليه وهو يزخرفه له بما يرضيه. قال:

ـ «قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان، وفي يزيد منك خلف فاعقد له، فإن حدث بك حادث كان كهفاً للناس وخلفاً منك، ولا تسفك دماء ولا تكون فتنة».

فسأله معاوية وهو يتهيّب ويتأنّىٰ:

ـ «ومن لي بذلك ؟»..

قال:

ـ «أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زياد أهل البصرة، وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك».

فردّه معاوية إلىٰ عمله كما كان يتمنّىٰ، وأوصاه ومن معه ألّا يتعجّلوا بإظهار هذه النيّة.

ثمّ استشار زياد بن أبي سفيان، فأطلع هذا بعض خاصّته علىٰ الأمر، وهو يقول:

ـ «إنّ أمير المؤمنين يتخوّف نفرة الناس ويرجو طاعتهم.. ويزيد صاحب رسلة وتهاون مع ما قد أُولع به من الصيد.. فالق أمير المؤمنين وأدِّ إليه فعلات يزيد، وقل له: رويدك بالأمر، فأحرىٰ أن يتمّ لك، ولا تعجل فإنّ دركاً في تأخير خير من فوت في عجلة».

فأشار عليه صاحبه «ألّا يفسد علىٰ معاوية رأيه ولا يبغّضه في ابنه»، وعرض عليه أن يلقىٰ يزيد فيخبره أنّ أمير المؤمنين كتب إليك يستشيرك في البيعة له وأنّك تتخوّف خلاف الناس لهنات ينقمونها عليه،

وأنّك ترىٰ له ترك ما ينقم عليه لتستحكم له الحجّة علىٰ الناس[1].

* * *

وقالوا: إنّ يزيد كفّ عن كثير ممّا كان يصنع بعد هذه النصيحة[2]، وإنّ معاوية أخذ برأي زياد في التؤدة، فلم يجهر بعقد البيعة حتّىٰ مات زياد.

وقد أحسّ معاوية الامتعاض من بيته قبل أن يحسّه من الغرباء عنه.

فكانت امرأته فاختة بنت قرظة بن حبيب بن عبد شمس تكره بيعة يزيد، وتودّ لو آثر بالبيعة ابنها عبد الله، فقالت له:

ـ «ما أشار به عليك المغيرة؟.. أراد أن يجعل لك عدوّاً من نفسك يتمنّىٰ هلاكك كلّ يوم».

واشتدّت نقمة مروان بن الحكم ـ وهو أقرب الأقرباء إلىٰ معاوية ـ حين بلغته دعوة العهد ليزيد، فأبىٰ أن يأخذ العهد له من أهل المدينة، وكتب إلىٰ معاوية: «إنّ قومك قد أبوا إجابتك إلىٰ بيعتك».

فعزله معاوية من ولاية المدينة، وولّاها سعيد بن العاص.

فأوشك مروان أن يثور ويعلن الخروج، وذهب إلىٰ أخواله من بني كنانة، فنصروه، وقالوا له:

ـ «نحن نبلك في يدك وسيفك في قرابك. فمن رميته بنا أصبناه ومن

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥١٨ ـ ٥١٩، المنتظم ٥: ٢٨٥ ـ ٢٨٦، الكامل في التاريخ ٣: ٢٤٩ ـ ٢٥٠، تاريخ الخلفاء للسيوطي ٢٠٥، سمط النجوم العوالي ٣: ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٢) كابن كثير ـ علىٰ عادته ـ في البداية والنهاية ٨: ٧٩.

ضربته قطعناه.. الرأي رأيك، ونحن طوع يمينك».

ثمّ أقبل مروان في وفد منهم كثير إلىٰ دمشق، فذهب إلىٰ قصر معاوية وقد أذن للناس، فمنعه الحاجب؛ لكثرة من رأىٰ معه، فضربوه، واقتحموا الباب. ودخل مروان وهم معه حتّىٰ سلّم علىٰ معاوية وأغلظ له القول. فخاف معاوية هذا الجمع من وجوه قومه وترضّىٰ مروان ما استطاع، وجعل له ألف دينار كلّ شهر ومائة لمن كان معه من أهل بيته[1].

* * *

ولم يكن مروان وحده بالغاضب بين بني أُميّة من بيعة يزيد، بل كان سعيد بن عثمان بن عفّان يرىٰ أنّه أحقّ منه بالخلافة؛ لأنّه ابن عثمان الذي تذرّع معاوية إلىٰ الخلافة باسمه. فقال لمعاوية:

ـ «يا أمير المؤمنين! علامَ تبايع ليزيد وتتركني!.. فوالله لتعلم أنّ أبي خير من أبيه، وأُمّي خير من أُمّه، وأنّك إنّما نلت ما نلت بأبي».

فسرّىٰ معاوية عنه، وقال له ضاحكاً هاشّاً:

ـ «يا ابن أخي!.. أمّا قولك: إنّ أباك خير من أبيه، فيوم من عثمان خير من معاوية، وأمّا قولك: إنّ أُمّك خير من أُمّه، ففضل قرشيّة علىٰ كلبيّة فضل بيّن، وأمّا أن أكون نلت ما أنا فيه بأبيك فإنّما المُلك يؤتيه الله من يشاء.. قتل أبوك ﷺ فتواكلته بنو العاص وقامت فيه بنو حرب، فنحن أعظم بذلك منّة عليك، وأمّا أن تكون خيراً من يزيد فوالله ما أحبّ أنّ داري مملوءة رجالاً مثلك بيزيد. ولكن دعني من هذا القول، وسلني

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٩٧ ـ ١٩٩، مروج الذهب ٣: ٣٨.

أعطك»، وولّاه خراسان[1].

فكان أكبر بني أُميّة أعظمهم أملاً في الخلافة بعد معاوية، وكان بغضهم لبيعة يزيد علىٰ قدر أملهم فيها، وهؤلاء ـ وإن جمعتهم مصلحة الأُسرة فترة من الزمن ـ لم تكن منافستهم هذه ليزيد بالعلامة التي تؤذن بالبقاء وتبشّره بالضمان والقرار.

وعلىٰ هذا النحو ولدت بيعة يزيد بين التوجّس والمساومة والإكراه، وبهذه الجفوة قوبلت بين أخلص الأعوان وأقرب القرباء.

وظهر من اللحظات الأُولىٰ أنّ المغيرة بن شعبة كان سمساراً يصافق علىٰ ما لا يملك.. فقد ضمن الكوفة والبصرة ومنع الخلاف في غيرهما.

فإذا الكوفة أوّل من كره بيعة يزيد، وإذا البصرة تتلكّأ في الجواب وواليها يرجئ الأمر ويوصي بالتمهّل فيه فلا يقدم عليه معاوية في حياته، وإذا أطراف الدولة من ناحية همذان تثور، وإذا بالحجاز يستعصي علىٰ بني أُميّة سنوات، وإذا باليمن ليس فيها نصير للأُمويين، ولو وجدت خارجاً يعلن الثورة عليهم لكانت ثورتها كثورة الحجاز.

بل يجوز أن يقال ـ ممّا ظهر في حركة الحسين كلّ الظهور ـ: إنّ الشام نفسها لم تنطو علىٰ رجل يؤمن بحقّ يزيد وبطلان دعوىٰ الحسين.

فقد كانوا يتحرّجون من حرب الحسين ويتسلّل من استطاع منهم التسلّل قبل لقائه، إلّا أن يهدّد بقطع الأرزاق وقطع الرقاب.

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٢١٣ ـ ٢١٤، الفتوح لابن أعثم ٤: ١٨٤ ـ ١٨٥، الأغاني ١٨: ١٨٧ ـ ١٨٨، الكامل في التاريخ ٣: ٢٥٣، البداية والنهاية ٨: ٧٩ و ٨٠.

والحوادث التي تلت حركة الحسين إلىٰ ختام عهد يزيد أدلّ ممّا تقدّم علىٰ اضطراب عهده وقلّة ضمانه؛ لأنّ الأحداث والنذر لم تزل تتوالىٰ بقيّة حياته وبعد موته بسنين.

ونحن اليوم نعلم من التأريخ كيف انتهت هذه الحوادث والنذر في عهد يزيد أو بعد عهده، فيخيّل إلينا أنّ عواقبها لم تكن تحتمل الشكّ ولم يكن بها من خفاء. ولكن الذين استقبلوها كانوا خلقاء ألّا يروا فيها طوالع مـلك تعنو له الرؤوس[1] ويرجىٰ له طول البقاء.

بواعث الخروج

نعم، كانت هناك ندحة[2] عن الخروج لو كان يزيد في الخلافة رضىٰ المسلمين من العقل والخلق وسلامة التدبير وعزّة الموئل[3] والدولة، وكان المسلمون قد توافقوا علىٰ اختياره لحبّهم إيـاه وتـعظيمهم لعـقله وخـلقه واطمئنانهم إلىٰ سياسته واعتمادهم علىٰ صلاحه وإصلاحه.

ولكنّه علىٰ نقيض ذلك، كان ـ كما علمنا ـ رجلاً هـازلاً في أحـوج الدول إلىٰ الجدّ، لا يرجىٰ له صلاح ولا يرجىٰ منه إصلاح. وكان اختياره لولاية العهد مساومة مكشوفة قبض كلّ مساهم فيها ثمن رضاه ومـعونته جهرة وعلانية من المال أو الولاية أو المصانعة، ولو قبضوا مثل هذا الثمـن

---

(١) تعنو له الرؤوس، أي: تخضع وتذلّل له. (العين للفراهيدي ٢: ٢٥٢).

(٢) ندحة: سعة. (صحاح اللغة ١: ٤٠٩).

(٣) الموئل: الملجأ. (المصدر السابق ٥: ١٨٣٨).

ليبايعوا وليّاً للعهد شرّاً من يزيد لما همّهم أن يبايعوه وإن تعطّلت حدود الدين وتقوّضت معالم الأخلاق.

وأعجب شيء أن يطلب إلىٰ حسين بن علي أن يبايع مثل هذا الرجل ويزكّيه أمام المسلمين ويشهد له عندهم أنّه نعم الخليفة المأمول صاحب الحقّ في الخلافة وصاحب القدرة عليها. ولا مناص للحسين من خصلتين: هذه، أو الخروج!.. لأنّهم لن يتركوه بمعزل عن الأمر، لا له ولا عليه.

* * *

إنّ بعض المؤرّخين من المستشرقين وضعاف الفهم من الشرقيين ينسون هذه الحقيقة ولا يولونها نصيبها من الرجحان في كفّ الميزان[1].

وكان خليقاً بهؤلاء أن يذكروا أنّ مسألة العقيدة الدينيّة في نفس الحسين لم تكن مسألة مزاج أو مساومة، وأنّه كان رجلاً يؤمن أقوىٰ الإيمان بأحكام الإسلام ويعتقد أشدّ الاعتقاد أنّ تعطيل حدود الدين هو أكبر بلاء يحيق به وبأهله وبالأُمّة العربيّة قاطبة في حاضرها ومصيرها، لأنّه مسلم، ولأنّه سبط محمّد.. فمن كان إسلامه هداية نفس فالإسلام عند الحسين هداية نفس وشرف بيت.

وقد لبث بنو أُميّة بعد مصرعه ستّين سنة يسبّونه ويسبّون أباه علىٰ

---

(١) كصاحب المحاضرات في تاريخ الأُمم الإسلاميّة (الدولة الأُمويّة) ٢: ١٣٠، وكالأب لامانس الفرنسي كما حكي عنه في المجالس الحسينيّة ١٣٣.

وللاطّلاع بصورة مفصّلة وواضحة علىٰ موقف المستشرقين في المسألة راجع كتاب: سيرة الأئمّة الاثني عشر ٢: ٨٨ ـ ٩٠.

المنابر، ولم يجسر أحد منهم قط علىٰ المساس بورعه وتقواه ورعايته لأحكام الدين في أصغر صغيرة يباشرها المرء سرّاً أو علانية، وحاولوا أن يعيبوه بشيء غير خروجه علىٰ دولتهم. فقصرت ألسنتهم وألسنة الصنائع والأجراء دون ذلك.

فكيف يواجه مثل هذا الرجل خطراً علىٰ الدين في رأس الدولة وعرش الخلافة مواجهة الهوادة والمشايعة والتأمين؟! وكيف يسام أن يرشح للإمامة من لاشفاعة له ولا كفاية فيه إلّا أنّه ابن أبيه؟!

لقد كان أبوه معاوية علىٰ كفاءة ووقار وحنكة ودراية بشؤون الملك والرئاسة، وكان له ـ مع هذا ـ نصحاء ومشيرون أُولو براعة وأحلام تكبح من السلطان ما جمح وتقيم ما انحرف وتملي له فيما عجز عنه.

وهذا ابنه القائم في مقامه لا كفاءة ولا وقار ولا نصحاء ولا مشيرون، إلّا من كان عوناً علىٰ شرٍّ أو موافقاً علىٰ ضلالة! فما عسىٰ أن تكون الشهادة له بالصلاح للإمامة إلّا تغريراً بالناس وقناعة بالسلامة أو الأجر المبذول علىٰ هذا التغرير.

ثمّ هي خطوة لا رجعة بعدها إذا أقدم عليها الحسين بما أُثر عنه من الوفاء وصدق السريرة. فإذا بايع يزيد فقد وفىٰ له بقيّة حياته كما وفىٰ لمعاوية بما عاهده عليه، ولا سيّما حين يبايع يزيد علىٰ علم بكلّ نقيصة فيه قد يتعلّل بها المتعلّل لنقض البيعة وانتحال أسباب الخروج.

فلك يزيد لم يقم علىٰ شيء واحد يرضاه الحسين لدينه أو لشرفه أو للأُمة الإسلاميّة. ومن طلب منه أن ينصر هذا المُلك فإنّما يطلب منه أن

ينصر ملكاً ينكر كلّ دعواه ولا يحمد له حالة من الأحوال.

ولا تنس ـ بعد هذا كلّه ـ أنّ هذا الملك كان يقرّر دعائمه في أذهان الناس بالغضّ من الحسين في سمعة أبيه وكرامة شيعته ومريديه.

فكانوا يسبّون عليّاً علىٰ المنابر وينعتونه بالكذب والمروق والعصيان، وكانوا يتحرّون أنصاره حيث كانوا، فيقهرونهم علىٰ سبّه والنيل منه بمشهد من الناس، وإلّا أصابهم العنت والعذاب وشهّروا في الأسواق بالصلب والهوان.

فمجاراة هذه الأمور كلّها في مفتتح ملك جديد معناه: أنّها سنّة قد وجبت واستقرّت الجيل بعد الجيل بغير أمل في التغيير والتبديل. فمن أقرّ هذه السنّة في مفتتح هذا الملك الجديد فقد ضعف أمله وضعف أمل أنصاره فيه يوماً بعد يوم، وازداد مع الزمن ضعفاً كما ازدادت حجّة خصومه قوّة عليه.

هذه هي البواعث النفسيّة التي كانت تجيش في صدر الحسين يوم دعاه أولياء بني أُميّة إلىٰ مبايعة يزيد والنزول عن كلّ حقّ له ولأبنائه ولأُسرته في إمامة المسلمين كائناً من كان القائم بالأمر وبالغاً ما بلغ من قلّة الصلاح وبطلان الحجّة.

وهي بواعث لا تثنيه عن الخروج، ولا تزال تلحّ عليه في اتّخاذ طريق واحد من طريقين لا معدل عنهما، وهما: الخروج إن كان لابدّ خارجاً في وقت من الأوقات، أو التسليم بما ليست ترضاه له مروءة ولا يرضاه له إيمان.

مصرع وانتصار

أمّا نتائج الحركة كلّها ـ إذا نظرنا إليها نظرة واسعة ـ فهي أنجح للقضيّة التي كان ينصرها من مبايعة يزيد.

فقد صرع الحسين عام خروجه، ولحق به يزيد بعد ذلك بأقلّ من أربع سنوات[1].

ولم تنقض ستّ سنوات علىٰ مصرع الحسين حتّىٰ حاق الجزاء بكلّ رجل أصابه في كربلاء، فلم يكد يسلم منهم أحد من القتل والتنكيل مع سوء السمعة ووسواس الضمير[2].

ولم تعمر دولة بني أُميّة بعدها عمر رجل واحد مديد الأجل، فلم يتم لها بعد مصرع الحسين نيّف وستّون سنة ![3].. وكان مصرع الحسين هو الداء القاتل الذي سكن في جثمانها حتّىٰ قضىٰ عليها، وأصبحت ثارات الحسين نداء كلّ دولة تفتح لها طريقاً إلىٰ الأسماع والقلوب.

---

(١) وذلك في سنة ٦٤ هـ.

راجع: تاريخ خليفة ١٥٧، مروج الذهب ٣: ٦٣، الكامل في التاريخ ٣: ٣١٦.

(٢) قارن ذلك في: تاريخ أبي مخنف ٢: ١٤٠ ـ ١٥١، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٧٠ ـ ٢٧١، تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات ٦١ هـ ـ ٨٠ هـ) ٥٥ ـ ٥٧، سمط النجوم العوالي ٣: ٢٣٤ ـ ٢٣٦ و ٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٣) حيث كانت نهايتها سنة ١٣٢ هـ بقتل مروان بن محمّد بن مروان بن الحكم الأُموي الملقّب بالحمار.

لاحظ أحداث هذه السنة في: تاريخ خليفة ٢٦٠ ـ ٢٦٨، مرآة الجنان ١: ٢١٦ ـ ٢١٩.

ولإصابة هذه الحركة في نتائجها الواسعة دخل في روع بعض المؤرّخين أنّها تدبير من الحسين عليه السلام، توخّاه منذ اللحظة الأُولىٰ وعلم موعد النصر فيه.. فلم يخامره الشكّ في مقتله ذلك العام، ولا في عاقبة هذه الفعلة التي ستحيق لا محالة بقاتليه بعد أعوام.

فقال ماربين الألماني في كتابه (السياسة الإسلاميّة): «إنّ حركة الحسين في خروجه علىٰ يزيد إنّما كانت عزمة قلب كبير عزّ عليه الإذعان وعزّ عليه النصر العاجل، فخرج بأهله وذويه ذلك الخروج الذي يبلغ به النصر الآجل بعد موته، ويحيي به قضيّة مخذولة ليس لها بغير ذلك حياة».

فإن لم يكن رأي الكاتب حقّاً كلّه، فبعضه علىٰ الأقلّ حقٌّ لا شكّ فيه، ويصدق ذلك ـ في رأينا ـ علىٰ حركة الحسين بعد أن حيل بينه وبين الذهاب لوجهه الذي يرتضيه، فآثر الموت كيفما كان، ولم يجهل ما يحيق ببني أُميّة من جرّاء قتله.. فهو بالغ منهم بانتصارهم عليه ما لم يكن ليبلغه بالنجاة من وقعة كربلاء.

* * *

وقد جرىٰ ذكر الموت علىٰ لسان الحسين من خطوته الأُولىٰ وهو يتهيّأ للرحيل ويودّع أصحابه في الحجاز. فقال لهم: «إنّ الموت حقٌّ علىٰ ولد آدم»[1].

ولم يخف عليه أنّه يركب الخطّة التي لا يبالي راكبها ما يصيبه من ذلك القضاء.

---

(١) كشف الغمّة ٢: ٢٤١، مع اختلاف.

لكنّه لم يكن ييأس من إقناع الناس والتفافهم به منذ خطوته الأُولىٰ، ولم يعقد عزمه علىٰ ملاقاة الموت حتّىٰ ساموه الرغم وأبوا عليه أن ينصرف إلىٰ أيّ منصرف قبل التسليم المبين مسوقاً علىٰ الكره منه إلىٰ عبيد الله بن زياد.

وتتباين آراء المتأخّرين خاصّة في خروج الحسين بنسائه وأبنائه، أكان هو الأحزم والأكرم؟ أم كان الأحزم والأكرم أن يخرج بمفرده حتّىٰ يرىٰ ما يكون من استجابة الناس له أو إعراضهم عنه وضعفهم في تأييده[1]؟

وليس للمتأخّرين أن يقضوا في مسألة كهذه بعقولهم وعاداتهم؛ لأنّها مسألة يُقضى فيها بحكم العقل العربي وعاداته في أشباه هذه المواقف.

وقد كان اصطحاب النساء والأبناء عادة عربيّة في البعوث التي يتصدّىٰ لها المرء متعمّداً القتال دون غيره فضلاً عن البعوث التي قد تشتبك في القتال وقد تنتهي بسلام كبعثة الحسين.

فكان المقاتلون في وقعة ذي قار يصطحبون حلائلهم وذراريهم ويقطعون وضن الرواحل ـ أي: أحزمتها[2] ـ قبل خوض المعركة[3]، وكان المسلمون والمشركون معاً يصطحبون الحلائل والذراري في غزوات

(١) انظر كتاب الحسن والحسين لمحمّد رضا ٨٩.

(٢) لاحظ لسان العرب ١٥: ٣٣٠.

(٣) مروج الذهب ٢: ٣٢٦، البداية والنهاية ٧: ٤٦، القادسيّة ١٤٣.

النبي ﷺ[1]، وكان مع المسلمين في حرب الروم صفوة نساء قريش وعقائل بيوتاتها[2]، وكان النبي ﷺ يصطحب زوجة أو أكثر من زوجة في غزواته وحروبه[3]، وحكم الواحدة هنا حكم الكثيرات.

وهي عادة عربيّة عريقة يقصدون بها الإشهاد علىٰ غاية العزم وصدق النيّة فيما هم مقبلون عليه.

وفي معلّقة ابن كلثوم[4] إشارة مجملة إلىٰ معنىٰ هذه العادة العربيّة من قديم عصورها، حيث يقول:

علىٰ آثارنا بيض حسان ... نحاذر أن تقسّم أو تهونا
يقتن جيادنا ويقلن: لستم ... بعولتنا إذا لم تمنعونا[5]

وقد كان الحسين ﷺ يندب الناس لجهاد يخوضونه إن قضىٰ عليهم أن يخوضوه، فلا يبالون ما يصيبهم في أنفسهم وفي أبنائهم وأموالهم؛ لأنّهم

---

(١) أيام العرب في الإسلام ٤١ ـ ٤٢.

(٢) الكامل في التاريخ ٢: ٢٨٤ و٣٥٢.

(٣) البداية والنهاية ٤: ١٦٠.

(٤) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٥١).

(٥) ديوان عمرو بن كلثوم ٨٦ ـ ٨٧.

وبين البيتين المذكورين توجد أربعة أبيات هي:

أخذن علىٰ بعولتهنّ عهداً ... إذا لاقوا كتائب معلمينا
لتستلبنّ أفراساً وبيضاً ... وأسرىٰ في الحديد مقرّنينا
ترانا بارزين وكلّ حيٍّ ... قد اتّخذوا مخافتنا قرينا
إذا ما رحن يمشين الهوينى ... كما اضطربت متون الشاربينا

يطلبون به ما هو أعزّ علىٰ المؤمن من النفس والولد والمال، فليس من المروءة أن يندبهم لأمر ولا يكون قدوة لهم فيه.

وكان علىٰ الحسين وقد أزمع[1] الخروج أن يجمع له أقوىٰ حجّة في يديه، ويجمع علىٰ خصومه أقوىٰ حجّة تنقلب عليهم إذا غلبوه وأخفق في مسعاته.. فيكون أقوىٰ ما يكون وهو منتصر، ويكونون أبغض ما يكونون وهو مخذول.

والمسلم الذي ينصر الحسين لنسبه الشريف أولىٰ أن ينصره غاية نصره وهو بين أهله وعشيرته، وإلّا لما هو بناصره علىٰ الإطلاق، وتنقلب الآية في حالة الخذلان، فينال المنتصر من البغضاء والنقمة علىٰ قدر انتصاره الذي يوشك أن ينقلب عليه.

صواب الشهداء

وجملة ما يقال: إنّ خروج الحسين من الحجاز إلىٰ العراق كان حركة قويّة لها بواعثها النفسيّة التي تنهض بمثله ولا يسهل عليه أن يكبتها أو يحيد بها عن مجراها.

وإنّها قد وصلت إلىٰ نتائجها الفعّالة من حيث هي قضيّة عامّة تتجاوز الأفراد إلىٰ الأعقاب والأجيال. سواء أكانت هذه القضيّة نصرة لآل الحسين أم حرباً لبني أُميّة.

إنّما يبدو الخطأ في هذه الحركة حين ننظر إليها من زاوية واحدة ضيّقة

---

(١) أزمع الأمر: مضىٰ فيه وثبّت عليه عزمه. (لسان العرب ٦: ٨١).

المجال قريبة المرمىٰ، وهي زاوية العمل الفردي الذي يراض بأساليب المعيشة اليوميّة ويدور علىٰ النفع العاجل للقائمين به والداعين إليه.

فحركة الحسين لم تكن مسدّدة الأسباب لمنفعة الحسين بكلّ ثمن وحيثما كانت الوسيلة.

وعلّة ذلك ظاهرة قريبة.. وهي: أنّ الحسين عليه السلام طلب الخلافة بشروطها التي يرضاها، ولم يطلبها غنيمة يحرص عليها مهما تكلّفه من ثمن ومهما تتطلّب من وسيلة..

وهنا غلطة الشهداء..

بل قل: هنا صواب الشهداء..

ومن هو الشهيد إن لم يكن هو الرجل الذي يصاب، ويعلم أنّه يصاب؛ لأن الواقع يخذله ولا يجري معه إلىٰ مرماه؟

ومن هو الشهيد إن لم يكن هو الرجل الذي «يكلّف الأيام ضدّ طباعها» ويصدّق الخير في طبيعة الإنسان، والخير عزيز والدنيا به شحيحة؟

منذ القدم أخطأ الشهداء هذا الخطأ، ولو أصابوا فيه لما كانوا شهداء ولا شرفت الدنيا بفضيلة الشهادة.

فالحسين عليه السلام قد طلب خلافة الراشدين حيث لا تتسقّ خلافة الراشدين، أو حيث تتسقّ الدولة الدنيويّة التي يضنّ بها أصحابها ويتكالبون عليها ويتوسّلون إليها بوسائلها.

فكانت عنايته بالدعوة والإقناع أعظم جدّاً من عنايته بالتنظيم

والإلزام.

نزل رسوله الأوّل مسلم بن عقيل بالكوفة صفر اليدين من المال حتّىٰ احتاج فيها أن يقترض سبع مائة درهم هي التي أوصىٰ بردّها إلىٰ أصحابها قبل قتله.

وتلك عقبة من العقبات التي تعوق الدعوات الكبار، ولكنّها ـ علىٰ هذا ـ لم تكن بالعقبة العصيّة التذليل.

فلو أنّه قد طلب المال من وسائله الدنيويّة أو السياسيّة، لما استعصىٰ عليه أن يأخذ منه ما يكفيه. فلعلّه كان ميسوراً له بعد أن تجمّع حوله الأنصار وبايع الحسين علىٰ يديه ثلاثون ألفاً كما جاء في بعض الروايات[1].

في تلك اللحظة لعلّه كان يستطيع أن يحيط بقصر الوالي الأُموي ويستولي عليه وينشيءَ الحكومة الحسينيّة فيه. ثمّ لعلّه كان يستطيع ـ بعد ذلك ـ أن يوجّه الدعاة إلىٰ أطراف الدولة الشرقيّة ليتلقّىٰ البيعة ويقيم الولاة ويحشد الأجناد.

فإذا كان هذا فاته حتّىٰ خفّ الأُمويون لدرء الخطر عنهم وبعثوا إلىٰ الكوفة بعبيد الله بن زياد، فقد سيق عبيد الله في يوم من الأيام إلىٰ يديه وكان في وسعه أن يبطش به ويستوي علىٰ كرسيه ويحرم يزيد بن معاوية نصيراً من أعنف أنصاره.

وقد فاته هذا؛ لأنّ شريعة الخلافة لا تبيحه في رأيه، أو لأنّه اعتقد أنّ الحقّ بيّن وأنّ الباطل بيّن، فلا حاجة به ـ بعد التمييز بينهما ـ إلىٰ فتكة

---

(١) راجع الهامش الثالث من ص١٧٣ والهامش الثالث والرابع من ص١٧٦.

الغدر كما سمّاها[1]، ولا محلّ عنده لإهدار الدماء وهو ينعىٰ علىٰ الدولة القائمة أنّها تهدر الدماء بالشبهات.

ولقد رأىٰ مسلم أنّ حقّ صاحبه في الخلافة قائم علىٰ شيء واحد وهو إقبال الناس إليه طائعين ومبايعتهم إيّاه مختارين. فأمّا وقد تفرّقوا عنه رهبة من السلطان أو ضعفاً في اليقين، فالرأي عنده أن يكتب إلىٰ صاحبه يعلمه بانفضاض الناس عنه ويثنيه عن القدوم، ولا حقّ له عليهم بعد ذلك حقّ يثوبوا إليه.

وقيام الخلافة علىٰ هذا الاختيار عقيدة لا نفهمها نحن الآن، ولكن قد يفهمها يومئذٍ من كان علىٰ مقربة من عهد النبوّة وعهد الصدّيق والفاروق.

فقد كان الصراع بين الحسين ويزيد أوّل تجربة من قبيلها بعد عهد النبوّة وعهد الخلفاء الأوّلين.

لم يكن الصراع بين علي ومعاوية علىٰ هذا الوضوح الذي لا شبهة فيه بين الحقّ والباطل وبين الفضيلة والنقيضة.

لكنّه في بيعة الحسين كان قد وضح وضوح الصبح لذي عينين.

وكان ذلك ـ كما قلنا ـ أوّل تجربة من قبيلها بعد عهد الفداء في سبيل العقيدة والإيمان..

بعد العهد الذي كان الرجل فيه يخرج من ماله وينفصل من ذويه ويتجرّد لحرب أبيه وأخيه وبنيه إن خالفوه في أمر الإسلام..

بعد العهد الذي كان القليل فيه من المسلمين يصدّون الكثير من

---

(١) راجع الهامش السادس من ص٨٦، والهامش الثاني من ص١٧٨.

المشركين وفي أيديهم السلاح والعتاد ومن ورائهم المعاقل والأزواد..

بعد العهد الذي تغيّر فيه الناس، وخيّل إلىٰ من كان يعهدهم علىٰ غير تلك الحال أنّهم متغيّرون.

الناس عبيد الدنيا

فكيف ينخذل الحسين وينتصر يزيد في عالم شهد النبوّة وشهد الخلافة علىٰ سنّة الراشدين؟

إنّ كلمة واحدة قالها الحسين في ساعة يأسه تشفّ عن مبلغ يقينه بوجوب الحقّ وعجبه من أن يكون الأمر غير ما وجب، وذلك حيث قال: «الناس عبيد الدنيا، والدين لعق علىٰ ألسنتهم، يحوطونه ما درّت به معائشهم، فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديّانون»[1].

إنّ الطبائع الأرضيّة لا تنخدع في صلاح الناس ولا تعجب هذا العجب؛ لأنّها لا تخرج من نطاقها المحدود ولا تصدّق ما وراءه من الآمال والوعود.

إنّها لا تضلّ عن طريق المنفعة؛ لأنّها لا تعرف غيرها من طريق.

إنّها تؤثر القنديل الخافت في يدها علىٰ الكوكب اللامع في السماء، لا لأنّها لا ترىٰ الكوكب اللامع في السماء، بل لأنّها ترىٰ القنديل والكوكب، فتعلم أنّ هذا قريب وأنّ ذاك جدّ بعيد.

إنّها لا تنخدع بالسراب؛ لأنّها لا تخرج من عقر دارها ولا تشعر

---

(١) تحف العقول ٢٤٥، كشف الغمّة ٢: ٢٤٤.

بظمأ الفؤاد ولا تنظر إلىٰ السراب.

ولكن طبيعة الشهداء غير طبيعة المساومة علىٰ البيع والشراء..

طبيعة المساومة موكلة بالحرص علىٰ الهنات، وطبيعة الشهادة موكلة ببذل الحياة لما هو أدوم من الحياة.

وشتّان طبيعة وطبيعة، وشتّان خطأ الشهداء وخطأ المساومين.

وليست موازين المساومة بالموازين الفذّة التي يصلح عليها أمر بني الإنسان، فإنّ بني الإنسان ما بهم عن غنىٰ قط عن الذين يخطئون لأنّهم أرفع من المصيبين، وأنّهم هم الشهداء.

وإنّهم لعلىٰ صواب في المدىٰ البعيد وإن كانوا علىٰ خطأ في المدىٰ القريب.. مدىٰ الأجواف والمعدات والجلود لا مدىٰ الأرواح والأخلاد.

من هؤلاء كان الحسين ﷺ، بل هو أبو الشهداء وينبوع شهادة متعاقبة لايقرن بها ينبوع في تأريخ البشر أجمعين.

فلا جرم يصيب في المدىٰ البعيد ويخطئ في المدىٰ القريب.. مدىٰ المنفعة التي تناله هو في معيشة يومه، وهو المدىٰ الذي لا يأسف عليه ولا ينصّ الركاب إليه.

كربلاء

كربلاء

الحرم المقدّس

عرفت قديماً باسم «كور بابل»[1] ثمّ صحّفت إلىٰ كربلاء، فجعلها هذا التصحيف عرضة لتصحيف آخر يجمع بين الكرب والبلاء، كما رسمها بعض الشعراء[2].

ولم يكن لها ما تذكر به في أقرب جيرة لها فضلاً عن أرجاء الدنيا البعيدة منها.. فليس لها من موقعها ولا من تربتها ولا من حوادثها ما يغري أحداً برؤيتها ثمّ يثبت في ذاكرة من يراها ساعة يرحل عنها.

فلعلّ الزمن كان خليقاً أن يعبر بها سنة بعد سنة وعصراً بعد عصر، دون أن يسمع لها اسم أو يحسّ لها بوجود.. إلّا أن تذكر «نينوىٰ»

---

(١) نهضة الحسين ٨٩.

(٢) وهو الشريف الرضي في قوله:

كربلاء لازلت كرباً وبلا   ما لقي عندك آل المصطفىٰ

راجع: ديوان الشريف الرضي ١: ٤٤، موسوعة العتبات المقدّسة ٨: ٢٢١.

وجيرتها، فتدخل في زمرة تلك الجيرة بغير حساب.

وشاءت مصادفة من المصادفات أن يساق إليها ركب الحسين بعد أن حيل بينه وبين كلّ وجهة أُخرى، فاقترن تأريخها منذ ذلك اليوم بتأريخ الإسلام كلّه. ومن حقّه أن يقترن بتأريخ بني الإنسان حيثما عرفت لهذا الإنسان فضيلة يستحقّ بها التنويه والتخليد.

فهي اليوم حرم يزوره المسلمون للعبرة والذكرى، ويزوره غير المسلمين للنظر والمشاهدة، ولكنّها لو أُعطيت حقّها من التنويه والتخليد، لحقّ لها أن تصبح مزاراً لكلّ آدمي يعرف لبني نوعه نصيباً من القداسة وحظّاً من الفضيلة؛ لأنّنا لا نذكر بقعة من بقاع هذه الأرض يقترن اسمها بجملة من الفضائل والمناقب أسمىٰ وألزم لنوع الإنسان من تلك التي اقترنت باسم كربلاء بعد مصرع الحسين فيها.

فكلّ صفة من تلك الصفات العلويّة التي بها الإنسان إنسان وبغيرها لايحسب غير ضرب من الحيوان السائم.. فهي مقرونة في الذاكرة بأيام الحسين عليه السلام في تلك البقعة الجرداء.

وليس في نوع الإنسان صفات علويات أنبل ولا ألزم له من الإيمان والفداء والإيثار ويقظة الضمير وتعظيم الحقّ ورعاية الواجب والجلد في المحنة والأنفة من الضيم والشجاعة في وجه الموت المحتوم..

وهي ـ ومثيلات لها من طرازها ـ هي التي تجلّت في حوادث كربلاء منذ نزل بها ركب الحسين، ولم تجتمع كلّها ولا تجلّت قط في موطن من المواطن تجلّيها في تلك الحوادث، وقد شاء القدر أن تكون في جانب منها

أشرف ما يشرّف به أبناء آدم؛ لأنّها في الجانب الآخر منها أخزى ما يخزى به مخلوق من المخلوقات.

وحسبك من تقويم الأخلاق في تلك النفوس أنّه ما من أحد قُتل في كربلاء إلّا كان في وسعه أن يتجنّب القتل بكلمة أو بخطوة، ولكنّهم جميعاً آثروا الموت عطاشاً جياعاً مناضلين علىٰ أن يقولوا تلك الكلمة أو يخطوا تلك الخطوة؛ لأنّهم آثروا جمال الأخلاق علىٰ متاع الحياة.

أو حسبك من تقويم الأخلاق في نفس قائدها وقدوتها أنّهم رأوه بينهم فافتدوه بأنفسهم، ولن يبتعث المرء روح الاستشهاد فيمن يلازمه إلّا أن يكون هو أهلاً للاستشهاد في سبيله وسبيل دعوته وأن يكون في سليقة الشهيد الذي يأتمّ به الشهداء.

نموت معك

أقبل الفتىٰ الصغير علي بن الحسين[1] علىٰ أبيه ـ وقد علم أنّهم مخيّرون بين الموت والتسليم ـ فسأله:

ـ «ألسنا علىٰ الحقّ؟».

قال الوالد المنجب النجيب:

ـ «بلىٰ، والذي يرجع إليه العباد».

فقال الفتىٰ:

---

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٥٢).

ـ «يا أبه!.. فإذن لا نبالي[١]!».

وهكذا كانوا جميعاً لا يبالون ما يلقون، ما علموا أنّهم قائمون بالحقّ وعليه يموتون.

وأراد الحسين ـ وقد علم أنّ التسليم لا يكون ـ أن يبقىٰ للموت وحده وألّا يعرّض له أحداً من صحبه.

فجمعهم مرّة بعد مرّة وهو يقول لهم في كلّ مرّة: «لقد بررتم وعاونتم والقوم لا يريدون غيري، ولو قتلوني لم يبتغوا غيري أحداً.. فإذا جنّكم الليل فتفرّقوا في سواده وانجوا بأنفسكم»[٢].

فكأنّما كان قد أراد لهم الهلاك ولم يرد النجاة، وفزعوا من رجائهم إيّاه كما يفزع غيرهم من مطالبتهم بالثبات والبقاء.

وقالوا له ـ كأنّهم يتكلّمون بلسان واحد ـ: «معاذ الله والشهر الحرام.. ماذا نقول للناس إذا رجعنا إليهم؟ أنقول لهم إنّا تركنا سيّدنا وابن سيّدنا وعمادنا، تركناه غرضاً للنبل ودريئة للرماح وجزراً للسباع، وفررنا عنه رغبة في الحياة؟! معاذ الله.. بل نحيا بحياتك ونموت معك».

قالوا له: «نموت معك ولك رأيك».. ولم يخطر لأحد منهم أن يزيّن له العدول عن رأيه إيثاراً لنجاتهم ونجاته. ولو خادعوا أنفسهم قليلاً لزيّنوا له التسليم وسمّوه نصيحة مخلصين يريدون له الحياة، ولكنّهم لم يخادعوا

---

(١) تاريخ أبي مخنف ١: ٤٤٦، إعلام الورىٰ ١: ٤٥٠، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٢، نهضة الحسين ١١٥ ـ ١١٦.

(٢) الإرشاد ٢: ٩١ ـ ٩٢، إعلام الورىٰ ١: ٤٥٥ ـ ٤٥٦، البداية والنهاية ٨: ١٧٦ ـ ١٧٧.

أنفسهم ولم يخادعوه، ورأوا أصدق النصيحة له أن يجنّبوه التسليم ولا يجنّبوه الموت، وهم جميعاً علىٰ ذلك.

ولم يكونوا جميعاً من ذوي عمومته وقرباه، بل كان منهم غرباء نصحوا له ولأنفسهم هذه النصيحة التي ترهب العار ولا ترهب الموت.

فقال له زهير بن القين: «والله لوددت أنّي قتلت ثمّ نشرت ثمّ قتلت حتّىٰ أُقتل هكذا ألف مرّة، ويدفع الله بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك»[1].

وقال مسلم بن عوسجة ـ كأنّه يعتب لما اختار له من السلامة ـ: «أنحن نخلّي عنك ؟! وبم نعتذر إلىٰ الله في أداء حقّك ؟! لا والله حتّىٰ أطعن في صدورهم برمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سلاح أُقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة، والله لا نخلّيك حتّىٰ يعلم الله أنّا قد حفظنا غيبة رسوله فيك. وأمّا والله لو علمت أنّي أُقتل ثمّ أُحيى ثمّ أُحرق ثمّ أُحيى ثمّ أُحرق ثمّ أُذرىٰ ويفعل بي ذلك سبعين مرّة ما فارقتك حتّىٰ ألقي حمامي دونك»[2].

وجيء إلىٰ رجل من أصحابه الغرباء بنبأ عن ابنه في فتنة الديلم، فعلم أنّ الديلم أسروه ولا يفكّون إساره بغير فداء، فأذن له الحسين أن ينصرف وهو في حلّ من بيعته ويعطيه فداء ابنه. فأبىٰ الرجل إباء شديداً، وقال: «عند الله أحتسبه ونفسي»، ثمّ قال للحسين: «هيهات أن أُفارقك

(١) تاريخ أبي مخنف ١: ٤٥٦، إعلام الورىٰ ١: ٤٥٦.

(٢) راجع المصدرين السابقين بالإضافة إلىٰ البداية والنهاية ٨: ١٧٧.

ثمّ أسأل الركبان عن خبرك.. لايكن ـ والله ـ هذا أبداً»[١].

وقد تناهت هذه المناقب إلىٰ مداها الأعلىٰ في نفس قائدهم الكريم.. يخيّل إلىٰ الناظر في أعماله بكربلاء أنّ خلائقه الشريفة كانت في سباق بينها أيّها يظفر بفخار اليوم كلّه، فلا يدري أكان في شجاعته أشجع، أم في صبره أصبر، أم في كرمه أكرم، أم في إيمانه وأنفته وغيرته علىٰ الحقّ بالغاً من تلك المناقب المثلىٰ أقصىٰ مداه..

إلّا أنّه كان يوم الشجاعة لا مراء، وكانت الشجاعة فضيلة الفضائل التي تمدّها سائرها بروافد من كلّ خلق نبيل يعينها علىٰ شأنها.

فكان الحسين ـ شبل علي ـ في شجاعته الروحيّة والبدنيّة معاً في غاية الغايات، وكان مضرب المثل بين الرعيل الأوّل من أشجع الشجعان في أبناء آدم وحوّاء.

ملك جأشه وكلّ شيء من حوله يوهن الجأش، ويحلّ عقدة العزم، ويغري بالدعة والمجاراة.

ملك جأشه ومن حوله نساؤه وأبناؤه في نضارة العمر، يجوعون ويظمأون، ويتشبثون به ويبكون.

وملك جأشه روية وأناة، ولم يملكه وثبة واثب إلىٰ الغضب أو هيجة مهتاج إلىٰ الوغى.

فكان قبل القتال وفي حومة القتال قويّاً بصيراً ينفض الضعف عن

---

(١) مقاتل الطالبيين ٧٨.

عزائمه، كما ينفض الأسد غبرات الحصاء عن لبده[١]. ولم يخامره الأسف قط في ذلك الموقف المرهوب إلّا من أجل أحبّائه وأعزائه الذين يراهم ويرونه ويسمع صيحتهم ويسمعونه.

فقال وهو ينظر إلىٰ الأخبية ومن فيها: «لله درّ ابن عبّاس فيما أشار به عليّ!»[٢].

وجلس ليلة القتال في خيمته يعالج سهاماً له بين يديه ويرتجز ـ وأمامه ابنه العليل ـ:

يا دهر أُف لك من خليل كم لك بالإشراق والأصيلِ
من صاحب وماجد قتيل والدهر لا يقنع بالبديلِ
والأمر في ذاك إلىٰ الجليل وكلّ حيٍّ سالك سبيلي

فردّ ابنه عبرته لكيلا يزيده ألماً علىٰ ألمه.

وسمعته أُخته زينب، فلم تقو علىٰ حنانها ووجلها، وخرجت إليه من خبائها حاسرة تنادي: «وا ثكلاه! اليوم مات جدّي رسول الله وأُمّي فاطمة الزهراء وأبي علي وأخي الحسن، فليت الموت أعدمني الحياة.. يا حسيناه! يا بقيّة الماضين وثمالة الباقين!».

فبكى لبكائها، ولم ينثن ذرّة عن عزمه الذي بات عليه، وقال لها: ـ «يا أُخت! لو ترك القطا لنام»[٣].. ولم يزل يناشدها ويعزّيها، وهو

---

(١) لِبدة الأسد: الزُبرة من الشعر المتراكم بين كتفيه. (جمهرة اللغة ١: ٣٠١).

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٧، البداية والنهاية ٨: ١٧٩.

(٣) هذا مثل يضرب للرجل يُستثار لشيء فيثور.

راجع: جمهرة الأمثال ٢: ١٩٤ ـ ١٩٥ و٤٣٢، مجمع الأمثال ٢: ١٦١.

في قرارة نفسه مستقرّ كالطود علىٰ مواجهة الموت وإباء التسليم أو النزول علىٰ «حكم ابن مرجانة» كما قال.. ثمّ احتملها مغشياً عليها حتّىٰ أدخلها الخباء[١].

* * *

تزول الممالك وتدول الدول وتنجح المطامع أو تخيب وتحضر المطالب أو تغيب، وهذه الخلائق العلويّة في صدر الإنسان أحقّ بالبقاء من الممالك وما حوته، ومن الدول وما حفظته أو ضيّعته، بل أحقّ بالبقاء من رواسي الأرض وكواكب السماء.

حرب النور والظلام

وكانت فئة الحسين صغيرة ـ كما علمنا ـ قد رصدت لها هنالك تلك الفئة الكبيرة التي تناقضها أتمّ ما يكون التناقض بين طرفين، وتباعدها أبعد ما تكون المسافة بين قطبين، فكلّ ما فيها أرضي مظلم مسف بالغ في الإسفاف[٢]، وليس فيها من النفحة العلويّة نصيب.

أللمصادفات نظام وتدبير؟!

نحن لا نعلم إلّا أنّها مصادفات يخفي علينا ما بينها من الوشائج والصلات.. ولكنّها ـ لذلك ـ هي الأعاجيب التي تستوقف النظر لعجبها

---

(١) انظر: تاريخ أبي مخنف ١: ٤٥٧ ـ ٤٥٨، الإرشاد ٢: ٩٣ ـ ٩٤، إعلام الورىٰ ١: ٤٥٦ ـ ٤٥٧، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

(٢) السفساف: الرديء من كلّ شيء والأمر الحقير. (لسان العرب ٦: ٢٨٤).

العاجب وإن لم تستوقفه لما يفهمه فيها من نظام وتدبير.

فجيرة كربلاء كانت قديماً من معاهد الإيمان بحرب النور والظلام، وكان حولها أُناس يؤمنون بالنضال الدائم بين أُورمزد وأهرمان[١]..

ولكنّه كان في حقيقته ضرباً من المجاز وفنّاً من الخيال.

وتشاء مصادفات التأريخ إلّا أن ترىٰ هذه البقاع التي آمنت بأُورمزد وأهرمان حرباً هي أولىٰ أن تسمّى حرب النور والظلام من حرب الحسين ومقاتليه.

* * *

وهي عندنا أولىٰ بهذه التسمية من حروب الإسلام والمجوسيّة في تلك البقاع وما وراءها من الأرض الفارسيّة؛ لأنّ المجوسي كان يدافع شيئاً ينكره... ففي دفاعه معنىً من الإيمان بالواجب كما تخيّله ورآه، ولكنّ الجيش الذي أرسله عبيد الله بن زياد لحرب الحسين كان جيشاً يحارب قلبه لأجل بطنه أو يحارب ربّه لأجل واليه؛ إذ لم يكن فيهم رجل واحد يؤمن ببطلان دعوىٰ الحسين أو رجحان حقّ يزيد، ولم يكن فيهم كافر ينفح عن عقيدة غير عقيدة الإسلام، إلّا من طوىٰ قلبه علىٰ كفر كمين هو مخفيه، ولا نخالهم كثيرين.

ولو كانوا يحاربون عقيدة بعقيدة لما لصقت بهم وصمة النفاق ومسبّة الأخلاق.. فعداوتهم ما علموا أنّه الحقّ وشعروا أنّه الواجب أقبح بهم من

---

(١) أُورمزد وأهريمان: الأوّل إلٰه الخير والثاني إلٰه الشرّ في الديانة الزرادشتية. (المنجد في الأعلام ٨٠).

عداوة المرء ما هو جاهله بعقله ومعرض عنه بشعوره؛ لأنّهم يحاربون الحقّ وهم يعلمون.

ومن ثمّ كانوا في موقفهم ذاك ظلاماً مطبقاً، ليس فيه من شعور الواجب بصيص[1] واحد من عالم النور والفداء.. فكانوا حقّاً في يوم كربلاء قوّة من عالم الظلام تكافح قوّة من عالم النور.

أقربهم إلىٰ العذر يومئذٍ من اعتذر بالفرق والرهبة؛ لأنّهم أكرهوه بالسيف علىٰ غير ما يريد.. فكان الجبن أشرف ما فيهم من خصال السوء.

وكان منهم أُناس كتبوا إلىٰ الحسين يستدعونه إلىٰ الكوفة ليبايعوه علىٰ حرب يزيد، فلمّا ندبهم عمر بن سعد للقائه وسؤاله أحجموا عمّا ندبهم له واستعفوه؛ لأنّ جوابهم إن سألوه في شأن مجيئه إليهم: إنّني جئتكم ملبّياً ما دعوتم إليه!

وركب أُناساً منهم الفزع الدائم بقيّة حياتهم؛ لأنّهم عرفوا الإثم فيما اقترفوه عرفاناً لا تسعهم المغالطة فيه، ومن هؤلاء رجل من بني أبان بن دارم كان يقول:

ـ «قتلت شاباً أمرد مع الحسين بين عينيه أثر السجود.. فما نمت ليلة منذ قتلته إلّا أتاني، فيأخذ بتلابيبي حتّىٰ يأتي جهنّم فيدفعني فيها، فأصبح فما يبقىٰ أحد في الحي إلّا سمع صياحي»[2].

* * *

(١) البصيص: البريق واللمعان. (صحاح اللغة ٣: ١٠٣٠).

(٢) قارن: مقاتل الطالبيين ٧٩، تذكرة الخواص ٢٨٢.

ورأىٰ هذا الرجل صاحب له بعد حين، وقد تغيّر وجهه واسودّ لونه، فقال له: «ما كدت أعرفك»، وكان يعرفه جميلاً شديد البياض[١].

ومنهم من كان يتزاور عن الحسين في المعمعة[٢]، ويخشىٰ أن يصيبه أو يصاب علىٰ يديه[٣].

ولو أنّهم حاربوه لأنّهم علموا أنّه أهل للمحاربة فلم يتزاوروا عنه ولم يتحاشوه لكانت الحرب هنالك حرباً بين رأيين ومذهبين وشجاعتين، ولكنّهم كشفوا أنفسهم بتحاشيهم إيّاه. فإذا هم يحاربون رأيهم الذي يدينون به، ووليهم الذي يضمرون له الحرمة والكرامة، وفي ذلك خزيهم الأثيم.

علىٰ أنّ الجبن والجشع لا يفسران كلّ ما اقترفه جيش عبيد الله من شرٍّ ولؤمٍ في أيام كربلاء.

فلا حاجة بالجبان ولا بالجشع إلىٰ التمثيل والتنكيل أو التبرّع بالإيذاء حيث لا تلجئه الضرورة إليه، وليس قتل الطفل الصغير الذي يموت من العطش وهو علىٰ مورد الماء بالأمر الذي يلجئ إليه الجبن أو يلجئ إليه طلب المال، وقد حدث في أيام كربلاء من أمثال هذا البغي اللئيم شيء كثير رواه الأُمويون، ولم تقتصر روايته علىٰ الهاشميين والطالبيين أو أعداء بني

---

(١) راجع: تذكرة الخواص ٢٨١، سمط النجوم العوالي ٣: ١٩٦.

(٢) المعمعة: صوت المقاتلة في الحرب، أو: استعار نار الحرب. (لسان العرب ١٣: ١٤٤).

(٣) انظر الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٣.

أميّة[1].

* * *

وينبغي أن نفهم ذلك علىٰ وجه واحد لا سبيل إلىٰ فهمه بغيره، وهو نكسة الشرّ في النفوس البشريّة حين تلج بها مغالطة الشعور، وحين تغالب عنانها حتّىٰ تعييها المغالبة، فينطلق بها العنان.

فالرجل الخبيث المعرق في الخباثة قد يتصرّف في خلوته تصرّف الأنذال ثمّ لا يبالي أن يعرف نذالته وهو بنجوة من أعين الرقباء. ولكن أربعة الآلاف لا يتصارحون بالنذالة بينهم ولا يقول بعضهم لبعض: إنّهم يعملون ما يستحقّون به التحقير والمهانة ولا تقبل لهم فيه معذرة ولا علالة. وإنّما شأنهم في هذه الحالة أن يصطنعوا الحماسة ويجاهدوا التردّد ما استطاعوا ليظهروا في ثوب الغلاة المصدّقين الذين لا يشكّون لحظة في صدق ما يعملون، فيغمض الرجل منهم عينيه ويستتر بغشاء من النفاق حتّىٰ ليوشك أن يخدع نفسه عن طويّة فؤاده.

وتلك لجاجة المغالطة في الشعور.

أمّا مجاذبة النفس عنانها وانطلاقها بعد هذه المجاذبة المخفقة، فالشواهد عليها كثيرة فيما نراه كلّ يوم..

يحاول الرجل أن يجتنب الخمر فلا يستطيع، فإذا هو قد خلع العذار[2]

---

(١) لاحظ: الإمامة والسياسة ٢: ١٢، مقاتل الطالبيين ٧٧ و٧٩، الإرشاد ٢: ١٠٨، إعلام الورىٰ ١: ٤٦٦، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٤، البداية والنهاية ٨: ١٨٦ و١٨٧ و١٩٧.

(٢) العذار: الحياء. (لسان العرب ٩: ١٠٥).

وغرق فيها ليله ونهاره غير مبال بما يقال، كأنّما هو القائل: «دع عنك لومي، فإنّ اللوم إغراء»[١].

وتحبّ المرأة أن تستحيي وتتوارىٰ من المسبّة في هواها، ثمّ يغلبها هواها، فإذا هي ألقت حياءها للريح، وصنعت ما تحجم عنه التي لم تنازع نفسها قط في هوىٰ، ولم تشعر قط بوطأة الخجل والاستتار.

واندفاع المتهجّمين علىٰ الشرّ في حرب كربلاء بغير داع من الحفيظة ولا ضرورة ملزمة تقضي بها شريعة القتال، هو الاندفاع الذي يسبر لنا عمق الشعور بالإثم في نفوس أصحاب يزيد، وقد رأينا من قبل عمق الشعور بالحقّ في أصحاب الحسين..

وما بنا من حاجة إلىٰ البحث عن علّة مثل هذه العلّة لمن خلقوا مجرمين وخلقت معهم ضراوة الحقد والإيذاء لهذا الميدان وغير هذا الميدان، كشمر بن ذي الجوشن ومن جرىٰ مجراه.. فهؤلاء لا يصنعون غير صنيعهم الأثيم كلّما وجدوا السبيل إليه.

علىٰ أنّها ـ بعد كلّ هذا ـ حرب بين الكرم واللؤم، وبين الضمير والمعدة، وبين النور والظلام.. فشأنها علىٰ أيّة حال أن تصبح مجالاً من الطرفين لقصارىٰ ما يبلغه الكرم وقصارىٰ ما يبلغه اللؤم، وقد بلغت في ذلك أقصىٰ مدىٰ الطرفين.

* * *

---

(١) هذا صدر بيت لأبي نواس، وعجزه: وداوني بالتي كانت هي الداء.
انظر: ديوان أبي نواس ٦، الأغاني ٧: ١٩٨.
وراجع ترجمته في قائمة التراجم رقم (٥٣).

ومن المتعذّر ـ بعد وقوف هاتين القوّتين موقف المراقبة والمناجزة ـ أن تتقصّىٰ أوائل القتال وتتبع ترتيب الحوادث بعد واحدة علىٰ حسب وقوعها..

فإنّ الأقوال في سرد حوادث كربلاء لا تتّفق علىٰ ترتيب واحد، سواء كان هذا الترتيب في رواية أنصار الحسين أو رواية أنصار يزيد.

إلّا أنّ الترتيب الطبيعي يستبين للعقل من سبب الوقوف في ذلك المكان، وهو منع الحسين أن ينصرف إلىٰ سبيله وأن يرد الماء حتّىٰ يكرهه العطش إلىٰ التسليم. وكان الموقف كما وصفه أبو العلاء بعد ذلك بأربعة قرون:

منع الفتىٰ هيناً فجرّ عظائماً وحمىٰ غير الماء فانبعث الدم[1]

ولم يمتنع طريق الماء في بادئ الأمر دفعة واحدة؛ لأنّ حرّاس المورد من جماعة عمر بن سعد لم يكونوا علىٰ جزم بما يصنعون في مواجهة الحسين وصحبه.. فلمّا اندفع بعض أصحاب الحسين إلىٰ الماء بالقرب والأداوى[2]، مانعهم القوم هنيهة ثمّ أخلوا لهم سبيل النهر خوفاً وحيرة، فشربوا وملأوا قربهم وأداواهم بما يغنيهم عن الاستقاء إلىٰ حين[3].

والظاهر أنّ الشرّ كلّه كان في حضور شمر بن ذي الجوشن علىٰ تلك الساحة متربّصاً كلّ التربّص بمن يتوانى في حصار الحسين ومضايقته،

---

(١) اللزوميات ٢: ٤٠٧.

(٢) الإداوة: إناء صغير من جلد يتّخذ للماء. (لسان العرب ١: ١٠٠).

(٣) تاريخ أبي مخنف ١: ٤٤٩، تاريخ الطبري ٤: ٦١٣.

فيعزله ويعرّضه لسوء الجـزاء، ثمّ يـطمع مـن وراء ذلك أن يـتولّىٰ قـيادة الجيش وإمارة الري بعد عزل عمر بن سعد بن أبي وقّاص..

فبطل التردّد شيئاً فشيئاً، وتعذّر علىٰ الحسين وأصحابه ـ بعد الهجمة الأُولىٰ ـ أن يصلوا إلىٰ الماء، ولبثوا أياماً وليس في معسكرهم ذو حياة من رجل أو امرأة أو طفل أو حيوان إلّا وهو يتلظّىٰ علىٰ قطرة ماء فلا ينالها، ومنهم الطفل العليل والشيخ المكدود والحـيوان الأعجم. وصـياح هـؤلاء الظماء من حرقة الظمأ يتوالىٰ علىٰ مسمع الحسين ليل نهار وهو لا يملك لهم غير الوصاية بالصبر وحسن المؤاساة.

وفي ذلك المأزق الفاجع نضحت طبائع اللؤم في معسكر ابن زياد بشرّ ما تنضح به طبيعة لئيمة في البنية الآدميّة.. فاقترفوا من خسّة الأذىٰ مـا تنزّه عنه الوحوش الضاريات، وجعلوا يتلهّون ويتفكّهون بما تقشعر مـنه الجلود وتندىٰ له الوجوه، ونكاد نمسك عن تسطيره أسفاً وامتعاضاً لولا أنّ القليل منه جزء لاينفصل من هذه الفاجعة، وبيان لما يـلي مـن وقـعها في النفوس وتسلسل تراتها إلىٰ أمد بعيد.

مآثم مخزية

فمن هذه المآثم المخزية أنّ الحسين برح به العطش فلم يباله.. ولكـنّه رأىٰ ولده عبد الله يتلوّىٰ من ألمه وعطشه، وقد بحّ صـوته مـن البكـاء، فحمله علىٰ يده يهمّ أن يسقيه ويقول للقوم: «اتّقوا الله في الطفل إن لم تتّقوا

الله فينا»، فأوتر رجل من نبّالة الكوفة قوسه[١]، ورمىٰ الطفل بسهم وهو يصيح ليسمعه العسكران: «خذ اسقه هذا».. فنفذ السهم إلىٰ أحشائه[٢]!.

وكانوا يصيحون بالحسين متهاتفين: «ألا ترىٰ إلىٰ الفرات كأنّه بطون الحيّات؟!.. والله لا تذوقه حتّىٰ تموت ومن معك عطشاً»[٣].

ولما اشتدّ عطش الحسين دنا من الفرات ليشرب، فرماه حصين بن نمير بسهم وقع في فمه.. فانتزعه الحسين وجعل يتلقّىٰ الدم بيديه، فامتلأت راحتاه بالدم، فرمىٰ به إلىٰ السماء وقد شخص ببصره إليها، وهو يقول: «إن تكن حبست عنّا النصر من السماء، فاجعل ذلك لما هو خير منه، وانتقم لنا من القوم الظالمين»[٤].

وقد كان منع الماء ـ قبل الترامي بالسهام ـ نذيراً كافياً بالحرب، يبيح

---

(١) وهو حرملة الكاهلي.

(٢) الارشاد ٢: ١٠٨، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٤، البداية والنهاية ٨: ١٩٧.

(٣) إعلام الورىٰ ١: ٤٥٢، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٣.

(٤) الذي يظهر من بعض التواريخ أنّ الحسين عليه السلام قال هذه العبارة عند مصرع عبد الله الرضيع.

أمّا في هذا الموضع فقد قال: «اللهمّ، إنّي أشكو إليك ما يُفعل بابن بنت نبيّك»، وقال: «اللهمّ، أحصهم عدداً واقتلهم مدداً ولا تذر علىٰ الأرض منهم أحداً».

راجع: الأخبار الطوال ٢٥٨، الارشاد ٢: ١٠٩، إعلام الورىٰ ١: ٤٦٧، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٤.

كما أنّ الشخص الذي رمىٰ الحسين عليه السلام بسهم في فمه الشريف ورد باسم: حصين بن تميم في: المنتظم ٥: ٣٤٠، البداية والنهاية ٨: ١٨٧.

الحسين أن يصيب منهم من يتعرّض للإصابة.. ولكنّه رأىٰ شمر بن ذي الجوشن ـ أبغض مبغضيه المؤلّبين عليه ـ يدنو من بيوته ويجول حولها ليعرف منفذ الهجوم عليها. فأبىٰ علىٰ صاحبه مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم وقد أمكنه أن يصميه[1] وهو من أسدّ الرماة؛ لأنّه كره أن يبدأهم بعداء[2].

* * *

وكأنّه لمح منهم ضعف النيّة وسوء الدخلة في الدفاع عن مولاهم، وعلم أنّهم لا يخلصون في حبّه، ولا يؤمنون بحقّه، وأنّهم يخدمونه للرغبة أو الرهبة، ولايخدمونه للحقّ والذمّة.. فطمع أن يقرع ضمائرهم وينبّه غفلة قلوبهم، ورمىٰ بآخر سهم من سهام الدعوة قبل أن يرمي بسهم واحد من سهام القتال.

فخرج لهم يوماً بزي جدّه ﷺ متقلّداً سيفه لابساً عمامته ورداءه، وأراهم أنّه سيخطبهم. فكان أوّل ما صنعوه دليلاً علىٰ صدق فراسته فيهم؛ لأنّ رؤساءهم ومؤلّبيهم أشفقوا أن يتركوا له آذان القوم، فينفذ إلىٰ قلوبهم ويلمس مواقع الإقناع من ألبابهم. فضجّوا بالصياح والجلبة وأكثروا من العجيج والحركة؛ ليحجبوا كلامه عن أسماعهم ويتّقوا أثر موعظته فيهم، وهو بتلك الهيئة التي تغضي عنها الأبصار وتعنو لها الجباه.

ولكنّه صابرهم حتّىٰ ملّوا، وملّ إخوانهم ضجيجهم هذا الذي

---

(١) أصميت الصيد: إذا رميته فقتلته وأنت تراه. (لسان العرب ٧: ٤١٥).

(٢) الإرشاد ٢: ٩٦، إعلام الورىٰ ١: ٤٥٨، المنتظم ٥: ٣٣٩.

يكشفون به عن عجزهم وخوفهم، ولا يوجب الثقة بدعواهم عند إخوانهم.. فهدأوا بعد لحظات وسمعوه بعد الحمد والصلاة: «انسبوني من أنا.. هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيّكم؟ أو لم يبلغكم ما قاله رسول الله لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة؟ ويحكم!.. أتطلبونني بقتيل لكم قتلته أو مال لكم استهلكته؟!».

ثمّ نادىٰ بأسماء أنصاره الذين استدعوه إلىٰ الكوفة ثمّ خرجوا لحربه في جيش ابن زياد. فقال: «يا شبث بن ربعي[1]! يا حجّار بن أبجر! يا قيس بن الأشعث! يا يزيد بن الحارث! يا عمر بن الحجّاج!... ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار واخضرّت الجنبات، وإنّما تقدم علىٰ جُند لك مجنّد؟»[2].

فزلزلت الأرض تحت أقدامهم بهذه الكلمات وبلغ بها المقنع ممّن فيه مطمع لإقناع، وتحوّلت إلىٰ صفّه فئة منهم تعلم أنّها تتحوّل إلىٰ صف لن تجد فيه غير الموت العاجل. واستطابت هذا الموت ولم تستطب البقاء مع ابن زياد لاغتنام الغنيمة وانتظار الجزاء من المناصب والأموال.

* * *

ولم تكن كلمة الحسين كلّ ما شهره عسكره من سلاح الدعوة قبل الاحتكام إلىٰ السيف..

---

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٥٤).

(٢) راجع: تاريخ أبي مخنف ١: ٤٦١ ـ ٤٦٢، إعلام الورىٰ ١: ٤٥٨ ـ ٤٥٩، المنتظم ٥: ٣٣٩، البداية والنهاية ٨: ١٧٩، سمط النجوم العوالي ٣: ١٧٧.

فقد كانت للبطل المجيد زهير بن القين كلمات في أهل الكوفة أمضىٰ من السيوف والرماح حيث تصيب، فركب فرسه وتعرّض لهم قائلاً: «يا أهل الكوفة! نذار لكم من عذاب الله نذار. إنّ حقّاً علىٰ المسلم نصيحة المسلم، ونحن حتّىٰ الآن أُخوة علىٰ دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنّا نحن أُمّة وأنتم أُمّة..

إنّ الله قد ابتلانا وإيّاكم بذرّية نبيّه محمّد ﷺ لينظر ما نحن وأنتم عاملون، وإنّا ندعوكم إلىٰ نصر حسين وخذلان الطاغية ابن الطاغية عبيد الله بن زياد، فإنّكم لا تدركون منهما إلّا سوءً، يسملان أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم ويمثّلان بكم ويرفعانكم علىٰ جذوع النخل ويقتلان أماثلكم وقرّاءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه وهانئ بن عروة وأشباهه»[1].

فوجم منهم من وجم، وتوقّح منهم من توقّح، علىٰ ديدن المريب المكابر إذا خلع العذار ولم يأنف من العار، وتوعّدوه وتوعّدوا الحسين معه أن يقتلوهم أو يسلّموهم صاغرين إلىٰ عبيد الله بن زياد.

تخاذل وضعف

ولا يظهر من عدد الفريقين ساعة القتال أنّ المتحوّلين إلىٰ معسكر الحسين كانوا كثيرين أو متلاحقين. ولكن بداءة التحوّل كانت ممّا يخيف ويزعج؛ لأنّها اشتملت علىٰ قائد كبير من قوّاد ابن زياد وهو الحرّ بن يزيد

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٨، البداية والنهاية ٨: ١٨٠، سمط النجوم العوالي ٣: ١٧٧.

الذي أرسلوه في أوّل الأمر ليحلئ[1] الحسين عن دخول الكوفة، وقد كان يحسب أنّ عمله ينتهي إلىٰ هذه المراقبة ولا يعدوها إلىٰ القتال وسفك الدم.. فلمّا تبيّن نيّة القتال أقبل يدنو نحو عسكر الحسين قليلاً قليلاً، وتأخذه رعدة وينتابه ألم شديد.. حتّىٰ راب أمره صاحبه المهاجر بن أوس فقال:

ـ «والله إنّ أمرك لمريب.. ما رأيت منك قط مثل ما أراه الآن، ولو قيل: من أشجع أهل الكوفة، ما عدوتك».

فباح له الرجل بما في نفسه، وقال له:

ـ «إنّي أُخيّر نفسي بين الجنّة والنار، ولا اختار علىٰ الجنّة شيئاً ولو قطّعت أو حرّقت».

ثمّ ضرب فرسه، ولحق بالحسين وهو يعتذر قائلاً:

ـ «لو علمت أنّهم ينتهون إلىٰ ما أرىٰ ما ركبت مثل الذي ركبت، وإنّي قد جئتك تائباً ممّا كان منّي إلىٰ ربّي مؤاسياً لك بنفسي حتّىٰ أموت بين يديك[2]!».

ولن يخلو معسكر ابن زياد من مئات كالحرّ بن يزيد يؤمنون إيمانه ويودّون لو يلحقون به إلىٰ معسكر الحسين، ويزعجهم أن يتحوّل أمامهم إلىٰ المعسكر وهم ناظرون إليه؛ لأنّه يبكتهم[3] ويكشف مغالطتهم بينهم وبين

---

(١) الحلأ: المنع. (صحاح اللغة ١: ٤٥).

(٢) تاريخ أبي مخنف ١: ٤٦٤، الإرشاد ٢: ٩٩، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٨.

مع العلم بأنّ صاحب الحرّ الرياحي المذكور ورد اسمه في بعض المصادر المزبورة كما في المتن، وورد في بعضها الآخر باسم: قرّة بن قيس، فلاحظ.

(٣) التبكيت: التقريع والتوبيخ. (تاج العروس ٤: ٤٤٧).

أنفسهم ويحضّهم علىٰ الاقتداء به والتدبّر في أسباب ندمه، لا لأنّه ينتقص عددهم أو ينذر بالهزيمة في ميدان القتال.. فكلّهم ـ ولا ريب ـ يشعر بشعوره ويعتقد في فضل الحسين علىٰ يزيد مثل اعتقاده، وبعيد علىٰ العقل أن يصدّق في هؤلاء الشراذم أنّهم قد أطاعوا يزيد لأنّه صاحب بيعة حاصلة وأنّهم قد «تأدّبوا بأدب الدولة» أدباً يغلب شعور الجماعة وإيمان المرء بحقّ الشريعة وحرمة البيت النبويّ، ويهون عليه قتل سبط النبي في هذا السبيل، وكيف! وإنّ منهم لمن بايع الحسين علىٰ البعد ودعاه إليه ليقود «الجند المجنّد» إلىٰ قتال يزيد؟.. فكلامهم في البيعة الحاصلة لغط يلوكونه بألسنتهم ولا يستر ما في طويتهم، وليس أثقل علىٰ أمثال هؤلاء من عبء المغالطة كلّما تلجلج في مكانه وحركته القدوة التي يريدونها ولا يقوون عليها، كتلك القدوة الماثلة بصاحبهم الحرّ بن يزيد.

لا جرم كان أعظم الجيشين قلقاً وأشدّهما حيرة وأعجلهما إلىٰ طلب الخلاص من هذا المأزق الثقيل هو أكبر الفئتين وأقوىٰ العسكرين.

شجاعة جند الحسين

كان هناك عسكران أحدهما صغير يلحّ عليه العطش والضيق، ولكنّه كان مطمئناً إلىٰ حقّه يلقىٰ الموت في سبيله، ويزيده العطش والضيق طمأنينة إلىٰ هذا المصير.

والعسكر الآخر أكبر العسكرين، ولكنّه كان «يخون» نفسه في ضمير كلّ فرد من أفراده، وتملكه الحيرة بين ندم وخوف وتبكيت ومغالطة

واضطراب، يحزّ في الأعصاب ويقذف بالمرء إلىٰ الخلاص كيفما كان الخلاص.

وطال القلق علىٰ دخيلة عمر بن سعد فأطلقه سهماً في الفضاء كأنّه كان متشبّثاً بصدره فاستراح منه بانطلاقه.

فزحف إلىٰ مقربة من معسكر الحسين، وتناول سهماً فرماه عن قوسه إلىٰ المعسكر وهو يصيح:

ـ «اشهدوا لي عند الأمير أنّني أوّل من رمىٰ الحسين».

ثمّ تتابعت السهام، فبطلت حجّة السلم وذهب كلّ تأويل في نيّة القوم، وقام الحسين ـ وهو ينظر إلىٰ السهام وينظر إلىٰ أصحابه ـ فقال:

ـ «قوموا يا كرام، فهذه رسل القوم إليكم»[1].

وبذلك بدأ القتال.

وقد تأهب الحسين لهذه المنازلة المنتظرة، وإن كان علىٰ انتظاره إيّاها قد تريّث حتّىٰ يبدأوه بالعدوان من جانبهم، وحتّىٰ يجب عليه الدفاع وجوباً لا خلاف فيه.

فاختار له رابية يحتمي بها من ورائه، ووسع وهدتها[2] حتّىٰ أصبحت خندقاً لا يسهل عبوره.. فأوقد فيه النار ليمنع عليهم الالتفاف به من خلفه[3]، وهم في كثرتهم التي ترجح عدّة صحبه ستّين ضعفاً قادرون علىٰ

---

(١) تاريخ أبي مخنف ١: ٤٦٥ ـ ٤٦٦، الإرشاد ٢: ١٠١، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٩، البداية والنهاية ٨: ١٨١.

(٢) الوهدة: المكان المطمئن. (معجم مقاييس اللغة ٦: ١٤٧).

(٣) قارن: تاريخ أبي مخنف ١: ٤٦٥ ـ ٤٦٦، الأخبار الطوال ٢٥٦، إعلام الورىٰ ١: ←

مهاجمته من جميع نواحيه.

وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً.. وهم نيّف وأربعة آلاف يكثر فيهم الفرسان وراكبوا الإبل ويحملون صنوفاً مختلفة من السلاح[1].

ومع هذا التفاوت البعيد في عدد الفريقين كان المعسكر القليل كفؤاً للعسكر الكثير لو جرىٰ القتال علىٰ سنّة المبارزة التي كانت دعوة مجابة في ذلك العصر إذا اختارها أحد الفريقين.

فإنّ آل علي جميعاً كانوا من أشهر العرب ـ بل من أشهر العرب والعجم ـ بالقوّة البدنيّة والصبر علىٰ الجراح والاضطلاع بعناء الحرب ساعات بعد ساعات، ومنهم من كان يلوي الحديد فلا يقيمه غيره..

ومنهم محمّد بن الحنفيّة الذي صرع جبابرة القوّة البدنيّة بين العرب والعجم في زمانه، ومن أشهر هؤلاء الجبابرة رجل كان في أرض الروم يفخر به أهلها.. فأرسله ملكهم إلىٰ معاوية يعجّز به العرب عن مصارعته واتّقاء بأسه. فجلس محمّد بن الحنفية وطلب من ذلك الجبّار الرومي أن يقيمه، فكان كأنّما يحرّك جبلاً لصلابة أعضائه وشدّة أسره. فلمّا أقرّ الرجل بعجزه رفعه محمّد فوق رأسه ثمّ جلد به الأرض مرّات[2].

← ٤٥٨، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٦.

(١) الإرشاد ٢: ٩٥، البداية والنهاية ٨: ١٧٨، سمط النجوم العوالي ٣: ١٧٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ١٩٧، البداية والنهاية ٨: ١٠٢، الغدير ٢: ١٣٣ ـ ١٣٤.

والحسين ﷺ قد كان هو ومن معه من شباب آل علي ممّن ورث هذه القوّة البدنيّة كما ورثوا ثبات الجأش وحمية الفؤاد. وكانوا كفؤاً لمبارزة الأنداد واحداً بعد واحد حتىٰ يفرغ جيش عبيد الله من فرسانه القادرين علىٰ المبارزة، ولا يبقىٰ منهم غير الهمل[1] يتبدّدون في منازلة الشجعان كما تتبدّد السائمة المذعورة بالعراء.

وكان مع الحسين نخبة من فرسان العرب كلّهم له شهرة بالشجاعة والبأس وسداد الرمي بالسهم ومضاء الضرب بالسيف، ولن تكون صحبة الحسين غير ذلك بداهة وتقديراً لا يتوقّفان علىٰ الشهرة الذائعة والوصف المتواتر؛ لأنّ مزاملة الحسين في مثل تلك الرحلة هي وحدها آية علىٰ الشجاعة في ملاقاة الموت وكرم النحيزة[2] في ملاقاة الفتنة والإغراء.. فإذا جرىٰ القتال كلّه مبارزة بين أمثال هؤلاء ومن يبرزون لهم من جيش عبيد الله، فهم كفء للمنازلة وليس أملهم في الغلب بضعيف.

وقد بدأ القتال بهجوم الخيل من قبل جيش ابن زياد، فأشرع أصحاب الحسين لها رماحهم وجثوا علىٰ الركب ينتظرونها.. فلم تقم الخيل للرماح وأوشكت أن تجفل مولّية بفرسانها[3].

فعدل الفريقان إلىٰ المبارزة، فلم يتعرّض لها أحد من جيش ابن زياد إلّا فشل أو نكص علىٰ عقبيه، فخشي رؤوس الجيش عقبى هذه المبارزة

---

(١) الهَمَل: ضوال الإبل. (لسان العرب ١٥: ١٣٥).

(٢) النحيزة: الطبيعة. (صحاح اللغة ٣: ٨٩٨).

(٣) تاريخ أبي مخنف ١: ٤٦٨، الإرشاد ٢: ١٠٢، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٩.

التي لا أمل لهم في الغلبة بها، وصاح عمر بن الحجّاج برفاقه:

ـ «أتدرون من تقاتلون؟.. تقاتلون فرسان المصر وقوماً مستميتين.. لايبرز إليهم منكم أحد، فإنّهم قليل.. لو لم ترموهم إلّا بالحجارة لقتلتموهم».

فاستصوب عمر بن سعد مقاله، ونهىٰ الناس عن المبارزة[1].

فلمّا برز عابس بن أبي شبيب الشاكري[2] بعد ذلك وتحدّاهم للمبارزة، تحاموه لشجاعته ووقفوا بعيداً منه. فقال لهم عمر:

ـ «ارموه بالحجارة».

فرموه من كلّ جانب.. فاستمات وألقىٰ بدرعه ومغفره وحمل علىٰ من يليه، فهزمهم وثبت لجموعهم حتّىٰ مات[3].

وعجزت خيل القوم ـ مع كثرتها ـ عن مقاومة خيل الحسين، وهي تنكشف كلّ ساعة عن فارس قتيل..

فبعث عروة بن قيس مقدّم الفرسان في جيش ابن زياد يقول لعمر ابن سعد: «ألا ترىٰ ما تلق خيلي هذا اليوم من هذه العدّة اليسيرة؟ ابعث إليهم الرجال والرماة»، فبعث إليه بخمس مائة من الرماة وعلىٰ رأسهم الحصين بن نمير، فرشقوا أصحاب الحسين بالنبل حتّىٰ عقروا الخيل وجرحوا الفرسان والرجال[4].

---

(١) الارشاد ٢: ١٠٣، إعلام الورىٰ ١: ٤٦٢، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٠.

(٢) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٥٥).

(٣) تاريخ أبي مخنف ١: ٤٨٨، البداية والنهاية ٨: ١٥٨.

(٤) الارشاد ٢: ١٠٤، إعلام الورىٰ ١: ٤٦٣، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩١، سمط النجوم ←

وكان أبو الشعثاء يزيد بن زياد الكندي ممّن عدل إلىٰ جيش الحسين وهو من أشهر رماة زمانه. فلمّا تكاثر عليهم رمي النبال والسهام جثا بين يدي الحسين وأرسل مائة سهم لم يكد يخيب منها خمسة أسهم.. وقاتل حتّىٰ مات[1].

وكان الذين عدلوا إلىٰ عسكر الحسين أشدّ أنصاره عزمة في القتال وهجمة علىٰ الموت، ومنهم الحرّ بن يزيد الذي تقدّم ذكره.

فجاهد ما استطاع؛ ليقنع أصحابه الأوّلين بالكفّ عن حرب الحسين أو بالعدول إلىٰ صفّه.. وقام علىٰ فرسه يخطب أهل الكوفة ويزجرهم، فسكتوا هنيهة ثمّ رشقوه بالنبل فعقروا فرسه وجرحوه.. فما زال يطلب الموت ويتحرّىٰ من صفوفهم أكثفها جمعاً وأقتلها نبلاً حتّىٰ سقط مثخناً بالجراح وهو ينادي الحسين: «السلام عليكم يا أبا عبد الله»[2].

ولم يكن من أصحاب الحسين إلّا من يطلب الموت ويتحرّىٰ مواقعه وأهدافه..

فكان نافع بن هلال البجلي[3] يكتب اسمه علىٰ أفواق نبله ويرسلها فيقتل بها ويجرح، وقلّما يخطئ مرماه. فأحاطوا به وضربوه علىٰ ذراعيه

← العوالي ٣: ١٧٩.

(١) تاريخ أبي مخنف ١: ٤٨٢ ـ ٤٨٣، المنتظم ٥: ٣٤٥، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٣.

(٢) الإرشاد ٢: ١٠٠ و١٠٤، البداية والنهاية ٨: ١٨٠ ـ ١٨١ و١٨٢، سمط النجوم العوالي ٣: ١٧٨.

(٣) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٥٦).

حتىٰ كسرتا، ثمّ أسروه والدم يسيل من وجهه ويديه، فحسبوه يلين للوعيد ويجزع من التمثيل به، فأسمعهم ما يكرهون وراح يستزيد غيظهم، ويقول لهم:

ـ «لقد قتلت منكم اثني عشر رجلاً سوىٰ من جرحت، ولو بقيت لي عضد وساعد لزدت!»[1].

مصرع الحسين

واستهدف الحسين عليه السلام لأقواس القوم وسيوفهم، فجعل أنصاره يحمونه بأنفسهم ولا يقاتلون إلاّ بين يديه. وكلّما سقط منهم صريع أسرع إلى مكانه من يخلفه ليلقى حتفه على أثره.

فضاقت الفئة الكثيرة بالفئة القليلة، وسوّل لهم الضيق بما يعانون من ثباتها أن يقوّضوا الأخبية التي آوىٰ إليها النساء والأطفال؛ ليحيطوا بالعسكر القليل من جميع جهاته. ثمّ أخذوا في إحراقها، وأصحاب الحسين يصدّونهم ويدافعونهم، فرأىٰ عليه السلام أنّ اشتغال أصحابه بمنعهم يصرفهم عن الاشتغال بقتالهم، فقال لهم:

ـ «دعوهم يحرقونها.. فإنّهم إذا أحرقوها لا يستطيعون أن يجوزوا إليكم منها»[2].

وظلّ علىٰ حضور ذهنه وثبات جأشه في تلك المحنة المتراكبة التي

---

(١) تاريخ أبي مخنف ١: ٤٧٩، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٢، البداية والنهاية ٨: ١٨٤.

(٢) تاريخ أبي مخنف ١: ٤٧٦، تاريخ الطبري ٤: ٦٣٥، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩١.

تعصف بالصبر وتطيش بالألباب.. وهو جهد عظيم لا تحتويه طاقة اللحم والدم، ولا ينهض به إلّا أولو العزم من أندر من يلد آدم وحوّاء.

فإنّه ﷺ كان يقاسي جهد العطش والجوع والسهر ونزف الجراح ومتابعة القتال، ويلقي باله إلىٰ حركات القوم ومكائدهم، ويدير لرهطه ما يحبطون به تلك الحركات ويتّقون به تلك المكائد. ثمّ هو يحمل بلاءه وبلاءهم، ويتكاثر عليه وقر الأسىٰ لحظة بعد لحظة كلّما فجع بشهيد من شهدائهم، ولا يزال كلّما أُصيب عزيز من أُولئك الأعزّاء حمله إلىٰ جانب إخوانه وفيهم رمق ينازعهم وينازعونه، وينسون في حشرجة الصدور ما هم فيه، فيطلبون الماء ويحزّ طلبهم في قلبه كلّما أعياه الجواب، ويرجع إلىٰ ذخيرة بأسه فيستمدّ من هذه الآلام الكاوية عزماً يناهض به الموت ويعرض به عن الحياة.. ويقول في أثر كلّ صريع: «لا خير في العيش من بعدك»[1]، ويهدّف صدره لكلّ ما يلقاه.

وإنّه لفي هذا كلّه، وبعضه يهدّ الكواهل ويقصم الأصلاب.. إذا بالرماح والسيوف تنوشه من كلّ جانب، وإذا بالقتل يتعدّىٰ الرجال المقاتلين إلىٰ الأطفال والصبيان من عترته وآل بيته، وسقط كلّ من معه واحداً بعد واحد، فلم يبق حوله غير ثلاثة يناضلون دونه ويتلقّون الضرب عنه، وهو يسبقهم ويأذن لمن شاء منهم أن ينجو بنفسه وقد دنت الخاتمة ووضح المصير.

---

(١) مقاتل الطالبيين ٧٦. الإرشاد ٢: ١٠٦. إعلام الورىٰ ١: ٤٦٤. البداية والنهاية ٨: ١٥٨.

وكان غلام من آل الحسين ـ هو عبد الله بن الحسن أخيه ـ ينظر من الأخبية، فرأىٰ رجلاً يضرب عمّه، بالسيف ليصيبه حين أخطأ زميله، فهرول الغلام إلىٰ عمّه وصاح في براءة بالرجل:

ـ «يا ابن الخبيثة.. أتقتل عمّي ؟!».

فتعمّده الرجل بالسيف يريد قتله، فتلقّىٰ الغلام ضربته بيده، فانقطعت وتعلّقت بجلدها، فاعتنقه عمّه، وجعل يواسيه وهو مشغول بدفاع من يليه[1].

ثمّ سقط الثلاثة الذين بقوا معه، فانفرد وحده بقتال تلك الزحوف المطبقة عليه، وكان يحمل علىٰ الذين عن يمينه فيتفرّقون، ويشدّ علىٰ الخيل راجلاً ويشقّ الصفوف وحيداً، ويهابه القريبون فيبتعدون، ويهمّ المتقدّمون بالإجهاز عليه ثمّ ينكصون.. لأنّهم تحرّجوا من قتله، وأحبّ كلّ منهم أن يكفيه غيره مغبّة وزره، فغضب شمر بن ذي الجوشن، وأمر الرماة أن يرشقوه بالنبل من بعيد، وصاح بمن حوله:

ـ «ويحكم!.. ماذا تنتظرون بالرجل؟.. اقتلوه ثكلتكم أُمّهاتكم!».

فاندفعوا إليه تحت عيني شمر مخافة من وشايته وعقابه.. وضربه زرعة بن شريك التميمي علىٰ يده اليسرىٰ فقطعها، وضربه غيره علىٰ عاتقه فخرّ علىٰ وجهه، ثمّ جعل يقوم ويكبو وهم يطعنونه بالرماح ويضربونه بالسيف حتّىٰ سكن حراكه[2].

---

(١) مقاتل الطالبيين ٧٧، إعلام الورىٰ ١: ٤٦٧، البداية والنهاية ٨: ١٨٦.

(٢) راجع: الأخبار الطوال ٢٥٨، الفتوح لابن أعثم ٥: ٢١٧ ـ ٢١٩، الإرشاد ٢: ١١١ ـ ←

ووجدت بعد موته ﷺ ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة غير إصابة النبل والسهام، وأحصاها بعضهم في ثيابه فإذا هي مائة وعشرين[1].

ونزل خولي بن يزيد الأصبحي ليحتزّ رأسه، فملكته رعدة في يديه وجسده، فنحّاه شمر وهو يقول له:

ـ «فتّ الله في عضدك!».

واحتزّ الرأس[2] وأبىٰ إلّا أن يسلّمه في رعدته سخرية به وتمادياً في الشرّ وتحدّياً به لمن عسىٰ أن ينعاه عليه!

وقضىٰ الله علىٰ هذا الخبيث الوضر[3] أن يصف نفسه بفعله لا يطرقه الشكّ والاتّهام، فكان ضغنه هذا كلّه ضغناً لا معنىٰ له ولا باعث إليه إلّا أنّه من أُولئك الذين يخزيهم اللؤم فيسلّيهم بعض السلوىٰ أن يؤلموا به الكرام، ويجعلوه تحدّياً مكشوفاً كأنّه معرّض للزهو والفخار، وهم يعلمون أنّه لا يفخر به ولا يزهى! ولكنّهم يبلغون به مأربهم إذا آلموا به من يحسّ فيهم الضعة والعار.

← ١١٢، البدء والتاريخ ٦: ١١، المنتظم ٥: ٣٤٠ ـ ٣٤١، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٥، تذكرة الخواص ٢٥٣، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٦٥ ـ ٢٦٦، مرآة الجنان ١: ١٠٧، سمط النجوم العوالي ٣: ١٨٠.

(١) انظر المصادر المتقدّمة.

(٢) راجع أيضاً المصادر المتقدّمة.

(٣) الوضر: وسخ الدسم واللبن، أو غسالة السقاء والقصعة ونحوهما... وما تشمّه من ريح تجدها من طعام فاسد. (القاموس المحيط ٢: ١٦٠).

وبقيت ذروة من الحميّة يرتفع إليها مرتفع، وبقيت وهدة من الخسّة ينحدر إليها منحدرون كثيرون.

فلم يكن في عسكر الحسين كلّه إلّا رمق واحد من الحياة باق في رجل طعين مثخن بالجراح، تركوه ولم يجهزوا عليه لظنّهم أنّه قد مات.

ذلك الرجل الكريم هو سويد بن أبي المطاع[1] أصدق الأنصار وأنبل الأبطال.

فأبىٰ الله لهذا الرمق الضعيف أن يفارق الدنيا بغير مكرمة يتمّ بها مكرمات يومه، وتشتمل عليها النفوس الكثيرات. فإذا هي حسبها من شرف مجد وثناء.

تنادى القوم بمصرع الحسين، فبلغت صيحتهم مسمعه الذي أثقله النزع وأوشك أن يجهل ما يسمع، فلم يخطر له أن يسكن لينجو وقد ذهب الأمل وحمّ الختام، ولم يخطر له أنّه ضعيف مَنزوف يعجّل به القوم قبل أن ينال من القوم أهون منال، ولم يحسب حساب شيء في تلك اللحظة العصيبة إلّا أن يجاهد في القوم بما استطاع بالغاً ما بلغ من ضعف هذا المستطاع.

فالتمس سيفه فإذا هم قد سلبوه، ونظر إلىٰ شيء يجاهد به فلم تقع يده إلّا علىٰ مدية صغيرة لا غناء بها مع السيوف والرماح، ولكنّه قنع بها وغالب الوهن والموت، ثمّ وثب علىٰ قدميه من بين الموتىٰ وثبة المستيئس

---

(١) اسمه: سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي، كما في منتهىٰ الآمال ١: ٦٧١.
وقيل: اسمه سويد بن المطاع، كما في الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٥.

الذي لا يفرّ من شيء ولا يبالي من يصيب وما يصاب. فتولّاهم الذعر وشلّت أيديهم التي كانت خليقة أن تمتدّ إليه. وانطلق هو يثخن فيهم قتلاً وجرحاً حتّىٰ أفاقوا له من ذعرهم ومن شغلهم بضجّتهم وغيمتهم. فلم يقووا عليه حتّىٰ تعاون علىٰ قتله رجلان[1]..

فكان هذا حقّاً هو الكرم والمجد في عسكر الحسين إلىٰ الرمق الأخير.

خسّة ووحشيّة

وكان حقّاً لا مجازاً ما توخّيناه حين قلنا: إنّهما طرفان متناقضان، وإنّها حرب بين أشرف ما في الإنسان وأوضع ما في الإنسان.

فبينما كان الرجل في عسكر الحسين ينهض من بين الموتىٰ ولا يضنّ بالرمق الأخير في سبيل إيمانه، إذا بالآخرين يقترفون أسوأ المآثم في رأيهم ـ قبل رأي غيرهم ـ من أجل غنيمة هيّنة لا تسمن ولا تغني من جوع. فلو كان كلّ ما في عسكر الحسين ذهباً ودرّاً لما أغنىٰ عنهم شيئاً وهم قرابة أربعة آلاف.. ولكنّهم ما استيقنوا بالعاقبة ـ قبل أن يسلم الحسين نفسه الأخير ـ حتّىٰ كان همّهم إلىٰ الأسلاب التي يطلبونها حيث وجودها، فأهرعوا إلىٰ النساء من بيت رسول الله ينازعونهنّ الحلىٰ والثياب التي علىٰ أجسادهنّ[2]، لا يزعهم عن حرمات رسول الله وازع من دين أو مروءة.

---

(١) هما: عروة بن بكار التغلبي، وزيد بن ورقاء.

راجع منتهىٰ الآمال ١: ٦٧١.

(٢) الارشاد ٢: ١١٢، البداية والنهاية ٨: ١٨٨.

وانقلبوا إلىٰ جثّة الحسين يتخطّفون ما عليها من كساء تخلّلته الطعون حتّىٰ أوشكوا أن يتركوها علىٰ الأرض عارية، لولا سراويل لبسها عليه السلام ممزّقة وتعمّد تمزيقها ليتركوها علىٰ جسده ولا يسلبوها.

ثمّ ندبوا عشرة من الفرسان[1] يوطئون جثّته الخيل كما أمرهم ابن زياد، فوطئوها مقبلين ومدبرين حتّىٰ رضّوا صدره وظهره[2].

وقد يساق الغنم هنا معذرة للإثم بالغاً ما بلغ هذا من العظم وبالغاً ما بلغ ذلك من التفاهة، لكنّهم في الحقيقة قد ولعوا بالشرّ للشرّ من غير ما طمع في مغنم كبير أو صغير.

فحرّموا الري علىٰ الطفل الظامئ العليل وأرسلوا إلىٰ أحشائه السهام بديلاً من الماء، وقتلوا من لا غرض في قتله، وروّعوا من لا مكرمة في ترويعه.. فربّما خرج الطفل من الأخبية ناظراً وجلاً لا يفقه ما يجري حوله، فينقضّ عليه الفارس الرامح فوق فرسه ويطعنه الطعنة القاضية بمرأى من الأمّ والأُخت والعمّة والقريبة.

ولم تكن في الذي حدث من هذا القبيل مبالغة يزعمونها كما زعم أُجراء الذمم بعد ذلك عن حوادث كربلاء وجرائر كربلاء.

---

(١) هم: إسحاق بن حُوية، وأخنس بن مرثد، وأُسيد بن مالك، وحُكيم بن الطفيل السنبسي، وعمرو بن صُبيح الصيّداي، ورجاء بن منقذ العبدي، وسالم بن خيثمة الجعفي، وواحظ بن ناعم، وصالح بن وهب الجعفي، وهانئ بن ثُبيت الحضرمي. انظر بحار الأنوار ٤٥: ٥٩.

(٢) إعلام الورىٰ ١: ٤٧٠، البداية والنهاية ٨: ١٨٩.

فقد قتل فعلاً في كربلاء كلّ كبير وصغير من سلالة علي ﷺ، ولم ينج من ذكورهم غير الصبي علي زين العابدين.

وفي ذلك يقول سراقة الباهلي:

عين جودي بعبرة وعويل واندبي ما ندبت آل الرسول
سبعة منهم لصلب علي قد أُبيدوا وسبعة لعقيل[١]

وما نجا علي زين العابدين إلّا بأعجوبة من أعاجيب المقادير؛ لأنّه كان مريضاً علىٰ حجور النساء يتوقّعون له الموت هامة اليوم أو غد، فلمّا همّ شمر بن ذي الجوشن بقتله نهاه عمر بن سعد عنه[٢] إمّا حياءً من قرابة الرحم أمام النساء ـ وقد كان له نسب يجتمع به في عبد مناف ـ وإمّا توقّعاً لموته من السقم المضني الذي كان يعانيه.. فنجا بهذه الأُعجوبة في لحظة عابرة، وحفظ به نسل الحسين من بعده، ولولا ذلك لباد.

ثمّ قطعوا الرؤوس ورفعوها أمامهم علىٰ الحراب، وتركوا الجثث ملقاة علىٰ الأرض لا يدفنونها ولا يصلّون عليها كما صلّوا علىٰ جثث قتلاهم، ومرّوا بالنساء حواسر من طريقها، فولولن باكيات، وصاحت زينب (رضي الله عنها):

ـ «يا محمّداه!.. هذا الحسين بالعراء، وبناتك سبايا، وذرّيتك مقتّلة تسفي عليها الصبا»[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ١٦٢.

(٢) الإرشاد ٢: ١١٢ ـ ١١٣، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٥، تذكرة الخواص ٢٥٨.

(٣) إعلام الورىٰ ١: ٤٧٠، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٥.

فوجم القوم مبهوتين وغلبت دموعهم قلوبهم .. فبكىٰ العدو كما بكىٰ الصديق !.

* * *

لم تنقض في ذلك اليوم خمسون سنة علىٰ انتقال النبي محمّد ﷺ من هذه الدنيا إلىٰ حظيرة الخلود، محمّد الذي برّ بدينهم ودنياهم، فلم ينقل من الدنيا حتّىٰ نقلهم من الظلمة إلىٰ النور، ومن حياة التيه في الصحراء إلىٰ حياة عامرة يسودون بها أُمم العالمين. ثمّ هذه خمسون سنة لم تنقض بعد، وإذا هم في موكب جهير يجوب الصحراء إلىٰ مدينة بعد مدينة سباياه بنات محمّد حواسر علىٰ المطايا، وأعلامه رؤوس أبنائه علىٰ الحراب، وهم داخلون به دخول الظافرين !

وبقيت الجثث حيث نبذوها بالعراء «تسفي عليها الصبا»[1].

فخرج لها مع الليل جماعة من بني أسد كانوا ينزلون بتلك الأنحاء .. فلمّا أمنوا العيون بعد يوم أو يومين سروا مع القمراء إلىٰ حيث طلعت بهم علىٰ منظر لايطلع القمر علىٰ مثله شرفاً ولا وحشةً في الآباد بعد الآباد.

وكان يوم المقتل في العاشر من المحرّم .. فكان القمر في تلك الليلة علىٰ وشك التمام .. فحفروا القبور علىٰ ضوئه، وصلّوا علىٰ الجثث ودفنوها، ثمّ غادروها هناك في ذمّة التأريخ[2].

---

(١) سفت الريحُ التراب: ذَرّته. وقيل: حملته. والصبا: ريح معروفة تقابل الدبور.

راجع لسان العرب ٦: ٢٩٠ و٧: ٢٨٤.

(٢) الإرشاد ٢: ١١٤، البداية والنهاية ٨: ١٨٩.

فهي اليوم مزار يطيف به المسلمون متّفقين ومختلفين، ومن حقّه أن يطيف به كلّ إنسان؛ لأنّه عنوان قائم لأقدس ما يشرف به هذا الحي الآدمي بين سائر الأحياء.

فما أظلّت قبّة السماء مكاناً لشهيد قط هو أشرف من تلك القباب بما حوته من معنىً الشهادة وذكرىً الشهداء.

جريرة كربلاء

جريرة كربلاء

موطن الرأس

اتّفقت الأقوال في مدفن جسد الحسين عليه السلام[1]، وتعدّدت أيّما تعدّد في موطن الرأس الشريف:

فمنها: أنّ الرأس قد أُعيد بعد فترة إلىٰ كربلاء، فدفن مع الجسد فيها[2].

ومنها: أنّه أُرسل إلىٰ عمرو بن سعيد بن العاص[3] والي يزيد علىٰ المدينة، فدفنه بالبقيع عند قبر أُمّه فاطمة الزهراء[4].

ومنها: أنّه وجد بخزانة ليزيد بن معاوية بعد موته، فدفن بدمشق

---

(١) نزهة المشتاق ٢: ٦٦٨، إعلام الورىٰ ١: ٤٧٠، البداية والنهاية ٨: ٢٠٣.

(٢) رسائل المرتضىٰ ٣: ١٣٠، تذكرة الخواص ٢٦٥.

(٣) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٥٧).

(٤) ذكر هذا القول في: الردّ علىٰ المتعصّب العنيد ٤٩ ـ ٥١، المنتظم ٥: ٣٤٤، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٦٦، تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات ٦١ هـ ـ ٨٠ هـ) ٢٠، مرآة الجنان ١: ١٠٩، البداية والنهاية ٨: ٢٠٤، نور الأبصار ٢٦٩.

عند باب الفراديس[1].

ومنها: أنّه كان قد طيف به في البلاد حتّىٰ وصل إلىٰ عسقلان[2]، فدفنه أميرها هناك، وبقي بها حتّىٰ استولىٰ عليها الإفرنج في الحروب الصليبيّة.. فبذل لهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمصر[3] ثلاثين ألف درهم علىٰ أن ينقله إلىٰ القاهرة حيث دفن بمشهده المشهور[4].

قال الشعراني[5] في طبقات الأولياء: «إنّ الوزير صالح طلائع بن رزّيك خرج هو وعسكره حفاة إلىٰ الصالحيّة، فتلقّىٰ الرأس الشريف، ووضعه في كيس من الحرير الأخضر علىٰ كرسي من الأبنوس، وفرش تحته المسك والعنبر والطيب، ودفن في المشهد الحسيني قريباً من خان

---

(١) ذُكر هذا القول في: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ٣: ٢١٤، المنتظم ٥: ٣٤٤، البداية والنهاية ٨: ٢٠٤، سمط النجوم العوالي ٣: ١٩٧ ـ ١٩٨.

وباب الفراديس: باب من أبواب دمشق، والفراديس عند أهل الشام هي الكروم والبساتين. (معجم البلدان ٣: ٤٢٠).

(٢) عسقلان: مدينة بالشام من أعمال فلسطين علىٰ ساحل البحر بين غزّة وبيت جبرين، ويقال لها: عروس الشام، وقد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين، وحدّث بها خلق كثير، ولم تزل عامرة حتّىٰ استولىٰ عليها الإفرنج سنة ٥٤٨ هـ، وبقيت في أيديهم خمساً وثلاثين سنة إلىٰ أن استنقذها صلاح الدين يوسف بن أيّوب منهم سنة ٥٨٣ هـ، ثمّ قوي الإفرنج وفتحوا عكّا وساروا نحو عسقلان، فخشي أن يتمّ عليها ما تمّ علىٰ عكّا، فخرّبها سنة ٥٨٧ هـ. (معجم البلدان ٣: ٣٢٧).

(٣) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٥٨).

(٤) نور الأبصار ٢٦٩، ولاحظ رحلة ابن جبير ١٩ و٢٤٢.

(٥) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٥٩).

الحنبلي في القبر المعروف»[١].

وقال السائح الهروي[٢] في الإشارات إلىٰ أماكن الزيارات: «وبها ـ أي: عسقلان ـ مشهد الحسين عليه السلام، كان رأسه بها، فلمّا أخذتها الفرنج نقله المسلمون إلىٰ مدينة القاهرة سنة تسع وأربعين وخمس مائة».

وفي رحلة ابن بطّوطة[٣]: أنّه سافر إلىٰ عسقلان «وبه المشهد الشهير حيث كان رأس الحسين بن علي عليه السلام قبل أن ينقل إلىٰ القاهرة»[٤].

وذكر سبط ابن الجوزي[٥] ـ فيما ذكر من الأقوال المتعدّدة ـ: بأنّ الرأس بمسجد الرقّة[٦] علىٰ الفرات، وأنّه لمّا جيء به بين يدي يزيد بن معاوية قال: «لأبعثنّه إلىٰ آل أبي معيط عن رأس عثمان»، وكانوا بالرقّة، فدفنوه في بعض دورهم، ثمّ دخلت تلك الدار بالمسجد الجامع، وهو إلىٰ جانب سوره هناك[٧].

فالأماكن التي ذكرت بهذا الصدد ستّة في ستّ مدن هي: المدينة،

---

(١) حُكي عنه في نور الأبصار ٢٦٩.

(٢) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٦٠).

(٣) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٦١).

(٤) رحلة ابن بطّوطة ٦٠.

(٥) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٦٢).

(٦) الرقّة: مدينة مشهورة علىٰ الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام معدودة في بلاد الجزيرة.

(معجم البلدان ٢: ٤١٣ ـ ٤١٤).

(٧) تذكرة الخواص ٢٦٦.

وكربلاء، والرقّة، ودمشق، وعسقلان، والقاهرة، وهي تدخل في بلاد: الحجاز والعراق والشام وبيت المقدس والديار المصريّة.

فإن لم تكن هي الأماكن التي دفن فيها رأس الحسين، فهي الأماكن التي تحيا بها ذكراه لا مراء.

وللتأريخ اختلافات كثيرة، نسمّيها بالاختلافات اللفظيّة أو العرضيّة؛ لأنّ نتيجتها الجوهريّة سواء بين جميع الأقوال، ومنها الاختلاف علىٰ مدفن رأس الحسين عليه السلام.

فأيّاً كان الموضع الذي دفن في ذلك الرأس الشريف، فهو في كلّ موضع أهل للتعظيم والتشريف.

وإنّما أصبح الحسين ـ بكرامة الشهادة وكرامة البطولة وكرامة الأسرة النبويّة ـ معنىٰ يحضره الرجل في صدره وهو قريب أو بعيد من قبره، وإنّ هذا المعنىٰ لفي القاهرة وفي عسقلان وفي دمشق وفي الرقّة وفي كربلاء وفي المدينة وفي غير تلك الأماكن سواء.

وقاحة ابن زياد

ويقلّ الاختلاف أو يسهّل التجاوز عنه كذلك فيما حدث بين فاجعة كربلاء ولقاء يزيد.

فالمتواتر الموافق لسير الأمور أنّهم حملوا الرؤوس والنساء إلىٰ الكوفة، فأمر ابن زياد أن يطاف بها في أحياء الكوفة ثمّ ترسل إلىٰ يزيد[1].

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٧ ـ ٢٩٨، سمط النجوم العوالي ٣: ١٨١.

وكانت فعلة يدارونها بالتوقّع فيها على سنّة المأخوذ الذي لا يملك مداراة ما فعل.

فبات خولي بن يزيد ليلته بالرأس في بيته، وهو يمنّي نفسه بغنى الدهر، كما قال. فأقسمت امرأة له حضرميّة[1]: «لا يجمع رأسها ورأسه بيت وفيه رأس ابن رسول الله»[2].

ثمّ غدا إلى قصر ابن زياد وكان عنده زيد بن أرقم[3] من أصحاب رسول الله.. فرآه ينكث[4] ثنايا الرأس حين وُضع أمامه في أُجانة، فصاح به مغضباً:

ـ «ارفع قضيبك عن هاتين الثنيّتين.. فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله على هاتين الشفتين يقبّلهما»..

وبكى..

فهزئ به ابن زياد، وقال له:

ـ «لولا أنّك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك!».

فخرج زيد وهو ينادي في الناس غير حافل بشيء:

ـ «أنتم معشر العرب العبيد بعد اليوم.. قتلتم ابن فاطمة وآثرتم ابن مرجانة، فهو يقتل شراركم ويستعبد خياركم»[5].

---

(١) اسمها النوار، كما في منتهى الآمال ١: ٧١٧.

(٢) تاريخ أبي مخنف ١: ٤٩٣ ـ ٤٩٤، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٦.

(٣) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٦٣).

(٤) النكث: الضرب بقضيب مع التأثير في المضروب. (صحاح اللغة ١: ٢٦٩).

(٥) الأخبار الطوال ٢٥٩ ـ ٢٦٠، الإرشاد ٢: ١١٤ ـ ١١٥، شرح نهج البلاغة لابن ←

وأُدخلت السيّدة زينب بنت علي (رضي الله عنها)، وعليها أرذل ثيابها، ومعها عيال الحسين وإماؤها.. فجلست ناحية لا تتكلّم ولا تنظر إلىٰ ما أمامها. فسأل ابن زياد:

ـ «من هذه التي انحازت ناحية ومعها نساؤها؟».

فلم تجبه.. فأعاد سؤاله ثلاثاً وهي لا تجيبه، ثمّ أجابت عنها إحدىٰ الإماء:

ـ «هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ».

فاجترأ ابن زياد قائلاً:

ـ «الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأبطل أُحدوثتكم».

وقد كانت زينب (رضي الله عنها) حقّاً جديرة بنسبها الشريف في تلك الرحلة الفاجعة التي تهدّ عزائم الرجال.. كانت كأشجع وأرفع ما تكون حفيدة محمّد وبنت علي وأُخت الحسين. وكتب لها أن تحفظ بشجاعتها وتضحيتها بقيّة العقب الحسيني من الذكور.. ولولاها لانقرض من يوم كربلاء.

فلم تمهل ابن زياد أن ثارت به قائلة:

ـ «الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه وطهّرنا من الرجس تطهيراً.. إنّما يفضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا، والحمد لله».

← أبي الحديد ١٠: ١٧٩، إعلام الورىٰ ١: ٤٧١، الردّ علىٰ المتعصّب العنيد ٤٣، المنتظم ٥: ٣٤١، تذكرة الخواص ٢٥٧، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٦٦.

وفي البداية والنهاية (٨: ١٩٧) ذكر: أنّ المتحدّث هو أبو برزة الأسلمي.

فقال ابن زياد:

«قد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة».

فغلبها الحزن والغيظ من هذا التشفّي الذي لا ناصر لها منه، وقالت:

ـ «لقد قتلت كهلي وأبدت أهلي وقطعت فرعي واجتثثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت».

فتهاتف ابن زياد ساخراً، وقال:

ـ «هذه سجّاعة.. لعمري لقد كان أبوها سجّاعاً شاعراً!».

فقالت زينب:

ـ «إنّ لي عن السجاعة لشغلاً.. ما للمرأة والسجاعة؟»[1].

علي زين العابدين

ثمّ نظر ابن زياد إلىٰ غلام عليل هزيل مع السيّدة زينب، فسأله:

ـ «من أنت؟»..

قال: «علي بن الحسين».

قال: «أوَ لم يقتل الله علي بن الحسين؟»..

قال: «كان لي أخ يسمّىٰ عليّاً قتله الناس».

فأعاد ابن زياد قوله: «الله قتله».

---

(١) الإرشاد ٢: ١١٥ ـ ١١٦، إعلام الورىٰ ١: ٤٧١ ـ ٤٧٢، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٦ ـ ٢٩٧، البداية والنهاية ٨: ١٩٣، سمط النجوم العوالي ٣: ١٨١.

فقال علي: « ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[١]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٢] ».

فأخذت ابن زياد عزّة الإثم، وانتهره قائلاً:

ـ « ويك جرأة لجوابي! ».

وصاح الخبيث الأثيم بجنده:

ـ « اذهبوا به، فاضربوا عنقه ».

فجاشت بعمّة الغلام قوّة لا يردّها سلطان ولا يرهبها سلاح ؛ لأنّها قوّة من هان لديه الموت وهانت عليه الحياة. فاعتنقت الغلام اعتناق من اعتزم ألّا يفارقه إلّا وهو جثّة هامدة، وأقسمت: « لئن قتلته لتقتلني معه ».

فارتدّ ابن زياد مشدوهاً، وهو يقول متعجّباً:

ـ « يا للرحم! إنّي لأظنّها ودّت أنّي قتلتها معه ».

ثمّ قال: « دعوه لما به »[٣].. كأنه حسب أنّ العلّة قاضية عليه.

وعلي هذا هو زين العابدين جدّ كلّ منتسب إلىٰ الحسين ﷺ، وكان ـ كما قال ابن سعد[٤] في الطبقات ـ: « ثقة كثير الحديث عالياً رفيعاً ورعاً »[٥].

---

(١) سورة الزمر ٣٩: ٤٢.

(٢) سورة آل عمران ٣: ١٤٥.

(٣) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٥: ٢١٢، إعلام الورىٰ ١: ٤٧٢ ـ ٤٧٣، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٧.

(٤) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٦٤).

(٥) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٥: ٢٢٢. ووردت فيه زيادة كلمة: (مأموناً) بعد كلمة: (ثقة).

وكما قال يحيىٰ بن سعيد[١]: «أفضل هاشمي رأيته في المدينة»[٢].

ولولا استماتة عمّته كما ترىٰ، لقد كانت تذهب بهذه البقيّة الباقية كلمة علىٰ شفتي ابن زياد!.

الرأس عند يزيد

ولمّا قضىٰ الخبيث نهمة كيده من الطواف برأس الحسين في الكوفة وأرباضها[٣]، أنفذه ورؤوس أصحابه إلىٰ دمشق مرفوعة علىٰ الرماح، ثمّ أرسل النساء والصبيان علىٰ الأقتاب، وفي الركب علي زين العابدين مغلول إلىٰ عنقه يقوده شمر بن ذي الجوشن ومحضر بن ثعلبة.. فتلاحق الركبان في الطريق ودخلا الشام معاً إلىٰ يزيد[٤].

---

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٦٥).

(٢) لاحظ: تهذيب الكمال ٢٠: ٣٨٧، تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٩.

(٣) الرَبض: ما حول مدينة أو قصر من المساكن للجند أو غيرهم. (العين للفراهيدي ٨: ٣٦).

(٤) اختلف أهل التواريخ في من قاد الركب الزينبي إلىٰ يزيد، وكذلك اختلفوا في اسم الشخص الواحد، والأسماء التي وردت كالآتي: محفز بن ثعلبة وشمر، مخفر بن ثعلبة مع شمر، مُجفر بن ثعلبة العائذي مع شمر، زحر بن قيس مع محقن بن ثعلبة وشمر، زفر بن قيس، زحر بن قيس مع جماعة، أبو بردة وطارق وجماعة، زحر بن قيس وأبو بردة بن عوف الأزدي وطارق بن ضبان الأزدي.

راجع: تاريخ أبي مخنف ١: ٤٩٧، الأخبار الطوال ٢٦٠، الإرشاد ٢: ١١٩، المنتظم ٥: ٣٤١، البداية والنهاية ٨: ١٩١.

وتكرّر منظر القصر بالكوفة في دمشق عند يزيد.

ولا نستغرب أن يتكرّر بعضه حتّىٰ يظنّ أنّه قد وقع في التأريخ خلط بين المنظرين؛ لأن المناسبة في هذا المقام تستوحي ضرباً واحداً من التعقيب وضرباً واحداً من الحوار.

فارتاع من بمجلس يزيد من نبأ المقتلة في كربلاء حين بلغتهم، وقال يحيىٰ بن الحكم[1] ـ وهو من الأمويين ـ:

هـــامٌ بجـــنب الطـــفّ أدنىٰ قـــرابـــة
من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل[2]

سمـــيّة أمـــسىٰ نســـلها عـــدد الحـصىٰ
وبـنت رسـول الله ليست بـذي نسـل[3]

فأسكته يزيد، وقال ـ وهو يشير إلىٰ الرأس وينكث بقضيب في يده ـ: «أتدرون من أين أُتي هذا؟.. إنّه قال: أبي علي خير من أبيه، وأُمّي

---

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٦٦).

(٢) الوغل: المدّعي نسباً ليس منه. (لسان العرب ١٥: ٣٥١).

(٣) ورد اسم الشاعر كما في المتن ـ أي: يحيىٰ بن الحكم ـ في: الإرشاد ٢: ١١٩، إعلام الورىٰ ١: ٤٧٤، كفاية الطالب ٤٣٢.

وورد باسم: عبد الرحمان بن الحكم في: الأغاني ١٣: ٢٦٤، تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات ٦١ هـ ـ ٨٠ هـ) ١٨، سمط النجوم العوالي ٣: ١٨٨.

كما وردت بعض الاختلافات في البيتين المذكورين، فراجع بالإضافة إلىٰ ما تقدّم: الكامل في التاريخ ٣: ٣٠١، البداية والنهاية ٨: ١٩٢.

فاطمة خير من أُمّه، وجدّي رسول الله خير من جدّه، وأنا خير منه وأحقّ بهذا الأمر.. فأمّا أبوه فقد تحاجّ أبي وأبوه إلىٰ الله وعلم الناس أيّهما حكم له، وأمّا أُمّه فلعمري فاطمة بنت رسول الله خير من أُمّي، وأمّا جدّه فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرىٰ لرسول الله فينا عدلاً ولا ندّاً، ولكنّه أُتي من قبل فقهه، ولم يقرأ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾»[1].

وهو كلام ينسب مثله إلىٰ معاوية في ردّه علىٰ حجج علي في الخلافة[2].. ولعلّ يزيد قد استعاره من كلام أبيه وزاد عليه.

ونظر بعض أهل الشام إلىٰ السيّدة فاطمة بنت الحسين[3] ـ وكانت جارية وضيئة ـ فقال ليزيد: «هب لي هذه». فأرعدت وأخذت بثياب عمّتها.. فكان لعمّتها في الذود عنها موقف كموقفها بقصر الكوفة ذياداً عن أخيها زين العابدين، وصاحت بالرجل:

ـ «كذبت ولؤمت.. ما ذلك لك ولا له».

فتغيّظ يزيد، وقال: «كذبت، إنّ ذلك لي.. ولو شئت لفعلت».

قالت: «كلّا والله.. ما جعل الله لك ذلك، إلّا أن تخرج من ملّتنا

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٦٥٧ ـ ٦٥٨، المنتظم ٥: ٣٤٣، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٩، سمط النجوم العوالي ٣: ١٨٣.

والآية من سورة آل عمران ٣: ٢٦.

(٢) الكامل في اللغة والأدب ١: ٢٢٢.

(٣) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٦٧).

وتدين بغير ديننا».

فاشتدّ غيظ يزيد، وصاح بها: «إيّاي تستقبلين بهذا؟.. إنّما خرج من الدين أبوك وأخوك!».

قالت: «بدين الله ودين أبي وأخي وجدّي اهتديت أنت وأبوك وجدّك».

فلم يجد جواباً غير أن يقول: «بل كذبت يا عدوّة الله!».

فقالت: «أنت أمير تشتم ظالماً، وتقهر بسلطانك».

فأطرق وسكت[١].

وأُدخل علي بن الحسين مغلولاً، فأمر يزيد بفكّ غلّه، وقال له:

ـ «إيه يا ابن الحسين!.. أبوك قطع رحمي وجهل حقّي ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما رأيت».

قال علي:

ـ « ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ »[٢]، فتلا يزيد الآية: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[٣]. ثمّ زوّى وجهه وترك خطابه[٤].

---

(١) تاريخ أبي مخنف ١: ٥٠٠، الإرشاد ٢: ١٢١، المنتظم ٥: ٣٤٣ ـ ٣٤٤، البداية والنهاية ٨: ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٢) سورة الحديد ٥٧: ٢٢ ـ ٢٣.

(٣) سورة الشورىٰ ٤٢: ٣٠.

(٤) إعلام الورىٰ ١: ٤٧٤، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٩.

وكان لقاء نساء يزيد خيراً من لقائه .. فواسين السيّدة زينب والسيّدة فاطمة ومن معهما، وجعلن يسألنهن عمّا سلبنه بكربلاء، فيرددن إليهنّ مثله وزيادة عليه[1].

وأحبّ يزيد أن يستدرك بعض ما فاته، فلجأ إلىٰ النعمان بن بشير واليه الذي عزله من الكوفة لرفقه بدعاة الحسين، وأمره أن يسيّر آل الحسين إلىٰ المدينة ويجهّزهم بما يصلحهم[2].

وقيل: إنّه ودّع زين العابدين، وقال له: «لعن الله ابن مرجانة .. أمّا والله لو أنّي صاحب أبيك ما سألني خصلة أبداً إلّا أعطيته إيّاها، ولدفعت الحتف عنه بكلّ ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي. ولكنّ الله قضىٰ ما رأيت يا بنيّ!.. كاتبني من المدينة، وأنهِ إليّ كلّ حاجة تكون لك»[3].

تبعة يزيد

والناس في تقدير التبعة التي تصيب يزيد من عمل ولاته مشارب وأهواء، يرجع كلٌّ منهم إلىٰ مصدر من مصادر الرواية، فيبني عليه حكمه.

---

(١) تاريخ أبي مخنف ١: ٤٩٨ و ٥٠٠، المنتظم ٥: ٣٤٤.

(٢) تاريخ أبي مخنف ١: ٥٠٠، العقد الفريد ٥: ١٣١، الإرشاد ٢: ١٢٢، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٦٦، البداية والنهاية ٨: ١٩٥، سمط النجوم العوالي ٣: ١٨٣.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٦٥٦، إعلام الورىٰ ١: ٤٧٥، الكامل في التاريخ ٣: ٣٠٠.

وقد علّق العاصمي علىٰ هذه الرواية بقوله: (أقول: بل لعن الله ابن ميسون قبل ابن سمية وبعده إلىٰ يوم يبعثون). (سمط النجوم العوالي ٣: ١٨٢).

فمنهم من يرىٰ: أنّه بريء من التبعة كلّ البراءة[١]، ومنهم من يرىٰ: أنّه أقرّ فعلة ابن زياد ثمّ ندم عليها[٢]، ومنهم من يقول: إنّه قد أمر بكلّ ما اقترفه ابن زياد وتوقّع حدوثه ولم يمنعه وهو مستطيع أن يمنعه لو شاء[٣].

والثابت الذي لا جدال فيه أنّ يزيد لم يعاقب أحداً من ولاته كبر أو صغر علىٰ شيء ممّا اقترفوه في فاجعة كربلاء، وأنّ سياسته في دولته ـ بعد ذلك ـ كانت هي سياسة أُولئك الولاة علىٰ وتيرة واحدة ممّا حدث في كربلاء.

فاستباحة المدينة ـ دار النبي ﷺ ـ وتحكيم مسلم بن عقبة في رجالها ونسائها، ليست بعمل رجل ينكر سياسة كربلاء بفكره وقلبه، أو سياسة رجل تجري هذه الحوادث علىٰ نقيض تدبيره وشعوره، ومازال يزيد وأخلافه يأمرون الناس بلعن علي والحسين وآلهما علىٰ المنابر في أرجاء الدولة الإسلاميّة، ويستفتون من يفتيهم بإهدار دمهم وصواب عقابهم بما أصابهم. ومن تجب لعنته علىٰ المنابر بعد موته بسنين، فقتله جائز أو واجب في رأي لاعنيه.

ومن أفرط في سوء الظنّ رجح عنده أنّ عبيد الله كان علىٰ إذن

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣٠٠، البداية والنهاية ٨: ١٩١، أغاليط المؤرّخين ١٢١ وما بعدها.

(٢) هذا هو قول أبي عبيدة معمر بن المثنّىٰ، كما في البداية والنهاية ٨: ٢٣، ولاحظ تاريخ الطبري ٥: ٢٦.

(٣) تذكرة الخواص ٢٩٠ ـ ٢٩٢، سمط النجوم العوالي ٣: ١٨٢.

مستور بكلّ ما صنع، ويملي لهم في هذا الظنّ أنّ استئصال ذرّية الحسين من الذكور خطّة تهمّ يزيد لوراثة الملك في بيته وعقبه، ويفيده أن يقدم عليها مستتراً من وراء ولادته، ثمّ ينصل منها ويلقي بتبعتها عليهم.

ولو لم يكن ذلك لكان عجيباً أن توكل حياة الحسين وأبنائه وآله إلىٰ والي الكوفة بغير توجيه من سيّده ومولاه.. فقد كان الزمن الذي انقضىٰ منذ خروج الحسين من مكّة إلىٰ نزوله بالطفّ علىٰ الفرات كافياً لبلوغ الخبر إلىٰ يزيد ورجوع الرسل بالتوجيه الضروري في هذا الموقف لوالي الكوفة وغيره من الولاة، فإن لم يكن الأمر تدبيراً متّفقاً عليه فهو المساءة التي تلي ذلك التدبير في السوء والشناعة، وهي مساءة التهاون الذي لا تستقيم علىٰ مثله شؤون دولة.

وقد روىٰ ابن شريح اليشكري: أنّ عبيد الله صارحه بعد موت يزيد، فقال: «أمّا قتلي الحسين فإنّه أشار إليّ يزيد بقتله أو قتلي فاخترت قتله»[١]، وهو كلام متّهم لاتقوم به حجّة علىٰ غائب قضىٰ نحبه.

ويبدو لنا أنّ الظنّ بتهاون يزيد هنا أقرب إلىٰ الظنّ بإيعازه وتدبيره[٢]؛ لأنّه جرىٰ عليه طوال حكمه وألقىٰ حبل ولاته علىٰ غاربهم وهو لاهٍ بصيده وعبثه، وأنّه ربّما ارتاح في سريرته باديءَ الأمر إلىٰ فعلة ابن

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

(٢) ولكن من يلاحظ النصوص التأريخيّة وسير الأحداث بعين الإنصاف والدقّة يرىٰ خلاف ذلك.

زياد وأعوانه، ولكنّه ما عتم[١] أن رأىٰ بوادر العواقب توشك أن تطبق عليه بالوبال من كلّ جانب حتّىٰ تيقّظ من غفلته بعد فوات الوقت، فعمد إلىٰ المحاسنة والاستدراك جهد ما استطاع، ولم يكن في يقظته علىٰ هذا معتصماً بالحكمة والسداد.

ولقد رأىٰ البوادر منه غير بعيد ولمّا تنقض ساعات علىٰ ذيوع الخبر في بيته قبل عاصمة ملكه.. فنعىٰ ابن الحكم فعلة ابن زياد، وناح نساؤه مشفقات من هول ما سمعن ورأين، وبكىٰ ابنه الورع الصالح معاوية، فكان يقول إذا سئل: «نبكي علىٰ بني أُميّة، لا علىٰ الماضين من بني هاشم»[٢].

ومهما تكن غفلة يزيد، فما أحد قط يلمح تلك البوادر ثمّ يجهل أنّها ضربة هوجاء لن تذهب بغير جريرة، ولن تهون جريرتها في الحاضر القريب ولا في الآتي البعيد.

والواقع أنّها قد استتبعت بعدها جرائر شتّىٰ لا جريرة واحدة، وما تنقضي جرائرها إلىٰ اليوم.

فلم تنقض سنتان حتّىٰ كانت المدينة في ثورة حنق جارف يقتلع السدود ويخترق الحدود؛ لأنّهم حملوا إليها خبر الحسين محمل التشهير والشماتة، وضحك واليهم عمرو بن سعيد حين سمع أصوات البكاء والصراخ من بيوت آل النبي، فكان يتمثّل قول عمرو بن معديكرب:

---

(١) عتم: أبطأ. (لسان العرب ٩: ٤٠).

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٢٤١.

عجّت نساء بني زياد عجّة كعجيج نسوتنا غداة الأرتب[١]

وكانت بنت عقيل بن أبي طالب[٢] تخرج في نسائها حاسرة وتنشد:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم: ماذا فعلتم وأنتم آخر الأُمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي منهم أُسارىٰ ومنهم ضرّجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي[٣]

فكان الأُمويون يجيبون بمثل تلك الشماتة، ويقولون ـ كما قال عمرو ابن سعيد ـ: «ناعية كناعية عثمان!»[٤].

ولا موضع للشماتة هنا بالحسين؛ لأنّه قد أُصيب علىٰ باب عثمان وهو يذود عنه ويجتهد في سقيه وسقي آل بيته[٥].. ولكنّها شماتة هوجاء لا تعقل ما تصنع ولا ما تقول.

ثورة المدينة

وللقدر المتاح لجّت بالولاة الأُمويين رغبتهم في تلفيق «المظاهرات

---

(١) غداة الأرنب أو الأرتب: وقعة كانت لبني زبيد علىٰ بني زياد بن الحرث بن كعب.
راجع: الإرشاد ٢: ١٢٣، الكامل في التاريخ ٣: ٣٠٠.

(٢) سمّاها الكنجي بزينب الصغرىٰ في كفاية الطالب ٤٤١.
وسمّيت بأُمّ لقمان في: كشف الغمّة ٢: ٢٨٠، أعيان الشيعة ١: ٦٢٢.

(٣) تاريخ أبي مخنف ١: ٥٠٣، العقد الفريد ٥: ١٣٢، مروج الذهب ٣: ٧٨، المنتظم ٥: ٣٤٤، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٦٦.

(٤) الإرشاد ٢: ١٢٣، الكامل في التاريخ ٣: ٣٠٠، سمط النجوم العوالي ٣: ١٨٤.

(٥) العواصم ١٤١، البداية والنهاية ٧: ١٧٦ و١٨١.

الحجازيّة»، فلم يرعوا ما بأهل المدينة من الحزن اللاعج والأسىٰ الدفين، وجعلوا همّهم كلّه أن يكرهوا القوم علىٰ نسيان خطب الحسين واصطناع الولاء المغتصب ليزيد.

فحملوا إلىٰ دمشق وفداً من أشراف المدينة لم يلبثوا أن عادوا إليها منكرين لحكم يزيد مجمعين علىٰ خلع بيعته، وراحوا يقولون لأهل المدينة: «إنّا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويضرب بالطنابير، ويعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الخراب»[1].

وقال رئيسهم عبد الله بن حنظلة الأنصاري ـ وهو ثقة عند القوم لصلاحه وزهده ـ: «لو لم أجد إلّا بنيّ هؤلاء ـ وكان له ثمانية بنين ـ لجاهدت بهم. وقد أعطاني وما قبلت عطاءه إلّا لأتقوّىٰ به»[2].

والتهبت نار الثورة بالألم المكظوم والدعوة الموصولة، فأخرج المدنيون والي يزيد وجميع من بالمدينة من الأُمويين ومواليهم، وأعلنوا خلعهم للبيعة.

وصدق ابن حنظلة النيّة، فكان يقدّم بنيه واحداً بعد واحد حتّىٰ قتلوا جميعاً، وقتل بعدهم أنفة من حياة يسام فيها الطاعة ليزيد وولاته.

وبدا في ثورة المدينة أنّ يزيد لم يستفد كثيراً ولا قليلاً من عبرة كربلاء؛ لأنّه سلّط علىٰ أهلها رجلاً لا يقلّ في لؤمه وغلّه وسوء دخلته وولعه بالشرّ والتعذيب وعبثه بالتقتيل والتمثيل عن عبيد الله بن زياد، وهو

---

(١) تاريخ أبي مخنف ٢: ٨، تذكرة الخواص ٢٨٨ ـ ٢٨٩، سمط النجوم العوالي ٣: ١٩٩.
(٢) تاريخ خليفة ١٤٨، المنتظم ٦: ١٩، البداية والنهاية ٨: ٢٢١.

مسلم بين عقبة المرّي.

فأمره أن يسوم الثائرين البيعة بشرطه، وأن يستبيح مدينتهم ثلاثة أيام إن لم يبادروا إلىٰ طاعته، وكان شرطه الذي سامهم إيّاه ـ بعد اقتحام المدينة وانقضاء الأيام الثلاثة التي انتظر فيها طاعتهم ـ «إنّهم يبايعون أمير المؤمنين علىٰ أنّهم خول له يحكم في دمائهم وأموالهم ما شاء!»[1].

وإذا كان شيء أثقل علىٰ النفوس من هذا الشرط وأقبح في الظلم من استباحة الأرواح والأعراض في جوار قبر النبي ﷺ.. فذاك هو ولاية هذا النكال بيد مجرم مفطور علىٰ الغلّ والضغينة مثل مسلم بن عقبة، كأنّه يلقي علىٰ الناس وزر مرض النفس ومرض الجسد ومرض الدم الذي أبلاه، ولم يبل ما في طويته من رجس ومكيدة.

«فاستعرض أهل المدينة بالسيف جزراً كما يجزر القصّاب الغنم، حتّىٰ ساخت الأقدام في الدم وقتل أبناء المهاجرين والأنصار».

وأوقع ـ كما قال ابن كثير ـ «من المفاسد العظيمة في المدينة النبويّة ما لا يحدّ ولا يوصف»[2]..

ولم يكفه أن يسفك الدماء ويهتك الأعراض حتّىٰ يلتذّ بإثارة الآمال والمخاوف في نفوس صرعاه قبل عرضهم علىٰ السيف.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٥٠، المنتظم ٦: ١٣، الكامل في التاريخ ٣: ٣١١، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٦٦ ـ ٢٦٧، سمط النجوم العوالي ٣: ٢٠٠.

(٢) البداية والنهاية ٨: ٢٢٢.

فلمّا جاءوه بمعقل بن سنان[1] صاحب رسول الله هشّ له وتلقّاه بما يطمعه، ثمّ سأله: «أعطشت يا معقل؟ حوصوا له شربة من سويق اللوز الذي زوّدنا به أمير المؤمنين».. فلمّا شربها قال له: «أمّا والله لا تبولها من مثانتك أبداً!»، وأمر بضرب عنقه[2].

ويروي ابن قتيبة: أنّ عدد من قتل من الأنصار والمهاجرين والوجوه ألف وسبع مائة، وسائرهم من الناس عشرة آلاف سوىٰ النساء والصبيان[3].

---

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٦٨).

(٢) تاريخ أبي مخنف ٢: ١٧، تاريخ الطبري ٥: ١٤، الفتوح لابن أعثم ٥: ٢٩٧، الكامل في التاريخ ٣: ٣١٤، سمط النجوم العوالي ٣: ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ٢٣٧، وراجع سمط النجوم العوالي ٣: ٢٠٣.

وذكر خليفة بن خيّاط في تأريخه (١٥٥): أنّ عدد من أُصيب من قريش والأنصار ثلاثة مائة رجل وستّة رجال.

وشبيه ذلك ما في مرآة الجنان ١: ١١٢.

وعن الزهري: أنّ عدد من قُتل من الأنصار والمهاجرين والوجوه سبع مائة والبقيّة عشرة آلاف.

لاحظ: المنتظم ٦: ١٦، تذكرة الخواص ٢٨٩، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٦٧، البداية والنهاية ٨: ٢٢١.

وفي معجم البلدان (٢: ٢٨٧): أنّ عدد المقتولين من الموالي ثلاثة آلاف وخمس مائة، ومن الأنصار ألف وأربع مائة، ومن قريش ألف وثلاث مائة.

وذكر نفس الشيء ابن أعثم في الفتوح (٥: ٢٩٥)، إلّا بالنسبة لعدد من قتل من الأنصار فقال: عددهم ألف وسبع مائة.

وحادث واحد من حوادث التمثيل والاستباحة يدلّ علىٰ سائر الحوادث من أمثاله.

دخل رجل من جند مسلم بن عقبة علىٰ امرأة نفساء من نساء الأنصار ومعها صبي لها، فقال: «هل من مال؟»، قالت: «لا.. والله ما تركوا لنا شيئاً». قال: «والله لتخرجنّ إليّ شيئاً أو لأقتلنّك وصبيّك هذا».

فقالت له: «ويحك.. إنّه ولد ابن أبي كبشة الأنصاري صاحب رسول الله». فأخذ برجل الصبي والثدي في فمه، فجذبه من حجرها، فضرب به الحائط، فانتثر دماغه علىٰ الأرض[1].

وهو مثل من أمثال قد تكرّرت بعدد تلك البيوت التي قتل فيها أُولئك الأُلوف من النسوة والأطفال والآباء والأُمّهات.

وقد مات هذا السفّاح وهو في طريقه إلىٰ مكّة يهمّ بأن يعيد بها ما بدأ بالمدينة، فدفن في الطريق، وتعقّبه بعض الموتورين من أهل المدينة، فنبشوا قبره وأحرقوه[2].

جريرة العدل

ولم تنقض سنوات أربع علىٰ يوم كربلاء حتّىٰ كان يزيد قد قضىٰ نحبه، ونجمت بالكوفة جريرة العدل التي حاقت بكلّ من مدّ يداً إلىٰ

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٢٣٨، سمط النجوم العوالي ٣: ٢٠٤.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٢٤١ ـ ٢٤٢، تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٥١، الفتوح لابن أعثم ٥: ٣٠١.

الحسين وذويه.

فسلّط الله علىٰ قاتلي الحسين كفوًا لهم في النقمة والنكال يفلّ حديدهم بحديده ويكيل لهم بالكيل الذي يعرفونه. وهو المختار بن أبي عبيد الثقفي[1] داعية التوّابين من طلّاب ثأر الحسين.

فأهاب بأهل الكوفة أن يكفّروا عن تقصيرهم في نصرته، وأن يتعاهدوا علىٰ الأخذ بثأره، فلا يبقيّن من قاتليه أحد ينعم بالحياة، وهو دفين مذال القبر في العراء.

فلم ينج عبيد الله بن زياد، ولا عمر بن سعد، ولا شمر بن ذي الجوشن، ولا الحصين بن نمير، ولا خولي بن يزيد، ولا أحد ممّن أُحصيت عليهم ضربة أو كلمة أو مدّوا أيديهم بالسلب والمهانة إلىٰ الموتىٰ أو الأحياء.

وبالغ في النقمة فقتل وأحرق ومزّق وهدم الدور وتعقّب الهاربين وجوزي كلّ قاتل أو ضارب أو ناهب بكفاء عمله..

فقتل عبيد الله وأُحرق، وقتل شمر بن ذي الجوشن وأُلقيت أشلاؤه للكلاب، ومات مئات من رؤسائهم بهذه المثلات وأُلوف من جندهم وأتباعهم مغرقين في النهر أو مطاردين إلىٰ حيث لا وزر لهم ولا شفاعة[2].

---

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٦٩).

(٢) راجع: تاريخ أبي مخنف ٢: ٩٥ ـ ١٦٦، الأخبار الطوال ٢٩٢ ـ ٣٠٥، العقد الفريد ٥: ١٥٢ ـ ١٥٣، الكامل في التاريخ ٣: ٣٥٦ ـ ٣٨٢، البداية والنهاية ٨: ٢٦٤ ـ ٢٨٧، تاريخ الكوفة ٣١٤ ـ ٣٢٨.

فكان بلاؤهم بالمختار عدلاً لا رحمة فيه، وما نحسب قسوة بالآثمين سلمت من اللوم أو بلغت من العذر ما بلغته قسوة المختار.

ولحقت الجريرة الثالثة بأعقاب الجريرة الثانية في مدىٰ سنوات معدودات.

فصمد الحجاز في ثورته أو في تنكره لبني أُميّة إلىٰ أيام عبد الملك بن مروان[١]، وكان أحرج الفريقين من سبق إلىٰ أحرج العملين. وأحرج العملين ذاك الذي دفع إليه ـ أو اندفع إليه ـ الحجّاج[٢] عامل عبد الملك.. فنصب المنجنيق علىٰ جبال مكّة، ورمىٰ الكعبة بالحجارة والنيران، فهدمها وعفىٰ علىٰ ما تركه منها جنود يزيد بن معاوية[٣].. فقد كان قائده الذي خلّف مسلم بن عقبة وذهب لحصار مكّة أوّل من نصب لها المنجنيق وتصدّىٰ لها بالهدم والإحراق[٤].

وما زالت الجرائر تتلاحق حتّىٰ تقوّض من وطأتها ملك بني أُميّة، وخرج لهم السفّاح[٥] الأكبر وأعوانه في دولة بني العبّاس، فعمّوا بنقمتهم

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٧٠).

(٢) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٧١).

(٣) تاريخ خليفة ١٦٨، الأخبار الطوال ٣١٤، المنتظم ٦: ١٢٤ ـ ١٢٥، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٧٣.

(٤) المقصود به هو الحصين بن نمير.

راجع: تاريخ خليفة ١٥٨، تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٥٢، مروج الذهب ٣: ٨١.

(٥) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٧٢).

الأحياء والموتىٰ، وهدموا الدور، ونبشوا القبور[1]، وذكر المنكوبون بالرحمة فتكات المختار بن أبي عبيد، وتجاوز الثأر كلّ مدىٰ خطر علىٰ بال هاشم وأُميّة يوم مصرع الحسين.

لقد كانت ضربة كربلاء وضربة المدينة وضربة البيت الحرام أقوىٰ ضربات [بني] أُميّة لتمكين سلطانهم وتثبيت بنيانهم وتغليب ملكهم علىٰ المنكرين والمنازعين، فلم ينتصر عليهم المنكرون والمنازعون بشيء كما انتصروا عليهم بضربات أيديهم، ولم يذهبوا بها ضاربين حقبة حتّىٰ ذهبوا بها مضروبين إلىٰ آخر الزمان.

وتلك جريرة يوم واحد هو يوم كربلاء، فإذا بالدولة العريضة تذهب في عمر رجل واحد مديد الأيام، وإذا بالغالب في يوم كربلاء أخسر من المغلوب إذا وضعت الأعمار المنزوعة في الكفّتين.

---

(١) الإمامة والسياسة ٢: ١٦٧ ـ ١٦٨، الكامل في التاريخ ٤: ٣٢٣، سمط النجوم العوالي ٣: ٣٥١.

نهاية المطاف

نهاية المطاف

من الظافر؟

غبن أن يفوت الإنسان جزاؤه الحقّ على عمله وخلقه..

وأثقل منه في الغبن أن ينقلب الأمر فيجزي المحسن بالإساءة، ويجزي المسيء بالإحسان.

وقد تواضع الناس منذ كانوا على معنى للتأريخ والأخلاق، ووجهة للشريعة والدين.

والجزاء الحقّ هو الوجهة الواحدة التي تلتقي فيها كلّ هذه المقاصد الرفيعة.. فإذا بطل الجزاء الحقّ ففي بطلانه الإخلال كلّ الإخلال بمعنى التاريخ والأخلاق ولباب الشرائع والأديان، وفيه حكم على الحياة بالعبث وعلى العقل الإنساني بالتشويه والخسار.

والجزاء الحقّ غرض مقصود لذاته يحرص عليه العقل الإنساني كرامة لنفسه ويقيناً من صحّته وحسن أدائه، كالنظر الصحيح نحسبه هو غرضاً للبصر يرتاح إلى تحقيقه ويحزن لفواته وإن لم يكن وراء ذلك ثواب أو عقاب؛ لأنّ النظر الصحيح سلامة محبوبة والإخلال به داء كريه.

ولا يستهدف هذا القسطاس المستقيم لمحنة من محنه التي تزري بكرامة العقل الإنساني، كاستهدافه لها وهو في مصطدم التضحية والمنافع، أو في الصراع بين الشهداء وأصحاب الطمع والحيلة.

ففي هذا المصطدم يبدو للنظرة الأُولىٰ أنّ الرجل قد أضاع كلّ شيء وانهزم، وهو في الحقيقة غانم ظافر.

ويبدو لنا أنّه قد ربح كلّ شيء وانتصر، وهو في الحقيقة خاسر مهزوم.

ومن هنا يدخل التأريخ ألزم مداخله وأبيّنها عن قيمة البحث فيه؛ لأنّه المدخل الذي يفضي إلىٰ الجزاء الحقّ والنتيجة الحقّة، وينتهي بكلّ عامل أفلح أو أخفق في ظاهر الأمر إلىٰ نهاية مطافه وغاية مسعاه في الأمد الطويل.

وقد ظفر التأريخ في الصراع بين الحسين بن علي ويزيد بن معاوية بميزان من أصدق الموازين التي تتاح لتمحيص الجزاء الحقّ في أعمال الشهداء وأصحاب الطمع والحيلة. فقلّما تتاح في أخبار الأُمم شرقاً وغرباً عبرة كهذه العبرة بوضوح معالمها وأشواطها وفي تقابل النصر والهزيمة فيها بين الطوالع والخواتم علىٰ اختلاف معارض النصر والهزيمة.

فيزيد في يوم كربلاء هو صاحب النصر المؤزّر الذي لا يشوبه خذلان..

وحسين في ذلك اليوم هو المخذول الذي لم يطمع خاذله من وراء الظفر به إلىٰ مزيد.

ثمّ تنقلب الآية أيّما انقلاب.. ويقوم الميزان، فلا يختلف عارفان بين كفّة الرجحان وكفّة الخسران..

وهذا الذي قصدناه إلىٰ تبيينه وجلائه بتسطير هذه الفصول.

* * *

وما من عبرة أولىٰ من هذه بالتبيين والجلاء لدارس التأريخ ودارس الحياة وطالب المعنى البعيد في أطوار هذا الوجود.

ولسنا نقول: إنّ الصراع بين الحسين ويزيد مثل جامع لكلّ ألوان الصراع بين الشهادة والمنفعة أو بين الإيمان والمآرب الأرضيّة، فإنّ لهذا الصراع لألواناً تتعدّد ولا تتكرّر علىٰ هذا المثال، وإنّ له لعناصر لم تجتمع كلّها في طرفي الخصومة بين الرجلين، وأشواطاً لم تتّخذ الطريق الذي اتّخذته هذه الخصومة في البداية والنهاية.

ولسنا نقول: إنّ الصراع بين الحسين ويزيد مثل جامع لكلّ ألوان الصراع وتفرّدها بارزة ماثلة للتأمّل والتعقيب، وهي: أنّ مسألة الحسين ويزيد قد كانت صراعاً بين خلقين خالدين، وقد كانت جولة من جولات هذين الخلقين اللذين تجاولا أحقاباً غابرات ولا يزالان يتجاولان فيما يلي من الأحقاب، وقد أسفرا عن نتيجة فاصلة ينفرد لها مكان معروف بين سائر الجولات، وليست جولة أُخرىٰ منهنّ بأحقّ منها بالتعليق والتصديق.

ووجهتنا من هذه العبرة أن يعطي كلّ خلق من أخلاق العاملين حقّه بمعيار لا غبن فيه.

فإذا سعىٰ أحد بالحيلة فخدع الناس وبلغ مأربه فليكن ذلك مغنمه وكفىٰ، ولا ينفعه ذلك في استلاب السمعة المحبوبة والعطف الخالص والثناء الرفيع.

وإذا خسر أحد حياته في سبيل إيمانه فلتكن تلك خسارته وكفىٰ، ولا ينكب فوق ذلك بخسارة في السمعة والعطف والثناء.

فلو جاز هذا لكان العطف الإنساني أزيف ما عرفناه في هذه الدنيا من الزيوف؛ لأنّ خديعة واحدة تشتريه وتستبقيه، وما من زيف في العروض الأُخرىٰ إلّا وهو ينطلي يوماً وينكشف بقيّة الأيام.

* * *

وإذا كان احتيال الإنسان لنفسه معطيه كلّ ما تهبه الدنيا من غنم النفع والمحبّة والثناء، فقد ربح المحتالون وخسر نوع الإنسان.

وإذا كانت خسارة المرء في سبيل إيمانه تجمع عليه كلّ خسارة، فالأحمق الفاشل من يطلب الخير للناس ويغفل عن نفسه في طلّابه.

فكفىٰ الواصل ما وصل إليه.

وكثير عليه أن يطمع عند الخلف والسلف فيما ادّخرته الإنسانيّة من الثناء والعطف لمن يكرمونها بفضيلة الشهادة والتضحية ويخسرون.

وهذا الفيصل العادل أعدل ما يكون فيما بين الحسين ويزيد.

فإذا قيل: إنّ معاوية قد عمل وقد أفلح بالحيلة والدهاء، فيزيد لم يعمل ولم يفلح بحيلة ولا دهاء، ولكنّه ورث المنافع التي يشتري بها الأيدي والسيوف، فجال بها جولة رابحة في كفاح الضمائر والقلوب.

فينبغي ألّا يربح بهذه الوسيلة. فأمّا وقد ربح فينبغي أن يقف به الربح عند ذاك، وينبغي للعذر الكاذب والثناء المأجور ألّا يحسبا على الناس بحساب العذر الصادق والثناء الجميل.

وقد تزلّف إلىٰ يزيد من يتزلّفون إلىٰ أصحاب المال والسلطان ثمّ أخذوا أجورهم. فينبغي أن يقوم ذلك الثناء بقيمة تلك الأُجور وأن يكون ما قبضوه من أجر غاية ما استحقّوه إن كانوا مستحقّيه.

أمّا أن يضاف ثناء الخلود إلىٰ صفقة أُولئك المأجورين فقد أصبح ثناء الخلود إذن صفقة بغير ثمن، أو هو علاوة مضمونة علىٰ صفقة كلّ مأجور.

إنّ صاحب الثناء المبذول لا يسأل عن شيء غير العطاء المبذول، ولكنّ التاريخ خليق أن يسأل عن أعمال وأقوال قبل أن يبذل ما لديه من ثناء.

وليس في تأريخ يزيد عمل واحد صحيح أو مدّعىً ولا كلمة واحدة صحيحة أو مدّعاة تقيمه بحيث أراده المأجورون من العذر الممهّد والمدح المعقول، أو تخوّله مكان الترجيح في الموازنة بينه وبين الحسين.

كلّ أخطائه ثابتة عليه، ومنها ـ بل كلّها ـ خطؤه في حقّ نفسه ودولته ورعاياه. وليس له فضل واحد ثابت ولا كلمة واحدة مأثورة تنقض ما وصفه به ناقدوه وعائبوه.

فقد كانت له ندحة عن قتل الحسين، وكان يخدم نفسه ودولته لو أنّه استبقاه حيث يتّقيه ويرعاه.

وكانت له ندحة عن ضرب الكعبة واستباحة المدينة وتسليط أمثال مسلم بن عقبة وعبيد الله بن زياد علىٰ خلائق الله.

وكانت له ندحة عن السمعة التي لصقت به ولم تلصق به افتراءً ولا ادّعاءً، كما يزعم صنائعه ومأجوروه؛ لأنّ واصفيه بتلك السمعة لم يلصقوا مثلها بأبيه.

ومن كان حقّه في النعمة التي نعم بها مغتصباً ينتزعه عنوة لا يكن حقّه في الفضل والكرامة جزافاً لا حسيب عليه.

* * *

وتسديد العطف الإنساني هنا فرض من أقدس الفروض علىٰ الناظرين في سير الغابرين؛ لأنّ العطف الإنساني هو كلّ ما يملك التأريخ من جزاء، وهو الثروة الوحيدة التي يحتفظ بها الخلود.

وإنّنا لندع الخطأ في سياسة النفعيين، وننظر إليهم كأنّهم مصيبون في السياسة بصراء بمواقع التدبير.

فعلىٰ هذه الصفة ـ لو تمّت لهم ـ لا يحقّ لخادم زمانه أن ينازع الشهداء في ذخيرة العطف الخالد، وهم خدّام العقائد التي تتخطّىٰ حياة الأجيال كما تتخطّىٰ حياة الأفراد.

فإنّ حرمان الشهداء حقّهم في عطف الأسلاف والأخلاف خطأ في الشعور وخطأ كذلك في التفكير.

والناس خاسرون إذا بطل عطفهم علىٰ الشهداء.

وليس قصارىٰ أمرهم أنّهم قساة أو جاحدون؛ لأنّ الشهادة فضيلة

تروح وتأتي وتكثر حيناً وتندر في غير ذلك من الأحيان.

أمّا حبّ المنفعة فإن سمّيته فضيلة فهو من الفضائل التي لن تفارق الأحياء أجمعين من ناطقة وعجماء.

* * *

علىٰ أنّ الطبائع الآدميّة قد أُشربت حبّ الشهداء والعطف عليهم وتقديس ذكرهم بغير تلقين ولا نصيحة، وإنّما تنحرف عن سواء هذه السنة لعوارض طارئة أو باقية تمنعها أن تستقيم معها.

وأكثر ما تأتي هذه العوارض من تضليل المنفعة والهوىٰ القريب، أو من نكسة في الطبع تغريه بالضغن علىٰ كلّ خلق سوي وسجيّة سمحة محبّبة إلىٰ الناس عامّة، أو من الإفراط في حبّ الدعة حتّىٰ يجفل المرء من الشهادة استهوالاً لتكاليفها واستعظاماً للقدوة بها، فيتّهم الشهداء بالهوج ويتعقّب أعمالهم بالنقد لكيلا يتّهم نفسه بالجبن والضعة ويستحقّ المذمّة واللوم في رأي ضميره.

وإن لم يتّهمهم بالهوج ولم يتعقّبهم بالنقد وقف من فضائلهم موقف إزورار وفتور، وجنح إلىٰ معذرة الآخرين والتفاهم بينه وبين من لا يستشهدون، ثمّ يعارضون الشهداء فيما يطمحون إليه.

ومعظم المؤرّخين الذين يعارضون الشهداء ودعاتهم لغير منفعة أو نكسة هم من أصحاب الدعة المفرطة وأنصار السلامة الناجية، ويغلب علىٰ هذه الخلّة أن تسلبهم ملكة التأريخ الصحيح؛ لأنّها تعرّضهم للخطأ في الحكم والتفكير، كما تعرّضهم للخطأ في العطف والشعور.

ومن المعقّبين علىٰ تأريخ هذه الفترة عندنا في العربيّة مؤرّخ يتّخذ منه المثل لكلٍّ من العذر والعطف حين يصل الأمر إلىٰ الاستشهاد كراهة للظلم ودرءً للمنكرات، وهو الأستاذ محمّد الخضري[1] صاحب تأريخ الأُمم الإسلاميّة ﷺ.

في تعقيبه علىٰ ثورة المدينة التي قدّمنا الإشارة إليها يقول:

«إنّ الإنسان ليعجب من هذا التهوّر الغريب والمظهر الذي ظهر به أهل المدينة في قيامهم وحدهم بخلع خليفة في إمكانه أن يجرّد عليهم من الجيوش ما لا يمكنهم أن يقفوا في وجهه. ولا ندري ما الذي كانوا يريدونه بعد خلع يزيد؟.. أيكونون مستقلّين عن بقيّة الأمصار الإسلاميّة هم خليفة منهم يلي أمرهم، أم حمل بقيّة الأُمّة علىٰ الدخول في أمرهم؟.. وكيف يكون هذا وهم منقطعون عن بقيّة الأمصار، ولم يكن معهم في هذا الأمر أحد من الجنود الإسلاميّة؟.. إنّهم فتقوا فتقاً وارتكبوا جرماً، فعليهم جزء عظيم من تبعة انتهاك حرمة المدينة، وكان اللازم علىٰ يزيد وأمير الجيش أن لايسرف في معاملتهم بهذه المعاملة، فإنّه كان من الممكن أن يأخذهم بالحصار»[2].

* * *

ويخيّل إليك وأنت تقرأ كلام الأُستاذ عن هذه الفترة كلّها أنّ لديه أعذاراً ليزيد وليس لديه عذر لأهل المدينة؛ لأنّه يفهم كيف يغضب المرء لما

---

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٧٣).

(٢) محاضرات في تاريخ الأُمم الإسلاميّة (الدولة الأُمويّة) ٢: ١٣٢.

في حوزته، ولا يفهم كيف تضيق به كراهـة الظـلم وغـيره العـقيدة عـن الاحتمال.

وشعوره هذا يحـول بينه وبين الحكم الصحيح علىٰ حوادث التأريخ؛ لأنّه يحول بينه وبين انتظار هذه الحوادث حيث تنتظر لا محالة، واستبعادها حيث هي بعيدة عن التقدير.

فلم يحدث قط في مواجهة الظلم وانتزاع الدول المكـروهة أن شـعر الناس كما أرادهم الأُستاذ أن يشعروا، أو فكّروا في الأمر كـما أرادهـم أن يفكّروا.

ومستحيل حدوث هذا أشدّ الاستحالة، وليس قصاراه أنّه لم يحدث من قبل في حركات التأريخ.

فهذه الحركات التي تواجه الدول المكروهة لا تنتظر ـ ولا يمكن أن تنتظر ـ حتّىٰ تربي قوّتها وعدّتها علىٰ ما في أيدي الدولة التي تكرهها من قوّة وعدّة.

ولكنّها حركة أو دعوة تـبدأ بـفرد واحـد يجـترئ عـلىٰ مـا يهـابه الآخرون، ثمّ يلحق به ثان وثالث ورابع ما شاء له الإقناع وضـيق الذرع بالأُمور، ثمّ ما ينالهم من نقمة، فيشيع الغضب وينكشف الظلم عمّن كان في غفلة عنه، ثمّ يشتدّ الحرج بالظالم، فيدفعه الحرج إلىٰ التـخبّط عـلىٰ غـير هدى، ويخرج من تخبّط غير غليظ أحمق إلىٰ تخبّط أغلظ منه وأحمق.. فلا هم يقفون في امتعاضهم وتذمرهم، ولا هو يقف في بطشه وجبروته، حتّىٰ يغلو به البطش والجبروت، فيكون فيه وهنه والقضاء عليه.

وعلىٰ هذا النحو يعرف المؤرّخ الذي يعالج النفوس الآدميّة ما هو من طبعها وما هو خليق أن ينتظر منها، فلا يعالجها حقّ العلاج علىٰ أنّها مسألة جمع وطرح في دفتر الحساب بين هذا الفريق وذاك الفريق.

وعلىٰ هذا النحو تكون حركة الحسين قد سلكت طريقها الذي لابدّ لها أن تسلكه، وما كان لها قط من مسلك سواه.

* * *

وصل الأمر في عهد يزيد إلىٰ حدٍّ لا يعالج بغير الاستشهاد وما نحا منحاه.

وهذا هو الاستشهاد ومنحاه. وهو ـ بالبداهة التي لا تحتاج إلىٰ مقابلة طويلة ـ منحىٰ غير منحىٰ الحساب والجمع والطرح في دفاتر التجّار.

ومع هذا يدع المؤرّخ الطريق الشهادة تمضي إلىٰ نهاية مطافها ثمّ يتناول دفتر التجّار كما يشاء.. فإنّه لواجد في نهاية المطاف أنّ دفتر التجّار لن يكتب الربح آخراً إلّا في صفحة الشهداء.

فالدعاة المستشهدون يخسرون حياتهم وحياة ذويهم، ولكنّهم يرسلون دعوتهم من بعدهم ناجحة متفائلة، فتظفر في نهاية مطافها بكلّ شيء حتّىٰ المظاهر العرضيّة والمنافع الأرضيّة.

وأصحاب المظاهر العرضيّة والمنافع الأرضيّة يكسبون في أوّل الشوط، ثمّ ينهزمون في وجه الدعوة المستشهدة حتّىٰ يخسروا حياتهم أو حياة ذويهم، وتوزن حظوظهم بكلّ ميزان فإذا هم بكلّ ميزان خاسرون.

وهكذا أخفق الحسين ونجح يزيد.

ولكن يزيد ذهب إلى سبيله وعوقب أنصاره في الحياة والحطام والسمعة بعده بشهور، ثمّ تقوّضت دولته ودولة خلفائه في عمر رجل واحد لم يجاوز الستّين.

وانهزم الحسين في كربلاء وأُصيب هو وذووه من بعده، ولكنّه ترك الدعوة التي قام بها ملك العبّاسيين والفاطميين، وتعلّل بها أُناس من الأيوبيين والعثمانيين، واستظلّ بها الملوك والأُمراء بين العرب والفرس والهنود، ومثل للناس في حلّة من النور تخشع لها الأبصار، وباء بالفخر الذي لا فخر مثله في تواريخ بني الإنسان غير مستثنىً منهم عربي ولا أعجمي وقديم ولا حديث.

أبو الشهداء

فليس في العالم أُسرة أنجبت من الشهداء من أنجبتهم أُسرة الحسين عدّة وقدرة وذكرة.. وحسبه أنّه وحده في تأريخ هذه الدنيا الشهيد ابن الشهيد أبو الشهداء في مئات السنين.

وأيسر شيء على الضعفاء الهازلين أن يذكروا هنا طلب الملك ليغمزوا به شهادة الحسين وذويه[1].

فهؤلاء واهمون ضالّون مغرقون في الوهم والضلال؛ لأنّ طلب الملك لا يمنع الشهادة، وقد يطلب الرجل الملك شهيداً قدّيساً ويطلبه وهو مجرم بريء من القداسة.

---

(١) انظر: العواصم ٢٣٢، البداية والنهاية ٨: ١٤٩.

وإنّما هو طلب وطلب، وإنّما هي غاية وغاية، وإنّما المعوّل في هذا الأمر علىٰ الطلب لا علىٰ المطلوب.

فمن طلب الملك بكلّ ثمن وتوسّل له بكلّ وسيلة وسوّىٰ فيه بين الغصب والحقّ وبين الخداع والصدق وبين مصلحة الرعية ومفسدتها، ففي سبيل الدنيا يعمل لا في سبيل الشهادة.

ومن طلب الملك وأباه بالثمن المعيب وطلب الملك حقّاً ولم يطلبه لأنّه شهوة وكفىٰ، وطلب الملك وهو يعلم أنّه سيموت دونه لا محالة، وطلب الملك وهو يعتزّ بنصر الإيمان ولا يعتزّ بنصر الجند والسلاح، وطلب الملك دفعاً للمظلمة وجلباً للمصلحة كما وضحت له بنور إيمانه وتقواه، فليس ذلك بالعامل الذي يخدم نفسه بعمله، ولكنّه الشهيد الذي يلبّي داعي المروءة والأريحيّة، ويطيع وحي الإيمان والعقيدة، ويضرب للناس مثلاً يتجاوز حياة الفرد الواحد وحياة الأجيال الكثيرة.

ومن ثمّ يقيم الآية بعد الآية علىٰ حقيقة الحقائق في أمثال هذا الصراع بين الخلقين أو بين المزاجين والتأريخين.

وهي أنّ الشهادة خصم ضعيف مغلوب في اليوم والأُسبوع والعام، ولكنّها أقوىٰ الخصوم الغالبين في الجيل والأجيال ومدىٰ الأيام..

وهي حقيقة تؤيّدها كلّ نتيجة نظرت إليها بعين الأرض أو بعين السماء علىٰ أن تنظر إليها في نهاية المطاف.

ونهاية المطاف هي التي يدخلها نوع الإنسان في حسابه ويوشح عليها وشائج عطفه وإعجابه؛ لأنّه لا يعمل لوجبات ثلاث في اليوم، ولا ينظر إلىٰ عمر واحد بين مهد ولحد، ولكنّه يعمل للدوام وينظر إلىٰ الخلود.

في عالم الجمال

في عالم الجمال

عاشق الجمال

إذا لحقت السيرة بعالم المثال الذي يتطلّع إليه خيال الشعراء وتتغنّىٰ به قرائح أهل الفنّ، فقد تنزّهت عن ربقة[1] الجسد وأصبحت صورة من الصور المثلى في عالم الجمال.

ومن آيات الجمال أنّه يتحدّىٰ المنفعة ويؤثر البطولة علىٰ السلامة.

فإذا تعلّقت القريحة بالجمال فلا جرم تزن الأُمور بغير ميزان الحساب والصفقات، فتعرض عن النعمة وهي بين يديها، وتقبل علىٰ الألم وهي ناظرة إليه، وتلزمها سجية العشق الآخذ بالأعنّة، فتنقاد له ولا تنقاد لنصيحة ناصح أو عذل عاذل؛ لأنّ المشغوف بالجمال ينشده ولا يبالي ما يلقاه في سبيله.

وقد تمثّلت سجيّة عاشق الجمال في كلّ شعر نظمه شعراء الحسين وذويه تعظيماً لهم وثناءً عليهم، فلم يتّجهوا إليهم ممدوحين وإنّما اتّجهوا إليهم صوراً مثلىٰ يهيمون بها كما يهيم المحبّ بصورة حبيبةٍ، ويستعذبون من أجلها

---

(١) الربق: حبل فيه عدّة عرىً تشدّ به البهائم. (صحاح اللغة ٤: ١٤٨٠).

ما يصيبهم من ملام وإيلام.

وفي معنىٰ كهذا المعنىٰ يقول الكميت[١] شاعر أهل البيت:

طربت وما شوقاً إلىٰ البيض أطرب ... ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب
ولم يلهني دار ولا رسم منزل ... ولم يتطرّبني بنان مخضّب
ولا أنا ممّن يزجر الطير همّه ... أصاح غراب أم تعرّض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية ... أمرّ سليم القرن أم أمرّ أعضب[٢]
ولكن إلىٰ أهل الفضائل والنهى ... وخير بني حوّاء والخير يطلب
إلىٰ النفر البيض الذين بحبّهم ... إلىٰ الله فيما نالني أتقرّب
بني هاشم رهط النبي فإنّني ... بهم ولهم أرضىٰ مراراً وأغضب
خفضت لهم منّي جناحي مودّة ... إلىٰ كنف عطفاه أهل ومرحب
يشيرون بالأيدي إليّ وقولهم: ... ألا خاب هذا، والمشيرون أخيب
فطائفة قد كفّرتني بحبّكم ... وطائفة قالوا: مسيء ومذنب
فما ساءني تكفير هاتيك منهم ... ولا عيب هاتيك التي هي أعيب
يعيبونني من خبّهم[٣] وضلالهم ... علىٰ حبّكم، بل يسخرون وأعجب
وقالوا: ترابي[٤] هواه ورأيه ... بذلك أُدعىٰ فيهم وأُلقّب

---

(١) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٧٤).

(٢) السانح: الطير الذي يمرّ من اليسار إلىٰ اليمين، وعكسه البارح [جمهرة اللغة ١: ٢٧٢]، والأعضب: المكسور القرن [المصدر السابق ١: ٣٥٤] (من المؤلّف).

(٣) الخَبّ: الخدّاع المفسد. (تاج العروس ٢: ٣٢٧).

(٤) من كنىٰ علي بن أبي طالب «أبو تراب»، وترابي نسبة إليه (من المؤلّف).

←

علىٰ ذاك إجريّاي فيكم ضريبتي ولو جمعوا طرّاً عليّ وأجلبوا
وأحمل أحقاد الأقارب فيكم وينصب لي في الأبعدين فأنصب[1]

وقد مرّ بنا حديث زين العابدين ﷺ، وهو غلام عليل أوشك أن يتخطّفه الموت بكلمة من عبيد الله بن زياد؛ لأنّه استكبر «أن تكون به جرأة علىٰ جوابه».

فهذا الغلام العليل قد عاش حتّىٰ انعقد له ملك القلوب حيث انعقد ملك الأجسام لهشام بن عبد الملك[2] سيّد ابن زياد وآله.

وذهب هشام بين جنده وحشمه يحجّ البيت ويترضّىٰ الناس، فلم يخلص إلىٰ الحجر الأسود؛ لتزاحم الحجيج عليه. وإنّه لجالس علىٰ كرسيه ينتظر انفضاض الناس إذا بزين العابدين يقبل إلىٰ الحجر الأسود في وقاره وهيبته، فيتنحّىٰ له الحجيج ويحفّوا به وهو يستسلم مطمئناً غير معجل ثمّ يعود من حيث أتىٰ والناس مشيّعوه بالتجلّة والدعاء.

وتهوّل رجلاً من حاشية هشام هذه المهابة التي لم يرها لمولاه، فيسأل: «من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة؟».

← [وقد كنّاه الرسول ﷺ بهذه الكنية لمّا رآه ساجداً معفّراً وجهه بالتراب.
راجع: مسند أحمد ٤: ٢٦٣، الأدب المفرد ٢٥٣، صحيح مسلم ٤: ١٨٧٤ ـ ١٨٧٥، المعجم الكبير للطبراني ٦: ١٤٩، المستدرك علىٰ الصحيحين ٣: ١٥١، المناقب لابن المغازلي ٩ و١٠، إعلام الورىٰ ١: ٣٠٧، مطالب السؤول ١: ٥٩ ـ ٦٠، ذخائر العقبىٰ ٥٦، الرياض النضرة ٣: ٩٤ و٩٥، تهذيب التهذيب ٧: ٢٩٤].

(١) ديوان الهاشميّات للكميت ١١٨ و١٢٠.

(٢) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٧٥).

ويخشىٰ هشام أن يطّلع جنده علىٰ مكانة رجل لم يتطاول إلىٰ مثل مكانته بسلطانه وعتاده، فيقول: «لا أعرفه!»، ويقتضب الجواب.

وهذا الذي تصدّىٰ له شاعر آخر قد غامر بحياته ونواله ليقول بالقصيد المحفوظ ما ثقل علىٰ لسان هشام أن يقوله في كلمتين عابرتين.

وذلك هو الفرزدق حيث قال:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته　　والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم　　هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله　　بجدّه أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك: من هذا، بضائره　　العرب تعرف من أنكرت والعجم
إذا رأته قريش قال قائلها:　　إلىٰ مكارم هذا ينتهي الكرم
من معشر حبّهم دين وبغضهم　　كفر وقربهم منجى ومعتصم[1]

وتصدّىٰ عبيد الله بن كثير لأمير مكّة خالد بن عبد الله[2]، فلعنه وهو قادر علىٰ قتله؛ لأنّه يلعن عليّاً وحسيناً في خطبه، وأنشد:

لعن الله من يسبّ عليّاً　　وحسيناً من سوقة وإمام

---

(١) هناك بعض الأبيات التي لم تُذكر، لاحظ ديوان الفرزدق ٤٥٤ ـ ٤٥٦.

وحول هذه القصّة راجع: الأغاني ٢١: ٤٠٠ ـ ٤٠٢، المحتسب ١: ٢٦٧، حلية الأولياء ٣: ١٣٩، زهر الآداب ١: ٩٥ ـ ٩٧، المناقب لابن شهر آشوب ٤: ١٦٩ ـ ١٧٢، صفوة الصفوة ٢: ٩٨ ـ ٩٩، شرح المفصّل لابن يعيش ٢: ٥٣، مطالب السؤول ٢: ٩٣ ـ ٩٤، الدرّ النظيم ٥٨٥، مختصر تاريخ مدينة دمشق ١٧: ٢٤٦ ـ ٢٤٩، تهذيب الكمال ٢٠: ٤٠٠ ـ ٤٠٢، سير أعلام النبلاء ٤: ٣٩٩.

(٢) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٧٦).

أيسبّ المطهّرون جدوداً ... والكرام الآباء والأعمام
يأمن الطير والحمام ولا يأ ... من آل الرسول عند المقام
طبت بيتاً وطاب أهلك أهلاً ... أهل بيت النبي والإسلام
رحمة الله والسلام عليه ... كلّما قام قائم بسلام[1]

* * *

وتنقضي السنون وتتسامع العربيّة بشاعر فحل لم يسلم من لسانه أحد، ولم ينزّه أحداً من المجزلين له أو المقتّرين عليه من استحقاق الهجاء.. فكان ينشد الأبيات المقذعة، ويُسأل عن صاحبها، فيقول: «لم يستحقها أحد بعينه بعد، ولسوف يستحقّها كثيرون»[2].

هذا الشاعر العجيب هو دعبل الخزاعي[3] الذي يهزّ أوتار النفوس بأمثال هذه الأبيات في آل البيت:

مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منىً ... وبالركن والتعريف والجمرات
ديار علي والحسين وجعفر ... وحمزة والسجّاد ذي الثفنات[4]

---

(١) البيان والتبيين ٣: ٣٥٩ ـ ٣٦٠، أدب الطفّ ٣: ٢٠.

إلّا أنّه قد سمّي الشاعر في المصدر الأوّل بعبد الله بن كثير، وفي الثاني بكثير بن كثير بن عبد المطّلب من بني كعب بن لؤي بن غالب.

ولقّب بالسهمي في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ١٧٦.

(٢) لاحظ: الأغاني ٢٠: ٦٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ٦٨.

(٣) راجع في قائمة التراجم الترجمة رقم (٧٧).

(٤) كان علي بن الحسين يلقّب بذي الثفنات؛ لأنّ جبهته أصبحت كثفنة البعير ـ أي:

←

ديار عفاها كلّ جور مبادر ولم تعف للأيام والسنوات

إلىٰ أن يقول:

ملامك في أهل النبي فإنّهم أحبايَ ما عاشوا وأهل ثقاتي
فيا ربِّ زدني من يقيني بصيرة وزد حبّهم ـ يا ربِّ ـ في حسناتي
أحبّ قصي الرحم من أجل حبّهم وأهجر فيهم أسرتي وبناتي
لقد حفّت الأيام حولي بشرّها وإنّي لأرجو الأمن بعد وفاتي
ألم ترَ أنّي من ثلاثين حجّة أروح وأغدو دائم الحسرات
أرىٰ فيئهم في غيرهم متقسّماً وأيديهم من فيئهم صفرات
فآل رسول الله نحف جسومهم وآل زياد حفل القصرات[١]
بنات زياد في القصور مصونة وآل رسول الله في الفلوات
إذا وتروا مدّوا إلىٰ أهل وترهم أكفّاً عن الأوتار منقبضات[٢]

ووهب علي بن موسىٰ الرضا للشاعر جائزة من دراهمه المضروبة باسمه وخلع عليه من ثيابه، فبذل له أهل «قم» ثلاثين ألف درهم ليبيعهم الخلعة، فضنّ بها. ثمّ ترصّدوا له في الطريق ليأخذوها منه عنوة تبركاً

← ركبته ـ من كثرة السجود [إعلام الورىٰ ١: ٤٨٠] (من المؤلّف).

(١) القصرة: الرقبة. وحفل القصرات، أي: غلاظ الرقاب من السمن [لسان العرب ٣: ٢٤٦ و ١١: ٨٧] (من المؤلّف).

(٢) ديوان دعبل ٥٩ ـ ٦٤، مع تفاوت يسير.

وراجع: عيون أخبار الرضا ٢: ٢٤١، زهر الآداب ١: ١٣٠، المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٦٥، معجم الأدباء ١١: ١٠٣، تهذيب الكمال ٢١: ١٥١، سير أعلام النبلاء ٩: ٣٩١.

وذكرىٰ، فسمح بالمال ولم يسمح بالخلعة، واسترضوه فلم يرض إلّا أن يعطوه كمّاً من أكمامها ليدفن معه في كفنه[١]، وتقسّموا الخلعة بينهم فخورين بها غير مبالين ما بذلوه في ثمنها.

وانقضت فترة لم تطل.. وتسامعت العربيّة بشاعر آخر أفحل من دعبل وأقدر منه علىٰ التصرّف بالهجاء والمديح.

ذلك هو علي بن العبّاس بن الرومي الذي نسى ممدوحيه من آل طاهر وبني العبّاس ليذكر حقّ حفيد الحسين يحيىٰ بن عمر الشهيد ولو كلّفه ذكره القتل والحرمان.

وفي بعض ما ساقه من النذر لأُمراء زمانه مهلكة له قلّما يفلت منها قائل بحياته، وذاك حيث يقول من قصيدته الجيميّة:

غررتم لئن صدقتم أن حالة ... تدوم لكم، والدهر لونان، أخرج

لعلّ لهم في منطوي الغيب ثائراً ... سيسمو لكم والصبح في الليل مولج

بمجر تضيق الأرض من زفراته ... له زجل ينفي الوحوش وهزمج[٢]

يسودّ الذي لاقوه أنّ سلاحه ... هنالك خلخال عليه ودملج

---

(١) انظر: الأغاني ٢٠: ٦٩ و ١٠٢ ـ ١٠٣، عيون أخبار الرضا ٢: ٢٤١، زهر الآداب ١: ١٣٠، مطالب السؤول ٢: ١٣١ ـ ١٣٣، تهذيب الكمال ٢١: ١٥١، سير أعلام النبلاء ٩: ٣٩١، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ ٢٤٩ ـ ٢٥٠، الإتحاف بحبّ الأشراف ١٦٣ ـ ١٦٤، أعيان الشيعة ٦: ٤١٦.

(٢) الهزمجة: اختلاط الصوت [جمهرة اللغة ٢: ١٣٨]، والمجر: الجيش الكبير [صحاح اللغة ٢: ٨١١] (من المؤلّف).

فـــيدرك ثأر الله أنـــصار ديـــنه   ولله أوس آخـــــرون وخـــزرج
ويقضي إمامِ الحـقّ فـيكم قـضاءه   مبيناً، وما كلّ الحـوامـل تخـدج[1]

وكلّ أُولئك شاعر ينسى التقوىٰ في مواطن شتّىٰ من عمله وقوله، ولا ينساها في حقّ الشهداء من آل الحسين وصحبه؛ لأنّه يحسّ الجمال إحساس الشعراء، ويهتزّ للصورة المثلى اهتزاز الأريحيّة التي يحلم بها روّاد الخيال.

فهم هنا بمربأة من قيود العيش ووساوس الحاجة وأعباء النوازع الأرضيّة، يستوحون سليقة القول فيما ينبغي أن يقال، فيجري علىٰ لسانهم كأنّهم مسوقون إليه.

بل كلّ أُولئك شاعر لا يسخو بالمدح وهو موصول بالعطاء الجزيل، ثمّ هو يسخو به للشهداء وآلهم علىٰ غير أمل في نوال وعلىٰ خوف شديد من الحرمان والوبال.

* * *

وشاعر آخر لم يكن يهجو من الناس هذا أو ذاك، ولكنّه كان سيّء الظنّ بالناس أجمعين، وكان يقول ما بدا له في الدنيا والدين، ولكنّه يجامل مع المجاملين، فلا يقصر عن شأوهم[2] في السابقين أو اللاحقين.

ذلك هو أبو العلاء المعرّي حيث قال في الفجر والشفق :

وعلىٰ الدهر من دماء الشهيد   يـــن عـــلي ونجـله شـاهدان

---

(١) ديوان ابن الرومي ١ : ٣٠٨، مع بعض الاختلافات.

(٢) الشأو : السبق والغاية. (القاموس المحيط ٤ : ٣٤٨).

فهما في أواخر الليل فجر ان وفي أوّلياته شفقان
ثبتا في قميصه ليجيء الحشر مستعدياً إلىٰ الرحمان[١]

وإنّ وحي الشعر من سرائر النفوس لأصدق حكماً من لسان التأريخ إذا اختلف الحكمان..

ولكنّهما قد توافيا معاً علىٰ مقال واحد.. فجلوا لنا من سيرة الحسين عليه‌السلام صورة الجمال في عالم المثال، وكذلك يعيش ما عاش في أخلاد الناس.

---

(١) سقط الزند ٩٦.

وقد نُقلت هذه الأبيات في أدب الطفّ ٢: ٢٩٨.

قائمة التراجم

(١) أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمّد التنوخي المعرّي، اللغوي والشاعر المعروف.

ولد سنة ٣٦٣ هـ بمعرّة النعمان بالشام، وعمّي بالجُدري بعد أربع سنين من ولادته، وقد سمّىٰ نفسه: رهين المحبسين؛ لذهاب عينيه وللزومه بيته.

قرأ النحو واللغة علىٰ: أبيه بالمعرّة، وعلىٰ محمّد بن عبد الله بن سعد النحوي بحلب.

وأخذ عنه: علي بن المحسن التنوخي، والخطيب أبو زكريا التبريزي، وغيرهما.

كانت له فلسفة خاصّة في حياته ممّا حدا بعضهم إلىٰ تكفيره.

له من النظم: لزوم ما لا يلزم، وسقط الزند. وله: كتاب (الهمزة والردف) في الأدب، واللامع العزيزي. هذا، وقد قام باختصار دواوين أبي تمّام والبحتري والمتنبي.

توفّي بالمعرّة سنة ٤٤٩ هـ.

(تاريخ بغداد ٤: ٢٤٠ ـ ٢٤١، معجم الأُدباء ٣: ١٠٧ ـ ٢١٨، وفيات الأعيان ١: ١١٣ ـ ١١٦، سير أعلام النبلاء ١٨: ٢٣ ـ ٣٩، ميزان الاعتدال ١: ١١٢، لسان الميزان ١: ٢٠٣ ـ ٢٠٨، شذرات الذهب ٣: ٢٨٠ ـ ٢٨٢، نسمة السحر

١: ٢٦٦ ـ ٢٨١، أبجد العلوم ٣: ٥٩ ـ ٦٠).

(٢) معاوية بن يزيد بن معاوية بن صخر بن حرب بن أُميّة الأُموي.
أُمّه أُمّ هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة.
ولد سنة ٤٣ هـ، وبويع له بالخلافة بعهد من أبيه، وكان شاباً ديّناً خيراً من أبيه، كما عبّر بذلك الذهبي. ونقل ابن العبري أنّه كان قدرياً.
اختُلف في مدّة ولايته، فقيل: ولّي عشرين يوماً، وقيل: بل أربعين يوماً، وقيل غير ذلك.
وامتنع أن يعهد بالخلافة إلىٰ أحد، وقال: «لم أصب حلاوتها، فلا أتحمّل مرارتها».
وفيه يقول الشاعر أرثم أو أزنم الفزاري:

إنّي أرىٰ فتنة تغلي مراجلها ... والملك بعد أبي ليلىٰ لمن غلبا

ولم يخرج للناس، ولم يزل مريضاً والضحّاك بن قيس يصلّي بالناس حتّىٰ وافاه الأجل سنة ٦٤ هـ، وصلّىٰ عليه الوليد بن عتبة، وقيل: عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان، ودفن بمقابر باب الصغير بدمشق.
(المعارف ٣٥٢، تاريخ مدينة دمشق ٥٩: ٢٩٦ ـ ٣٠٥، سير أعلام النبلاء ٤: ١٣٩، العبر ١: ٦٩، مرآة الجنان ١: ١١٢ ـ ١١٣، البداية والنهاية ٨: ٢٣٧ ـ ٢٣٨، تاريخ ابن العبري ١٩٠ ـ ١٩١).

(٣) أبو بكر عبد الله بن الزبير بن العوّام بن خويلد بن أسد الأسدي القرشي.
هاجرت أُمّه أسماء بنت أبي بكر من مكّة وهي حامل به، فولدته سنة اثنتين من الهجرة في المدينة، وقيل: ولد في السنة الأُولىٰ من الهجرة.
كان أطلس لا لحية له ولا شعر في وجهه، ونُقل عنه أنّه كان ضيّق العطاء سيء الخلق حسوداً كثير الخلاف، أخرج محمّد بن الحنفية، ونفىٰ عبد الله

ابن عبّاس إلى الطائف، وكذلك يُنقل عن علي ﷺ أنّه قال: «مازال الزبير يعدّ منّا حتّى نشأ عبد الله»، وقد شهد الجمل مع أبيه وخالته، وحضر وقعة اليرموك.

روى عن: النبي ﷺ، وعن جدّه أبي بكر، وخالته عائشة، وعمر، وعثمان. وروى عنه: أولاده: عبّاد و عامر وأمّ عمرو، وأخوه عروة، وأبناء عروة: محمّد و هشام وعبد الله، وثابت البناني، وعبد الله بن أبي مليكة، ووهب بن كيسان، وغيرهم.

بويع له سنة ٦٤ هـ، وقيل: سنة ٦٥ هـ، وكانت بيعته بعد موت معاوية بن يزيد، واجتمع على طاعته معظم أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان، فقتله الحجّاج بمكّة سنة ٧٣ هـ، وصلبه.

(طبقات خليفة ٤٤ و٢٢٢ و٤٠٦، التاريخ الكبير ٥: ٦، الجرح والتعديل ٥: ٥٦، الاستيعاب ٣: ٣٩ ـ ٤٣، طبقات الفقهاء للشيرازي ٢٠، البدء والتاريخ ٦: ٢٠ ـ ٢٦، الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٢٤٠، صفوة الصفوة ١: ٧٦٤ ـ ٧٧٢، أُسد الغابة ٣: ١٦١ ـ ١٦٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ٣٢١، وفيات الأعيان ٣: ٧١ ـ ٧٥، تهذيب الكمال ١٤: ٥٠٨ ـ ٥١١، تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات ٦١ هـ ـ ٨٠ هـ) ٤٣٥ ـ ٤٤٧، سير أعلام النبلاء ٣: ٣٦٣ ـ ٣٧٩، الكاشف ٢: ٨٦، العقد الثمين ٤: ٣٤٣ ـ ٣٥٤، فوات الوفيات ٢: ١٧١ ـ ١٧٥، مرآة الجنان ١: ١١٩ ـ ١٢١، الإصابة ٤: ٦٩ ـ ٧١، تقريب التهذيب ١: ٤٩٢، تهذيب التهذيب ٥: ١٨٧ ـ ١٨٨).

(٤) أبو القاسم حبيب بن مظاهر ـ أو مظهّر ـ بن رئاب بن الأشتر بن حجوان الأسدي الكندي الفقعسي.

اختُلف في كونه صحابياً أو تابعياً، حيث لم يذكره صاحبا الاستيعاب

وأُسد الغابة في عداد الصحابة، وذكره صاحب الإصابة ضمن الصحابة الذين لهم إدراك للرسول ﷺ.

كان رجلاً شجاعاً شريفاً حافظاً للقرآن، وكان من أصحاب علي والحسين عليهما السلام.

استشهد بين يدي الحسين عليه السلام في كربلاء في العاشر من محرّم سنة ٦١ هـ.

(رجال الطوسي ٦٠ و٩٣ و١٠٠، الإصابة ٢: ٥٨، لسان الميزان ٢: ١٧٣، نقد الرجال ١: ٣٩٩، أعيان الشيعة ٤: ٥٥٣ ـ ٥٥٥).

(٥) أبو حفص عبيد الله بن زياد بن أبيه، أمّه مرجانة. ولّي سنة ٥٣ هـ من قبل معاوية على خراسان، ومن ثمّ ولّي على البصرة سنة ٥٥ هـ، فلمّا تولّى يزيد الخلافة ضمّ إليه الكوفة.

نقل المؤرّخون أنّه كان رجلاً سفيهاً جباناً سفّاكاً للدماء. قُتل مع الحصين ابن نمير بيد إبراهيم بن مالك الأشتر سنة ٦٧ هـ، وقد ذُكر أنّه بعد قتله كانت تجيء حيّة فتدخل في رأسه وتأكل منه، ذكر هذا الترمذي وغيره.

(التاريخ الكبير ٥: ٣٨١، سنن الترمذي ٥: ٦٦٠، ربيع الأبرار ١: ٨١، تاريخ مدينة دمشق ٣٧: ٤٣٣ ـ ٤٦٢، وفيات الأعيان ٢: ٥٠٢ ـ ٥٠٤ و٣: ١٦٥ و٦: ٣٤٤ ـ ٣٤٥، تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات سنة ٦٠ هـ ـ ٨١ هـ) ١٧٥ ـ ١٨٠، سير أعلام النبلاء ٣: ٥٤٥ ـ ٥٤٩، مرآة الجنان ١: ١١٠ و١١٤ ـ ١١٥، شذرات الذهب ١: ٧٤).

(٦) مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة الأشتر المذحجي النخعي. كان من زعماء العراق الأشدّاء فارساً صنديداً لا يشقّ له غبار شديد البأس حليماً كريماً خطيباً شاعراً.

شهد معركة اليرموك وشترت عينه فيها، وقيل: شترت عينه في حروب

الردّة ضدّ أبي مسيلمة الأيادي.

توجّه إلىٰ مصر لمّا اضطربت الأوضاع علىٰ محمّد بن أبي بكر، وكان يومئذٍ بنصيبين، فسمّ في الطريق بتدبير من عمرو بن العاص ومعاوية سنة ٣٩ هـ.

(الطبقات الكبرى لابن سعد ٦: ٢١٣، طبقات خليفة ٢٤٩، التاريخ الكبير ٧: ٣١١، سير أعلام النبلاء ٤: ٣٤ ـ ٣٥، العبر ١: ٤٥، الإصابة ٦: ١٦١ ـ ١٦٢، تهذيب التهذيب ١٠: ١٠ ـ ١١، أعيان الشيعة ٩: ٣٨ ـ ٤٢).

(٧) عبد الرحمان بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، أدرك النبي ﷺ ولم يحفظ عنه ولا سمع منه، وروىٰ عنه: خالد بن سلمة، وعمرو بن قيس، وغيرهما.

وكان يعدّ من فرسان قريش، وقد شهد اليرموك مع أبيه، وسكن مدينة حمص متولّياً لإمارتها، وكان الشاعر كعب بن جعيل مدّاحاً له.

كان منحرفاً عن علي ﷺ وبني هاشم، ومن ثمّ استعمله معاوية علىٰ غزو الروم. وقد اختاره أهل الشام ليكون الخليفة بعد معاوية، وذلك عندما خطبهم طالباً منهم تعيين الخليفة بعده، فشقّ ذلك علىٰ معاوية وأسرّها في نفسه، ثمّ إنّ عبد الرحمان مرض، فأمر معاوية طبيباً عنده اسمه ابن أثال اليهودي أن يسقيه سمّاً، فسقاه، فمات سنة ٤٦ هـ، فأخذ بثأره أخوه المهاجر، فقتل اليهودي بعد حين. ويقال: إنّ الذي أخذ بالثأر هو ابنه خالد ابن عبد الرحمان.

(التاريخ الكبير ٥: ٢٧٧، الثقات لابن حبّان ٣: ٢٥٠، الاستيعاب ٢: ٣٧٢ ـ ٣٧٣، أُسد الغابة ٣: ٢٨٩ ـ ٢٩٠، البداية والنهاية ٨: ٣١، العقد الثمين ٥: ١٨ ـ ٢٠، الإصابة ٥: ٦٨ ـ ٦٩، شذرات الذهب ١: ٥٥).

(٨) أبو سفيان صخر بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس القرشي. أمّه صفية بنت حَزْن بن بُجير.

رأس قريش وقائدهم يوم أُحد والخندق. ولد قبل عام الفيل بعشر سنين، وكان صديق العبّاس بن عبد المطّلب ونديمه في الجاهلية، وكان حينها يبيع الزيت والأدم.

أسلم مكرهاً يوم الفتح، وكان من دهاة العرب ومن المؤلّفة قلوبهم، وما مات حتّىٰ رأىٰ ولديه يزيد ثمّ معاوية أميرين علىٰ دمشق، وكان محبّاً للرياسة والذكر.

توفّي بالمدينة سنة ٣١هـ، وقيل: ٣٢هـ، وقيل: ٣٣هـ وقيل: ٣٤هـ، وله نحو من تسعين سنة، وصلّىٰ عليه ابنه معاوية، وقيل: بل صلّىٰ عليه عثمان بموضع الجنائز، ودفن بالبقيع.

(السيرة النبويّة لابن هشام ٣: ٥٠، ٦٨، ٧٥، ١٠٤، ١١٠ و٤: ٤٤، ٥١، ٥٣، ٩٣، طبقات خليفة ٣٩، الجرح والتعديل ٤: ٤٢٦، الأغاني ٦: ٣٢١ ـ ٣٣٤، رجال الطوسي ٤١، الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٢٢٤، أُسد الغابة ٣: ١٢ ـ ١٣ و٥: ٢١٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٦٩ و١٧٠ و٢٤٤، العبر ١: ٣١، مرآة الجنان ١: ٧٢، تقريب التهذيب ١: ٤٣٥، تهذيب التهذيب ٤: ٣٦١ ـ ٣٦٢، شذرات الذهب ١: ٣٧).

(٩) أبو الفضل العبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم الهاشمي القرشي، عمّ الرسول ﷺ. أُمّه نُتيلة بنت جَناب بن كُليب.

ولد قبل عام الفيل بثلاث سنين، كان رجلاً شريفاً مهيباً عاقلاً جميلاً جهوري الصوت. أسلم قبل الهجرة، وكتم إسلامه، وخرج مع قومه إلىٰ بدر، فأُسر يومئذٍ وأُطلق سراحه. روىٰ عن النبي ﷺ وروىٰ عنه:

أبناؤه: عبد الله وعبيد الله وكثير، والأحنف بن قيس، وعبد الله بن الحارث ابن نوفل، وجابر بن عبد الله، وآخرون.

وقد ثبت أنّ العبّاس كان يوم حُنين وقت الهزيمة آخذاً بلجام بغلة النبي ﷺ وثبت معه حتّى نزل النصر.

توفّي بالمدينة سنة ٣٢ هـ عن عمر ناهز الستّ والثمانين سنة، ودفن بالبقيع، وقيل: توفّي سنة ٣٣ هـ، وقيل: بل سنة ٣٤ هـ.

(التاريخ الكبير ٧: ٢، الاستيعاب ٢: ٣٥٨ ـ ٣٦٢، أُسد الغابة ٣: ١٠٩ ـ ١١٢، تهذيب الكمال ١٤: ٢٢٥ ـ ٢٣٠، سير أعلام النبلاء ٢: ٧٨ ـ ١٠٣، مرآة الجنان ١: ٧٣، الإصابة ٤: ٣٠، تقريب التهذيب ١: ٤٧٣، تهذيب التهذيب ٥: ١٠٧ ـ ١٠٨، شذرات الذهب ١: ٣٨).

(١٠) أُمّ معاوية هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس. شهدت أُحداً كافرة مع زوجها أبي سفيان بن حرب، وكانت تقول يوم أُحد:

نحن بنات طارق   نمشي على النمارق
والمسك في المفارق   والدرّ في المخانق
إن تقبلوا نعانق   ونفترش النمارق
وإن تدبروا نفارق   فراق غير وامق

فلمّا استشهد حمزة ﵁ وثبت على جسمه الطاهر، فمثّلت به.

توفّيت في زمن عمر في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة، وقيل: ماتت في زمن عثمان.

(الطبقات الكبرى لابن سعد ٣: ١٠، الاستيعاب ٤: ٤٧٤ ـ ٤٧٥، أُسد الغابة ٥: ٥٦٢ ـ ٥٦٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧: ٢٨١، خزانة الأدب ٣: ٢٤٨ و ١٠: ٤٩٤ ـ ٤٩٥).

(١١) أمّ حبيبة رملة بنت صخر بن حرب. أمّها صفية بنت أبي العاص عمّة عثمان بن عفّان.

كانت تحت عبيد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر الأسدي من حلفاء بني أميّة، فولدت له حبيبة بأرض الحبشة، وكان قد هاجر مع زوجته إلى الحبشة مسلماً، ثمّ تنصّر هناك ومات نصرانياً، فقدم خالد بن سعيد وعمرو بن العاص بأمّ حبيبة من تلك الأرض عام الهدنة، فتزوّج بها الرسول ﷺ، وقيل: إنّ الذي قدم بها شرحبيل بن حسنة.

حدّث عنها: أخواها: معاوية وعنبسة، وابن أخيها عبد الله بن عتبة بن أبي سفيان، وأبو صالح السمّان، وآخرون.

توفّيت سنة ٤٤هـ.

(الطبقات الكبرى لابن سعد ٨: ٩٦ ـ ١٠٠، المعارف ١٣٦ و٣٤٤، الجرح والتعديل ٩: ٤٦١، الثقات لابن حبّان ٣: ١٣١، الاستيعاب ٤: ٤٠١ ـ ٤٠٣ و٤٨٣ ـ ٤٨٤، أسد الغابة ٥: ٤٥٧ ـ ٤٥٨، سير أعلام النبلاء ٢: ٢١٨ ـ ٢٢٣، الكاشف للذهبي ٣: ٤٧١، مرآة الجنان ١: ٩٨، شذرات الذهب ١: ٥٤).

(١٢) أبو عبد الملك مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة القرشي الأموي. أمّه أمينة بنت علقمة بن صفوان.

روى عن: عمر، وعثمان، وعلي، وزيد. وروى عنه: سهل بن أسعد، وسعيد بن المسيّب، وعروة، وأبو بكر بن عبد الرحمان، ومجاهد بن جبر، وغيرهم.

كان كاتب ابن عمّه عثمان وإليه الخاتم، فخانه، وقتل عثمان ونجا هو، وسار مع طلحة والزبير يوم الجمل، فقتل طلحة، ثمّ ولّي المدينة غير مرّة لمعاوية. ولمّا مات معاوية بن يزيد أقبل مروان وانضمّ إليه بنو أميّة

وغيرهم، وحارب الضحّاك الفهري فقتله، وأخذ دمشق ثمّ مصر، ودعا بالخلافة.

كان أحمر الوجه قصيراً أوقص دقيق العنق كبير الرأس واللحية، يلقّب خيط باطل، وكان أحد المحرّضين لمسرف بن عقبة على قتال أهل المدينة، وقد عقد لولديه من بعده: عبد الملك وعبد العزيز، وزهّد الناس في خالد بن يزيد بن معاوية، وسبّه يوماً وكان متزوّجاً بأُمّه، فأضمرت له الشرّ، فلمّا نام عندها وثبت مع جواريها وغمّته بوسادة قعدن على جوانبها حتّى مات، فصرخن وظنّ أنّه مات فجأة، وقيل: مات بالطاعون سنة ٦٥هـ بدمشق.

(الطبقات الكبرى لابن سعد ٥: ٣٥-٤٣، طبقات خليفة ٤٠٥، التاريخ الكبير ٧: ٣٦٨، الجرح والتعديل ٨: ٢٧١، الجمع بين رجال الصحيحين ٢: ٥٠١-٥٠٢، دول الإسلام ١: ٤٨، سير أعلام النبلاء ٣: ٤٧٦-٤٧٩، البداية والنهاية ٨: ٢٣٩ و٢٥٧-٢٦٠، العقد الثمين ٦: ٥٢-٥٥، نزهة الألباب ١: ٢٤٩، شذرات الذهب ١: ٧٣، الغدير ٨: ٣٠٦-٣١٤).

(١٣) أبو عثمان سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أُميّة الأُموي القرشي، قُتل أبوه يوم بدر مشركاً، وخلّف سعيداً طفلاً.

لم يرو عن النبي ﷺ، وروى عن: عمر، وعائشة. وحدّث عنه: ابناه: عمرو و يحيى، وعروة، وسالم بن عبد الله.

ولّي إمرة المدينة غير مرّة لمعاوية، وكذلك ولّي إمرة الكوفة لعثمان، فقدمها وهو شاب مترف، فأضرّ بأهلها، فقاموا عليه وطردوه بعد ولاية خمس سنين تقريباً، وأمّروا عليهم أبا موسى، فأبى سعيد ذلك وجدّد البيعة في أعناقهم لعثمان، فولّاه عثمان عليهم مرةً أُخرى.

غزا طبرستان فافتتحها، وكان من المعتزلين لحربي الجمل وصفّين.
توفّي بقصره بالعرصة على ثلاثة أميال من المدينة سنة ٥٩ هـ، وحُمل إلى البقيع، وقيل: توفّي سنة ٥٧ هـ، وقيل: بل سنة ٥٨ هـ.
(الطبقات الكبرى لابن سعد ٥: ٣٠ ـ ٣٥، التاريخ الكبير ٣: ٥٠٢، الجرح والتعديل ٤: ٤٨، أُسد الغابة ٢: ٣٠٩ ـ ٣١١، مختصر تاريخ مدينة دمشق ٩: ٣٠٥ ـ ٣١٨، تهذيب الكمال ١٠: ٥٠١ ـ ٥١٠، دول الإسلام ١: ٤٤، سير أعلام النبلاء ٣: ٤٤٤ ـ ٤٤٩، الكاشف للذهبي ١: ٣٦٣ ـ ٣٦٤، البداية والنهاية ٨: ٨٣ ـ ٨٧، العقد الثمين ٤: ٢١٢ ـ ٢١٨، تهذيب تاريخ مدينة دمشق ٦: ١٣٣ ـ ١٤٧).

(١٤) أبو العبّاس عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم القرشي الهاشمي المعروف بحبر الأُمّة أو البحر. أُمّه أُم الفضل لبابة بنت الحارث الهلاليّة.
مولده بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين، وانتقل مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح، وقد مسح النبي ﷺ على رأسه ودعا له بالحكمة.
كان وسيماً مديد القامة مهيباً ذكي النفس من رجال الكمال.
صحب النبي ﷺ نحواً من ثلاثين شهراً، وحدّث: عنه، وعن عمر، وعلي، ومُعاذ، ووالده، وعبد الرحمان بن عوف، وخلق. وروى عنه: ابنه علي، وابن أخيه عبد الله بن مَعبَد، وأخوه كثير بن العبّاس، وأنس بن مالك، وعروة بن الزبير، وطاووس، وسعيد بن جبير، وأبو العالية، وعطاء، وغيرهم.
شهد مع علي عليه السلام الجمل وصفّين والنهروان، وكان أمير البصرة زمن علي عليه السلام، وقد غزا ابن عبّاس أفريقية مع ابن أبي سرح.
وذكر ابن حزم في الإحكام: أنّ أبا بكر محمّد بن موسى بن يعقوب بن

المأمون العبّاسي جمع فتاوىٰ ابن عبّاس في عشرين مجلّداً.

توفّي بالطائف بسنة ٦٧هـ أو ٦٨هـ، وعمره إحدىٰ وسبعون سنة، وصلّىٰ عليه محمّد بن الحنفية، و قيل في سنة وفاته غير هذا.

(الجرح والتعديل ٥: ١١٦، الثقات لابن حبّان ٣: ٢٠٧ـ٢٠٨، حلية الأولياء ١: ٣١٤ـ٣٢٩، أدب الدنيا والدين ٣٢ و١٠٤، الإحكام لابن حزم ٥: ٨٧ـ٨٨، الاستيعاب ٣: ٦٦ـ٧١، صفوة الصفوة ١: ٧٤٦ـ٧٥٨، وفيات الأعيان ٣: ٦٢ـ٦٤، تذكرة الحفّاظ ١: ٤٠ـ٤١، سير أعلام النبلاء ٣: ٣٣١ـ٣٥٩، البداية والنهاية ٨: ٢٩٥ـ٣٠٧، العقد الثمين ٤: ٣٧٢ـ٣٧٤، الإصابة ٤: ٩٠ـ٩٤، تهذيب التهذيب ٥: ٢٤٢ـ٢٤٥، طبقات المفسّرين للداوودي ١: ٢٣٩).

(١٥) أبو جعفر عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم القرشي الهاشمي الحبشي المولد المدني الدار ابن ذي الجناحين. أُمّه أسماء بنت عُميس.

استشهد أبوه يوم مؤتة، فكفله النبي ﷺ، ونشأ في حجره، فكان رجلاً عفيفاً حليماً يُلقّب ببحر الجود.

روىٰ عن: النبي ﷺ، وعن عمّه علي، وأُمّه أسماء. وروىٰ عنه: أولاده: إسماعيل واسحاق ومعاوية، والشعبي، وعبّاس بن سهل بن سعد الساعدي، وآخرون.

توفّي سنة ٨٠هـ، وقيل: في سنة وفاته غير ذلك، وصلّىٰ عليه عبد الملك بن مروان.

(طبقات خليفة ٢١٣ و٣٢١، التاريخ الكبير ٥: ٧، تهذيب الكمال ١٤: ٣٦٧ـ٣٧٢، سير أعلام النبلاء ٣: ٤٥٦ـ٤٦٢، العقد الثمين ٤: ٣٣٠ـ٣٣٣، الإصابة ٤: ٤٨ـ٤٩، تهذيب التهذيب ٥: ١٤٩ـ١٥٠، شذرات الذهب ١: ٨٧).

(١٦) أبو عبد الرحمان عبد الله بن عمر بن الخطّاب بن نفيل القرشي العدوي المكّي المدني. أمّه زينب بنت مظعون أُخت عثمان بن مظعون الجمحي.

أسلم وهو صغير، وأوّل غزواته الخندق، وقدم الشام والعراق وفارس غازياً.

روىٰ عن: النبي ﷺ، وعن أبيه، وأبي بكر، وعثمان، وعلي، وبلال، وصُهيب، وزيد بن ثابت، وزيد بن الخطّاب، وغيرهم. وروىٰ عنه: آدم بن علي، وأنس بن سيرين، وبكر المزني، وثابت البناني، والحسن البصري، وطاووس، وخلق.

مات بمكّة سنة ٧٣ هـ، وله سبع وثمانون سنة، وقيل: بل سنة ٧٤ هـ، وصلّىٰ عليه الحجّاج الثقفي، ودُفن بذي طُوىٰ، وقيل: بل بفخ مقبرة المهاجرين.

(الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٢: ٣٧٣ و ٤: ١٤٢ ـ ١٨٨، التاريخ الكبير ٥: ٢ ـ ٣ و ١٢٥، الجرح والتعديل ٥: ١٠٧، حلية الأولياء ١: ٢٩٢ ـ ٣١٤، تاريخ بغداد ١: ١٧١، طبقات الفقهاء للشيرازي ١٩، الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٢٣٨ ـ ٢٣٩، وفيات الأعيان ٣: ٢٨ ـ ٣١، سير أعلام النبلاء ٣: ٢٠٣ ـ ٢٣٩، الإصابة ٤: ١٠٧ ـ ١٠٩، شذرات الذهب ١: ٨١).

(١٧) أبو عيسىٰ المغيرة بن شعبة بن قيس الثقفي. أُمّه أسماء بنت الأفقم بن أبي عمرو بن ظُويلم.

كان رجلاً طويلاً أعور أصهب الشعر أقلص الشفتين ضخم الجثة داهية، يقال له: مغيرة الرأي.

حدّث عنه بنوه: عروة وحمزة وعقّار، والمِسور بن مَخرمة، وعروة بن الزبير، وأبو أُمامة الباهلي، وآخرون.

استعمله عمر على البحرين، فكرهه أهلها ، ومن ثمّ عزله وولاّه البصرة لمدّة ثلاث سنين ، وخلالها حدثت قصّة زناه المشهورة بأُمّ جميل، وكذلك ولّي الكوفة أيضاً .

توفّي بالكوفة سنة ٥٠ هـ، وله سبعون عاماً .

(التاريخ الكبير ٧ : ٣١٦ـ٣١٧، المعارف ٢٩٤ـ٢٩٥، الجرح والتعديل ٨ : ٢٢٤، الأغاني ١٦ : ٤٢ ـ ٦٠، الجمع بين رجال الصحيحين ٢ : ٤٩٩ ، الكاشف للذهبي ٣ : ١٦٨ ، مرآة الجنان ١ : ١٠٠ ، البداية والنهاية ٨ : ٤٨ ـ ٤٩ ، العقد الثمين ٦ : ١١٠ ـ١١٣ ، تهذيب التهذيب ١٠ : ٢٣٤ـ٢٣٥ ، شذرات الذهب ١ : ٥٦) .

(١٨) أبو المغيرة زياد بن أبيه . أُمّه سمية التي كانت مولاة للحارث بن كَلَدَة الثقفي ، فزوّجها عُبيداً الثقفي، فولدت له زياداً، ويقال: إنّه تولّد من غيره .

ولد عام الهجرة ، وكان أخاً لأبي بكرة الثقفي من أُمّه .

ولمّا رآه معاوية من أفراد الدهر استعطفه وادّعاه سنة ٤٤ هـ.

سمع من : عمر ، وغيره ، وروىٰ عنه : ابن سيرين ، وعبد الملك بن عُمير ، وجماعة .

كان خطيباً وفاتكاً ، استكتبه أبو موسىٰ الأشعري زمن إمرته على البصرة ، وكذلك المغيرة وابن عبّاس.

ولمّا توفّي علي كان زياد نائباً عنه علىٰ إقليم فارس ، ومن ثمّ ولّي البصرة والكوفة لمعاوية .

بلغ الحسن بن علي أنّ زياداً يتتبّع شيعة علي بالبصرة ويقتلهم ، فدعا عليه ، فخرج من إصبعه دمل ، فمات سنة ٥٣ هـ بالكوفة .

(الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٧ : ٩٩ ـ ١٠٠ ، التاريخ الكبير ٣ : ٣٥٧ ،

المعارف ٣٤٦، الاستيعاب ٢: ٩٩-١٠٥، أُسد الغابة ٢: ٢١٥-٢١٦، سير أعلام النبلاء ٣: ٤٩٤-٤٩٧، مرآة الجنان ١: ١٠٢، الإصابة ٣: ٤٢-٤٣، تهذيب تاريخ مدينة دمشق ٥: ٤٠٩-٤٢٦).

(١٩) أبو عبد الله عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أُمّه النابغة بنت حرملة سبيّة من بني جلان بن عنزة بن أسد.

كان له أخوان وأُخت واحدة من طرف أمّه، هم: عمرو بن أُثاثة العَدوي، وعقبة بن نافع بن قيس بن لقيط من بني الحارث بن فهر، وزينب بنت عفيف بن أبي العاص.

أسلم سنة ٨ هـ قبل فتح مكّة، وكان معروفاً بالمكر والدهاء، فولّي على عُمان، وعمل لعمر وعثمان ومعاوية، وكان عمر قد ولاّه بعد موت يزيد ابن أبي سفيان فلسطين والأُردن، وافتتح مصر، فلم يزل والياً عليها حتّى مات عمر، فأقرّه عثمان عليها أربع سنين أو نحوها، ثمّ عزله عنها وولاّها عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، وكان ذلك بدء الشرّ بين عثمان وعمرو، فاعتزل عمرو في ناحية فلسطين، وكان يأتي المدينة أحياناً ويطعن على عثمان، فلما قُتل عثمان سار إلى معاوية وشهد معه صفّين، ثمّ ولاّه مصر، فلم يزل عليها أميراً إلى أن مات سنة ٤٣ هـ، وقيل: سنة ٤٢ هـ، وقيل: سنة ٥١ هـ، ودُفن بالمقطّم من ناحية الفتح بعد أن صلّى عليه ابنه عبد الله.

(المعارف ٢٨٥-٢٨٦، الجرح والتعديل ٦: ٢٤٢، الاستيعاب ٣: ٢٦٦-٢٧٠، الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٣٦٢، تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات ٤١ هـ - ٦٠ هـ) ٨٩-٩٨، مرآة الجنان ١: ٩٧، العقد الثمين ٥: ٣٩٦-٤١٠، الإصابة ٥: ٢-٣، تهذيب التهذيب ٨: ٤٩-٥١، شذرات

الذهب ١ : ٥٣).

(٢٠) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب الأُموي، أُمّه بنت عبد بن زمعة بن قيس .

حكىٰ عن أبيه وعمّه ، وحكىٰ عنه مولىٰ أبيه سعد المعروف بسعد القصر .

وقيل : روىٰ عن ابن عبّاس ، وروىٰ عنه محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي .

ولّي لعمّه معاوية المدينة ، وولّي الموسم عدّة مرّات آخرها سنة ٦٢هـ .

وكان بدمشق حين بايع الضحّاك بن قيس لابن الزبير ، فأنكر ذلك ، فحبسه ابن قيس .

قال يعقوب الفسوي : (أراد أهل الشام الوليد بن عتبة علىٰ الخلافة ، فطُعن، فمات بعد موت معاوية بن يزيد سنة ٦٤هـ) .

وقيل : أصابه الطاعون وهو في الصلاة ، فمات !

(الثقات لابن حبّان ٥ : ٤٩١ ، تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات ٦١هـ - ٨٠هـ) ٢٦٦ - ٢٦٧ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٥٣٤ ، مرآة الجنان ١ : ١١٣، العقد الثمين ٦ : ١٩٤ - ١٩٧ ، شذرات الذهب ١ : ٧٢) .

(٢١) أبو يحيىٰ أُسيد بن الحُضَير بن سِمَاك بن عَتِيك الأوسي الأشهلي الأنصاري . أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة ، كان يعدّ من عقلاء الرجال وذوي الرأي .

وأمّا أبوه فقد كان شريفاً مطاعاً يُدعىٰ حُضير الكتائب ، وكان رئيساً للأوس يوم بُعاث ، فقُتل يومئذٍ قبل عام الهجرة بستّ سنين .

أسلم أُسيد قديماً على يد مصعب بن عُمير ، وآخىٰ النبي ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة ، ولم يشهد بدراً ، وشهد أُحداً وجرح يومئذٍ .

روىٰ عنه : كعب بن مالك ، وعائشة ، وعبد الرحمان بن أبي ليلىٰ ، ولم يلحقه .

توفّي بالمدينة سنة ٢٠ هـ ، وقيل : سنة ٢١ هـ ، وصلّىٰ عليه عمر ، ودُفن بالبقيع .

(التاريخ الكبير ٢ : ٤٧ ، الجرح والتعديل ٢ : ٣١٠ ، الاستيعاب ١ : ١٨٥ ـ ١٨٦ ، أُسد الغابة ١ : ٩٢ ـ ٩٣ ، تهذيب التهذيب ١ : ٣٠٢ ـ ٣٠٤ ، شذرات الذهب ١ : ٣١ ، تهذيب تاريخ مدينة دمشق ٣ : ٥٣ ـ ٦١) .

(٢٢) أُمّ عبد الله عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة عثمان بن عامر التيميّة القرشيّة ، زوجة الرسول ﷺ ، أُمّها أُمّ رومان بنت عامر بن عويمر الكِنانية .

روت عن : النبي ﷺ ، وعن أبيها ، وعمر ، وسعد ، وحمزة بن عمرو الأسلمي ، وجُدامة بنت وهب . وروىٰ عنها خلق كثير منهم : إسحاق بن طلحة ، وحمزة بن عبد الله بن عمر ، وخُبيب بن عبد الله بن الزبير ، وذكوان الكندي ، وزيد بن أسلم ، وسعيد بن الأشدق ، وعمران بن حطّان ، وابن سيرين ، ومحمّد بن المنتشر ، وأبو هريرة ، وعائشة بنت طلحة .

توفّيت بالمدينة سنة ٥٧ هـ ، وقيل : سنة ٥٨ هـ ، عن عمر ناهز الثلاث والستّين سنة ، وقيل : (٦٧) سنة ، وصلّىٰ عليها أبو هريرة ، ودُفنت بالبقيع .

(الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٨ : ٥٨ ـ ٨١ ، حلية الأولياء ٢ : ٤٣ ـ ٥٠ ، الاستيعاب ٤ : ٤٣٥ ـ ٤٣٦ ، أُسد الغابة ٥ : ٥٠١ ـ ٥٠٤ ، الإصابة ٨ : ١٣٩ ـ ١٤١ ، تهذيب التهذيب ١٢ : ٤٦١ ـ ٤٦٣ ، شذرات الذهب ١ : ٦١ ـ ٦٣) .

(٢٣) أبو قيس سعد بن عُبادة بن دُلَيْم بن حارثة الخزرجي الساعدي

الأنصاري ، سيّد الخزرج ونقيبها، أمّه عَمْرَة ـ وقيل : أمّ عمرة ـ بنت سعد ابن عمرو بن زيد مناة .

كان يكتب في الجاهلية ، ويُحسن العوم والرمي ، وكان جواداً سيّداً ، راية الأنصار بيده يوم الفتح . روىٰ عنه : سعيد بن المسيّب ، والحسن البصري ، وولداه قيس وسعيد ، وابن عبّاس .

أحاط به الأنصار يوم وفاة الرسول ﷺ ليبايعوه ، وكان يومها موعوكاً حتّىٰ أقبل أبو بكر وجماعته ، فردّهم عن رأيهم ، فلم يطب ذلك لسعد .

مات بحوران الدمشقيّة من رمية سهم سنة ١٤ هـ ، وقيل : سنة ١٦ هـ ، وقيل : سنة ١٥ هـ ، وقيل: سنة ١١ هـ . ونسبوا قاتله إلىٰ الجنّ !

(طبقات خليفة ١٦٦ و٥٥٤ ، المعارف ٢٥٩ ، الجرح والتعديل ٤ : ٨٨ ، الاستيعاب ٢ : ١٦١ ـ ١٦٤ ، أُسد الغابة ٢ : ٢٨٣ ـ ٢٨٥ ، تهذيب الكمال ١٠ : ٢٧٧ ـ ٢٨١ ، دول الإسلام ١ : ١٥ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٢٧٠ ـ ٢٧٩ ، مرآة الجنان ١ : ٦٢ ، شذرات الذهب ١ : ٢٨ ، تهذيب تاريخ مدينة دمشق ٦ : ٨٦ ـ ٩٢) .

(٢٤) أبو هُريرة الدوسي اليماني . اختُلف في اسمه ، وأرجح الأسماء عند الذهبي في سير أعلام النبلاء : عبد الرحمان بن صخر .

وكذا في اسم أبيه أقوال ، قال شَبَاب : هو عُمير بن عامر بن ذي الشرىٰ ، أُمّه ميمونة بنت صَبيح .

كُنّي بهرّة برّية ، قال : وجدتها ، فأخذتها في كمّي ، فكُنيت بذلك .

روىٰ عن النبي ﷺ روايات كثيرة ، وعن : أُبي ، وأبي بكر ، وعمر ، وأُسامة ، والفضل ، وكعب الأحبار ، وعائشة ، وبصرة بن أبي بصرة . وحدّث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين ، منهم : أنس بن مالك ،

وجابر بن عبد الله، والحسن البصري، وزياد الطائي، وسالم بن أبي الجعد، وابن المسيّب، وسليمان بن يسار، وشُريح بن هانئ، وطاووس اليماني، وعامر بن سعد بن أبي وقّاص، وعروة بن الزبير، ومجاهد.

قيل: كان أبيض طويلاً ذا لحية حمراء. وكان إسلامه عام خيبر، وأكثر إقامته في ذي الحليفة، وقد ولّي البحرين لعمر، ثمّ عزله، وكان في بعض الأوقات ينوب عن مروان في المدينة.

اختُلف في سنة وفاته، فقيل: توفّي سنة ٥٧ هـ، وقيل: سنة ٥٨ هـ، وقيل: سنة ٥٩ هـ. وصلّى عليه الوليد بن عتبة، ودُفن في البقيع.

(أخبار القضاة لوكيع ١: ١١١ـ١١٣، حلية الأولياء ١: ٣٧٦ـ٣٨٥، الاستيعاب ٤: ٣٣٢ـ٣٣٥، أُسد الغابة ٥: ٣١٥ـ٣١٧، سير أعلام النبلاء ٢: ٥٧٨ـ٦٣٢، البداية والنهاية ٨: ١٠٣ـ١١٥، الإصابة ٧: ١٩٩ـ٢٠٧، شذرات الذهب ١: ٦٣، تنقيح المقال ٢: ٣٨).

(٢٥) اختُلف في اسم أبي الدرداء الأنصاري، فقيل: عُويمر بن عامر بن مالك وقيل: عامر بن مالك، وقيل: عُويمر بن قيس بن زيد بن أُميّة، وقيل: عُويمر بن عبد الله. واتّفقوا على النسب في ما بعد أُميّة، وهو: أُميّة بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج، أُمّه محبّة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة، وقيل: واقدة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة.

كان قبل الإسلام تاجراً، وتأخّر إسلامه قليلاً. آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي. شهد ما بعد أُحد من المشاهد، واختلف في شهوده معركة أُحد.

روى عن النبي ﷺ. وروى عنه: أنس بن مالك، وابن عبّاس، وأبو أُمامة، وزيد بن وهب، وابنه بلال بن أبي الدرداء، وغيرهم.

استقضاه عمر بن الخطّاب، وكذلك معاوية.

اختُلف في سنة وفاته ـ مع الاتّفاق على أنّه توفّي بدمشق وأنّ عقبه بالشام ـ على أقوال، فقيل: توفّي في زمن عثمان قبل قتله بسنتين، وقيل: توفّي سنة ٣١ هـ، وقيل: سنة ٣٢ هـ، وقيل: سنة ٣٤ هـ، وقيل: إنّه توفّي بعد صفّين.

(الطبقات الكبرى لابن سعد ٧: ٣٩١ـ٣٩٣، التاريخ الكبير ٧: ٧٦ـ٧٧، المعارف ٢٦٨، الجرح والتعديل ٧: ٢٦ـ٢٨، حلية الأولياء ١: ٢٠٨ـ٢٢٧، صفوة الصفوة ١: ٦٢٧ـ٦٤٣، أُسد الغابة ٤: ١٥٩ـ١٦٠ و٥: ١٨٥ـ١٨٦، تذكرة الحفّاظ ١: ٢٤ـ٢٥، سير أعلام النبلاء ٢: ٣٣٥ـ٣٥٣، الإصابة ٥: ٤٦ و٧: ٥٨، تهذيب التهذيب ٨: ١٥٦ـ١٥٧، طبقات الحفّاظ ٧، شذرات الذهب ١: ٣٩).

(٢٦) أبو العبّاس تقي الدين أحمد بن علي بن علي بن عبد القادر الحسيني العُبيدي المصري المعروف بابن المقريزي، المؤرّخ والمحدّث المشهور.

ولد في سنيات سنة ٧٦٦ هـ، وقيل: سنة ٧٦٩ هـ، وتفقّه على مذهب أبي حنيفة، ثمّ تحوّل إلى المذهب الشافعي بعد مدّة طويلة.

سمع من: برهان الدين إبراهيم بن أحمد الشافي، وناصر الدين محمّد بن علي الحراوي، وبرهان الدين الآمدي، وسراج الدين البلقيني، وغيرهم.

ولّي حسبة القاهرة غير مرّة من قبل الملك برقوق، وألّف كتباً كثيرة حتّى قيل: إنّها زادت على مائتي مجلّد كبير، منها: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ودرر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، والخبر عن البشر، وتجريد التوحيد، وشذور العقود، والسلوك في معرفة دول

الملوك .

توفّي يوم الخميس السادس عشر من رمضان سنة ٨٤٥هـ، ودفن بمقبرة الصوفيّة خارج باب النصر في القاهرة .

(المنهل الصافي ١ : ٤١٥ ـ ٤٢٠، وجيز الكلام ٢: ٥٨٠، شذرات الذهب ٧: ٢٥٤ـ٢٥٥، البدر الطالع ١ : ٧٩ـ٨١، إيضاح المكنون ١ : ١٢٢، ٢٠٧، ٣٧٠ و٢ : ٥١٢، ٦٣٣، هدية العارفين ١ : ١٢٧، معجم المؤلّفين ٢ : ١١ـ١٢) .

(٢٧) دَغْفل بن حنظلة بن زيد بن عَبَدَة الشيباني السدوسي النسّابة المشهور. أدرك النبي ﷺ، ولم يسمع منه شيئاً، ووفد على معاوية وأتاه قُدَامة بن جَرَاد القُرَيعي، فنسبه دغفل، ومن ثمّ عيّنه معاوية لتعليم يزيد النجوم والأنساب والعربيّة، ونزل البصرة.

قال ابن سيرين: (كان دغفل رجلاً عالماً، ولكن اغتلبه النسب).

روى عنه: الحسن البصري، وأخوه سعيد، وعبد الله بن بريدة، وابن سيرين.

قتله الأزارقة في معركة دولاب قبل سنة ستّين للهجرة، وقيل: غرق بفارس في قتال الخوارج.

(طبقات خليفة ٢٤٠، العلل لأحمد ١: ٢٤١، البيان والتبيين ١: ٤٧ و١٢١ و١٣٠ و٢٧٣ و٣٠٤ و٣٢٢، التاريخ الكبير ٣: ٢٥٤ ـ ٢٥٥، المعارف ٩٩ و٥٣٤، الكامل في اللغة والأدب ١: ١١٨، الثقات لابن حبّان ٣: ١١٨، الاستيعاب ٢: ٤٥، ربيع الأبرار ٤: ٢٦٨، الإصابة ٢: ١٦٣ ـ ١٦٤، تقريب التهذيب ١: ٢٨٤، تهذيب تاريخ مدينة دمشق ٥: ٢٤٥ ـ ٢٥٠، بلوغ الإرب ٣: ١٩٨).

(٢٨) أبو عبد الرحمان الهيثم بن عدي بن عبد الرحمان الطائي الكوفي

الأخباري والمؤرّخ المعروف.

حدّث عن: هشام بن عروة، ومجالد، وابن أبي ليلى، وسعيد بن أبي عَرُوبة، وجماعة.

وروى عنه: محمّد بن سعد، وأبو الجهم الباهلي، وعلي بن عمرو الأنصاري، وآخرون.

وهو من بابة الواقدي، وقلّ ما روى من المسند. له عدّة مؤلّفات منها: المثالب، وبيوتات العرب، ونسب طي، والوفود، وولاة الكوفة، وكنى الأشراف، والخوارج.

نُقل عن المديني أنّه قال: (هو عندي أصلح من الواقدي)، وعن ابن معين قوله: (إنّه كذّاب)، وعن البخاري: (سكتوا عنه)، وعن النسائي: (أنّه متروك الحديث).

توفّي بفم الصلح بواسط سنة ٢٠٧ هـ، وله ثلاث وتسعون سنة.

(المعارف ٥٣٨ـ٥٣٩، الضعفاء للعقيلي ٤: ٣٥٢ـ٣٥٣، الجرح والتعديل ٩: ٨٥، الكامل لابن عدي ٧: ١٠٤، تاريخ بغداد ١٤: ٥٠ـ٥٤، معجم الأُدباء ١٩: ٣٠٤ـ٣١٠، ميزان الاعتدال ٤: ٣٢٤ـ٣٢٥، لسان الميزان ٦: ٢٩، طبقات المفسّرين للداوودي ٢: ٣٥٥ـ٣٥٦).

(٢٩) أبو الفرج علي بن الحسين بن محمّد بن أحمد بن الهيثم القرشي الأُموي الأصفهاني، الكاتب والعلّامة المعروف.

ولد سنة ٢٨٤ هـ، وكان بصيراً بالأنساب والسير جيّد الشعر، عبّر عنه الذهبي بقوله: (كان بحراً في نقل الآداب).

سمع: مطيّناً، ومحمّد بن جعفر القتّات، وأبا الحسين بن أبي الأحوص، وأبا بكر بن دريد، وجَحْظَة، ونفطويه، وخلائق. وحدّث عنه: الدارقطني،

وإبراهيم بن أحمد الطبري، وعلي بن أحمد بن داوود الرزّاز، وآخرون.

كان ملازماً للوزير المهلّبي، وله فيه مدائح، وله تشيّع كما قيل.

من مصنّفاته: الأغاني، مقاتل الطالبيين، الإماء الشواعر، آداب الغرباء، أيام العرب.

توفّي ببغداد بعد أن خلط سنة ٣٥٦ هـ، وقيل: سنة ٣٥٧ هـ.

(فهرست ابن النديم ١٤٤ ـ ١٤٥، تاريخ أصفهان ١: ٤٤٧، الفهرست للطوسي ٥٤٤ـ٥٤٥، معجم الأُدباء ١٣: ٩٤ـ١٣٦، وفيات الأعلام ٣: ٣٠٧ ـ ٣٠٩، دول الإسلام ١: ٢٢١، سير أعلام النبلاء ١٦: ٢٠١ ـ ٢٠٣، ميزان الاعتدال ٣: ١٢٣ ـ ١٢٤، شذرات الذهب ٣: ١٩ ـ ٢٠، نسمة السحر ٢: ٣٧٥ ـ ٣٨٢، روضات الجنّات ٥: ٢٢٠ـ٢٢٦، هدية العارفين ١: ٦٨١).

(٣٠) العاص بن وائل بن هاشم بن سُعيد. والد عمرو بن العاص من زوجته النابغة العنزية، ووالد هشام من زوجته أمّ حرملة بنت هشام بن المغيرة خالة عمر بن الخطّاب.

كانت مهنته معالجة الخيل والإبل، وفيه نزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

(المعارف ٢٨٥ و٥٧٦).

(٣١) أبو الحسن علي بن العبّاس بن جُريج المعروف بابن الرومي مولى عبيد الله بن عيسى بن جعفر بن المنصور، الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب.

ولد ببغداد سنة ٢٢١ هـ، له قصائد مطوّلة ومقاطيع بديعيّة، وكان مدّاحاً هجّاءً، مدح يحيى بن عمر وعلي الهادي ﷺ.

روى شعره المسيّبي، ثمّ عمله أبو بكر الصولي، ورتّبه وجمعه ابن عبدوس. وكان كثير التطيّر.

توفّي سنة ٢٨٣ هـ، وقيل: سنة ٢٨٤ هـ، وقيل: بل سنة ٢٧٦ هـ، ودُفن في مقبرة باب البستان ببغداد، وكان سبب موته أنّه دسّ إليه السمّ من قبل وزير المعتضد أبي الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب.

(تاريخ بغداد ١٢: ٢٣ـ ٢٦، وفيات الأعيان ٣: ٣٥٨ـ ٣٦٢، سير أعلام النبلاء ١٣: ٤٩٥ـ ٤٩٦، شذرات الذهب ٢: ١٨٨ ـ ١٩٠، نسمة السحر ٢: ١٨٨ ـ ١٩٠، الغدير ٣: ٥١ ـ ٨١، دائرة المعارف الإسلاميّة ١: ١٨١ ـ ١٨٢، الأعلام للزركلي ٤: ٢٩٧).

(٣٢) أبوذر جُندَب بن جُنَادة الغَفاري الصحابي المشهور، اختُلف في اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة. أُمّه رملة بنت الوقيعة الغفارية.

كان إسلامه قديماً، فيقال: بعد ثلاثة، ويقال: بعد أربعة، ثمّ رجع إلى بلاده بعدما أسلم، فأقام بها حتّى مضت بدر والخندق، ثمّ قدم على النبي ﷺ المدينة، فصحبه إلى أن توفّي، ثمّ خرج بعد وفاة أبي بكر إلى الشام، فلم يزل بها حتّى ولّي عثمان، فاستقدمه لشكوى معاوية به، ثمّ نفاه إلى الربذة في قصة مشهورة، فمات بها سنة ٣٢ هـ، وصلّى عليه جماعة من الكوفة فيهم حجر بن عدي ومالك الأشتر وابن مسعود.

روى عن النبي ﷺ. وروى عنه جماعة منهم: ابن عبّاس، وأنس بن مالك، وابن عمر، والأحنف بن قيس، وعبد الله بن الصامت، وابن أبي ليلى.

كان من أوعية العلم المبرّزين في الزهد والورع والصدق والعمل بالحقّ، لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان حامل راية غفار يوم حُنين، وفيه قال النبي ﷺ قولته المشهورة: «ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر».

(الطبقات الكبرى لابن سعد ٤: ٢١٩ـ ٢٣٧، تاريخ ابن معين ١: ٢٢، طبقات

خليفة ٧١، حلية الأولياء ١: ١٥٦ ـ ١٧٠، الاستيعاب ١: ٢٢١ ـ ٢٢٤ و ٤: ٢١٦ـ٢١٨، الإكمال لابن ماكولا ٣: ٢٣٣، الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٧٥ـ٧٦، صفوة الصفوة ١: ٥٨٤ ـ ٦٠٠، أُسد الغابة ١: ٢٠١ـ٢٠٢ و ٥: ١٨٦ـ ١٨٨، سير أعلام النبلاء ٢: ٤٦ ـ ٧٨، مرآة الجنان ١: ٧٥، شذرات الذهب ١: ٣٩).

(٣٣) الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس الكلبية، زوجة الإمام الحسين عليه السلام.

كانت من خيار النساء أدباً وعقلاً وجمالاً. أسلم والدها في خلافة عمر، وولّاه على من أسلم بالشام من قضاعة، وما أمسىٰ حتّىٰ خطب إليه علي عليه السلام ابنته الرباب علىٰ ابنه الحسين، فزوّجه إيّاها، فولدت له السيّدة سكينة وعبد الله الرضيع. وقد خُطبت بعد استشهاد الحسين فأبت وقالت: «ما كنت لأتّخذ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حمواً»، ورثته بقولها:

إنّ الذي كان نوراً يستضاء به ... بكربلاء قتيلاً غير مدفون
سبط النبي جزاك الله صالحة ... عنّا وجنّبت خسران الموازين
من لليتامىٰ ومن للسائلين ومن ... يغني ويأوي إليه كلّ مسكين
والله لا أبتغي صهراً بصهركم ... حتّىٰ أُغيّب بين الرمل والطين

توفّيت سنة ٦٢هـ.

(الأغاني ١٦: ٨٩، نسمة السحر ٢: ١٣٣ ـ ١٣٤، الأعلام للزركلي ٣: ١٣، أدب الطفّ ١: ٦١ـ٦٣).

(٣٤) أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن الخزرجي الأنصاري خادم الرسول صلى الله عليه وآله والمقرئ المحدّث.

ولد قبل عام الهجرة بعشر سنين، وكان أبرص وبه وضح شديد، وقد

صلّىٰ بالناس في البصرة أربعين يوماً بإشارة عبد الله بن الزبير بعد موت يزيد بن معاوية، واختُلف في سنة وفاته، فقيل: سنة ٩١ هـ، وقيل: سنة ٩٢ هـ، وقيل سنة ٩٣ هـ.

روىٰ عن النبي ﷺ، وعن: أبي بكر، وعمر، وعثمان، ومعاذ، وأبي ذر، وأُسيد بن الحضير، وعدّة. روىٰ عنه خلق عظيم منهم: الحسن، وابن سيرين، وعمر بن عبد العزيز، وثابت البناني، والزهري، وقَتَادة، وحُميد الطويل.

(الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٧: ١٧ ـ ٢٦، طبقات خليفة ١٥٩ و٣١٦، التاريخ الكبير ٢: ٢٧ ـ ٢٨، المعارف ٣٠٨، الجرح والتعديل ٢: ٢٨٦، مشاهير علماء الأمصار ٣٧، تهذيب الكمال ٣: ٣٥٣ ـ ٣٧٨، تذكرة الحفّاظ ١: ٤٢، سير أعلام النبلاء ٣: ٣٩٥ ـ ٤٠٦، مرآة الجنان ١: ١٤٥، الإصابة ١: ٧١ ـ ٧٣).

(٣٥) ابن أُمّ حميدة أشعب بن جُبير المدني، خال الأُصمعي. كان يضرب المثل بطمعه حتّىٰ لقّب بأشعب الطمّاع، وأخباره المضحكة كثيرة: يقال: إنّه وفد علىٰ الوليد بن يزيد.

روىٰ قليلاً عن: عكرمة، وسالم، وأبان بن عثمان. وروىٰ عنه: معدي بن سليمان، وأبو عاصم النبيل.

من أخباره: أنّه قال ـ وقد سئل عن درجة طمعه ما بلغت ـ: (ما زفّت امرأة إلّا وكنست بيتي رجاء أن تهدىٰ إليّ!).

توفّي سنة ١٥٤ هـ.

(الأغاني ١٩: ٦٩ ـ ١٢٦، تاريخ بغداد ٧: ٣٧ ـ ٤٤، سير أعلام النبلاء ٧: ٦٦ ـ ٦٨، البداية والنهاية ١٠: ١١١ ـ ١١٣، لسان الميزان ١: ٤٥٠ ـ ٤٥٤، شذرات الذهب ١: ٢٣٦، تهذيب تاريخ مدينة دمشق ٣: ٧٨ ـ ٨٣).

(٣٦) أبو عبد الرحمان حُجر بن عدي بن معاوية الكندي الكوفي. يعدّ من فضلاء الصحابة وممّن تستجاب دعوتهم، وكان رجلاً شريفاً مطاعاً صالحاً متعبّداً.

سمع من: علي، وعمّار. وروىٰ عنه: مولاه أبو ليلىٰ، وأبو البختري الطائي، وغيرهما.

كان علىٰ كندة يوم صفّين، وعلىٰ الميسرة يوم النهروان، ولمّا ولّىٰ معاوية زياداً العراق وأظهر سوء السيرة خلعه حجر وتابعه جماعة من أصحاب علي وشيعته، فكتب زياد إلىٰ معاوية بالأمر، فأمره معاوية أن يبعث إليه حجر وأصحابه، فبعثهم مع وائل بن حجر الحضرمي في اثني عشر رجلاً مكبّلين بالحديد، فقتل معاوية منهم ستّة واستحيا ستّة في قصّة طويلة، وكان حجر ممّن قتل، وذلك في سنة ٥١ هـ في موضع يعرف بمرج عذراء، وهو موضع افتتحه حجر نفسه. وقد خلّف ولدين هما: عبيد الله وعبد الرحمان، قتلهما مصعب بن الزبير لتشيّعهما.

(التاريخ الكبير ٣: ٧٢ ـ ٧٣، المعارف ٣٣٤، الجرح والتعديل ٣: ٢٦٦، مشاهير علماء الأمصار ٨٩، الاستيعاب ١: ٣٨٩ ـ ٣٩١، تاريخ مدينة دمشق ١٢: ٢٠٧ ـ ٢٣٤، أُسد الغابة ١: ٣٨٥ ـ ٣٨٦، سير أعلام النبلاء ٣: ٤٦٢ ـ ٤٦٧، أعيان الشيعة ٤: ٥٦٩ ـ ٥٨٦).

(٣٧) أبو عبد الرحمان عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الراهب الأوسي الأنصاري. أمّه جميلة بنت عبد الله بن أبي سَلُول، وأبوه حنظلة استشهد يوم أُحد، فغسّلته الملائكة؛ لكونه جنباً.

حدّث عن: عبد الله بن يزيد الخَطْمي، وابن أبي مليكة، وضَمضم بن جَوْس، وأسماء بنت زيد العَدَوية.

وفد مع بنيه الثمانية على يزيد، فقال: (جئت من عند رجل لو لم أجد إلّا بنيّ لجاهدته بهم)، فكان رأس الثائرين على يزيد نوبة الحَرّة، فقتل يومئذٍ هو وبنوه الثمانية في سنة ٦٣هـ.

(الطبقات الكبرى لابن سعد ٥: ٦٥-٦٨، طبقات خليفة ٤١٣، التاريخ الكبير ٥: ٦٨، الاستيعاب ٣: ٢٨-٢٩، سير أعلام النبلاء ٣: ٣٢١-٣٢٥، الإصابة ٤: ٥٨-٥٩، تهذيب التهذيب ٥: ١٦٩).

(٣٨) أبو فراس همّام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي المعروف بالفرزدق، والفرزدق الغليظ الوجه، من أشهر الشعراء.

كان جدّه يسمّى محيي الموؤدات، وفد على النبي ﷺ وأسلم، ووفد أبوه على علي عليه السلام بصحبة ابنه الفرزدق، وكان شيعياً مائلاً لبني هاشم، وله الأبيات المشهورة في زين العابدين علي بن الحسين، قالها بمسمع من هشام بن عبد الملك في أيام الحجّ، وله مع جرير النقائض المعروفة.

توفّي سنة ١١٠هـ بالبصرة.

(طبقات الشعراء لابن سلّام ١١١-١٢٣، الأغاني ٢١: ٤٠٠-٤٠٢، معجم الأُدباء ١٩: ٢٩٧-٣٠٣، وفيات الأعيان ٦: ٨٦-١٠٠، معاهد التنصيص ١: ٤٥-٥١، شذرات الذهب ١: ١٤١-١٤٤، أبجد العلوم ٣: ٦٢-٦٣، هدية العارفين ٢: ٢١٠، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١: ٢٠٩-٢١٤).

(٣٩) أبو المطرّف سليمان بن صُرد بن الجون بن أبي الجون الخزاعي الكوفي، من أصحاب الرسول ﷺ في الطبقة الثالثة من المهاجرين. كان اسمه يسار، فسمّاه الرسول ﷺ سليمان، وله في قومه شرف وسؤدد، وكان ديّناً عابداً.

روى عن: النبي ﷺ، وعن أُبي، وجبير بن مطعم. وروى عنه: يحيى بن

يعمر، وعدي بن ثابت، وأبو إسحاق، وآخرون.

نزل الكوفة بعد وفاة الرسول ﷺ، وشهد مع علي الجمل وصفّين، وكان في الذين كتبوا إلىٰ الحسين أن يقدم الكوفة، وبعد استشهاد أبي عبد الله قام بجمع طائفة من الناس سمّوا بجيش التوّابين مطالباً بثأر الحسين، فاقتتل هو وأصحابه مع الحصين بن نمير في عين الوردة، فقتله الحصين وبعث برأسه إلىٰ مروان سنة ٦٥ هـ، وكان سنّه يوم قُتل ثلاث وتسعين سنة.

(الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٤: ٢٩٢ ـ ٢٩٣ و ٦: ٢٥ ـ ٢٦، الجرح والتعديل ٤: ١٢٣، مشاهير علماء الأمصار ٤٧، الاستيعاب ٣: ٢١٠ ـ ٢١١، سير أعلام النبلاء ٣: ٣٩٤ ـ ٣٩٥، العقد الثمين ٤: ٢٢٨، الإصابة ٣: ١٢٧).

(٤٠) أبو حفص عمر بن سعد بن أبي وقّاص مالك الزهري القرشي. أُمّه مارية بنت قيس الكندية، علىٰ ما في طبقات خليفة، أو اسمها يسرىٰ بنت قيس بن أبي الكتم الكندية علىٰ ما في الإصابة.

روىٰ له النسائي. وهو أمير الجيش الذي بعثه عبيد الله بن زياد لمحاربة الحسين وصحبه. قتله وولده حفص أبو عمرة صبراً بين يدي المختار الثقفي سنة ٦٦ هـ.

(الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٥: ١٦٨، طبقات خليفة ٤٢٣، المعارف ٢٤٣، الجرح والتعديل ٦: ١١١ ـ ١١٢، تهذيب الكمال ٢١: ٣٥٦ ـ ٣٦٠، سير أعلام النبلاء ٤: ٣٤٩ ـ ٣٥٠، الإصابة ٥: ١٧٤ ـ ١٧٥، تهذيب التهذيب ٧: ٣٩٦ ـ ٣٩٧).

(٤١) أبو السابغة شِمر بن ذي الجوشن الضبابي العامري، اختلف في اسم أبيه، فقيل: شُرَحبيل، وقيل: أوس، وقيل: عثمان.

كان كريه الوجه أبرص من أُمراء عبيد الله بن زياد، وله مواقف مخزية في وقعة الطفّ، والمشهور أنّه هو الذي احتزّ رأس الحسين. قتله المختار الثقفي سنة ٦٦هـ.

(المعارف ٤٠١ و٥٨٢، اللباب في تهذيب الأنساب ٢: ٢٥٨ ـ ٢٥٩، ميزان الاعتدال ٢: ٢٨٠، الوافي بالوفيات ١٦: ١٨٠، لسان الميزان ٣: ١٥٢ ـ ١٥٣، تهذيب تاريخ مدينة دمشق ٦: ٢٤٠ـ٢٤٢).

(٤٢) أبو عقبة مسلم بن عقبة بن رباح بن أسعد المرّي، أدرك النبي ﷺ، وشهد صفّين على الرجّالة مع معاوية، وهو صاحب وقعة الحرّة.

هلك بالمشلّل بين مكّة والمدينة ـ وقيل: بقُديد ـ وهو قاصد لحرب ابن الزبير لسبع بقين من المحرّم سنة ٦٤هـ، فدفنه الحصين بن نمير، وتبعته أُمّ ولد ليزيد بن عبد الله بن زَمْعَة كانت تسير وراءهم، فنبشته وصلبته على المشلّل، وقيل: إنّها نبشته فوجدت ثعباناً يمصّ أنفه فأحرقته، وقال الذهبي معلّقاً: (فرضي الله عنها وشكر سعيها).

(المعارف ٣٥١، أخبار القضاة لوكيع ١: ١٢٣، تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات ٦١هـ ـ ٨٠هـ) ٢٣٤ ـ ٢٣٥، مرآة الجنان ١: ١١٢).

(٤٣) يزيد بن زياد بن ربيعة المعروف بابن مُفَرِّغ الحِميَري البصري، من فحول الشعراء.

كان أبوه زياد حدّاداً، ولقّب بالمفرّغ لأنّه راهن على سقاء من لبن فشربه حتّى فرّغه. ولابن مفرّغ مديح وهجو مقذع، حيث هجا عبيد الله بن زياد، فأتى الأخير إلى معاوية وطلب منه قتله، فلم يأذن، واستجار يزيد بالمنذر ابن الجارود، ثمّ قبض عليه عبيد الله في البصرة وسقاه مسهلاً وأركبه حماراً ربطه فوقه وطوّف به وهو يسلح في الأسواق، فقال:

يغسل الماء ما صنعت وشعري راسخ منك في العظام البوالي

وهو قائل البيت المشهور:

العبد يقرع بالعصا والحرّ تكفيه الملامة

مات سنة ٦٩ هـ بالطاعون الجارف أيام مصعب بن الزبير.

(الأغاني ١٨: ١٨١ ـ ٢٢٠، تاريخ مدينة دمشق ٦٥: ١٧٨ ـ ١٩٢، معجم الأُدباء ٢٠: ٤٣ ـ ٤٦، وفيات الأعيان ٦: ٢٤٢ ـ ٢٦٢، سير أعلام النبلاء ٣: ٥٢٢ ـ ٥٢٣، خزانة الأدب ٢: ٢١٠ و٥١٤ و٥١٥).

(٤٤) أبو عبد الله محمّد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أُمّه من سبي اليمامة زمن أبي بكر على ما قيل، وهي خولة بنت جعفر الحنفيّة.

ولد سنة ١٣ هـ، وكان سيّداً نبيلاً شجاعاً.

روى عن: أبيه، وعمّار بن ياسر، وغيرهما. وروى عنه: أبو جعفر الباقر، ومنذر الثوري، وعمرو بن دينار، وبنوه: عبد الله، والحسن، وإبراهيم، وعون.

توفّي سنة ٨٠ هـ، وقيل: ٨١ هـ، وقيل: ٨٢ هـ، وتغالت فيه جماعة ولقبّوه بالمهدي وزعموا أنّه لم يمت وأنّه في جبال رضوى، وهم الكيسانيّة.

(الطبقات الكبرى لابن سعد ٥: ٩١ ـ ١١٦، المعارف ٢١٠ و٢١٦، حلية الأولياء ٣: ١٧٤ ـ ١٨٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٨٣ ـ ١٨٤، وفيات الأعيان ٤: ١٦٩ ـ ١٧٣، البداية والنهاية ٩: ٣٨ ـ ٣٩، شذرات الذهب ١: ٨٨ ـ ٩٠).

(٤٥) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي الدمشقي، حافظ مؤرّخ فقيه.

ولد في قرية من أعمال بصرى الشام سنة ٧٠١ هـ، وانتقل مع أخ له إلى

دمشق سنة ٧٠٦هـ، وتزوّج ابنة الحافظ المزّي، ورحل في طلب العلم، وتناقل الناس تصانيفه في حياته.

من كتبه: البداية والنهاية، شرح صحيح البخاري، طبقات الفقهاء الشافعيين، تفسير القرآن العظيم، الفصول في اختصار سيرة الرسول.

توفّي بدمشق سنة ٧٧٤هـ.

(الدارس ١: ٢٧ ـ ٢٨، شذرات الذهب ٦: ٢٣١ ـ ٢٣٢، البدر الطالع ١: ١٥٣، أبجد العلوم ٣: ٧٣ ـ ٧٤، الأعلام للزركلي ١: ٣٢٠، معجم المؤلّفين ٢: ٢٨٣ و١٣: ٢٧٣).

(٤٦) أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينَوَري الكاتب، وصفه الخطيب البغدادي بأنّه ثقة ديّن فاضل.

حدّث عن: إسحاق بن راهويه، وزياد بن يحيى الحسّاني، وأبي حاتم السجستاني، وآخرين. وحدّث عنه: ابنه القاضي أحمد، وعبيد الله السُكّري، وابن درستويه النحوي، وطائفة.

له تصانيف كثيرة منها: غريب القرآن، غريب الحديث، المعارف، أدب الكاتب، عيون الأخبار، طبقات الشعراء، معاني الشعر، أدب القاضي، الأنوار.

قيل: إنّه كان يميل لرأي الكرّاميّة.

توفّي سنة ٢٧٦هـ.

(فهرست ابن النديم ١٠٥ ـ ١٠٦، وفيات الأعيان ٣: ٤٢ ـ ٤٤، تذكرة الحفّاظ ٢: ٦٣٣، سير أعلام النبلاء ١٣: ٢٩٦ ـ ٣٠٢، ميزان الاعتدال ٢: ٥٠٣، بغية الوعاة ٢: ٦٣ ـ ٦٤، شذرات الذهب ٢: ١٦٩ ـ ١٧٠).

(٤٧) أبو عبد الله ـ ويقال: أبو محمّد ـ النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة

الخزرجي الأنصاري، من الصحابة الصغار، وهو ابن أُخت عبد الله بن رواحة.

ولد سنة ٢ هـ، وقيل: سنة ١ هـ، وسمع من النبي ﷺ. حدّث عنه: ابنه محمّد، والشعبي، وسِماك بن حرب، وسالم بن أبي الجعد، وأبو إسحاق السبيعي، وعدّة.

كان خطيباً أميراً، ولّاه معاوية الكوفة مدّة، ثمّ ولي قضاء دمشق، ثمّ إمرة حمص.

قيل: إنّ النعمان لمّا دعا أهل حمص إلىٰ بيعة ابن الزبير ذبحوه، وقيل: قتله خالد بن خَلي بقرية بيرين من قرىٰ حمص بعد وقعة مرج راهط في آخر سنة ٦٤ هـ.

(الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٦: ٥٢ ـ ٥٤، التاريخ الكبير ٨: ٧٥، المعارف ٢٩٤، الجرح والتعديل ٨: ٤٤٤، الأغاني ١٦: ٣ ـ ٢٢، سير أعلام النبلاء ٣: ٤١١ ـ ٤١٢، تهذيب التهذيب ١٠: ٣٩٩ ـ ٤٠٠، شذرات الذهب ١: ٧٢).

(٤٨) سرجون بن منصور الرومي النصراني مولىٰ معاوية. كان كاتباً علىٰ ديوان الخراج لمعاوية ويزيد ومعاوية بن يزيد، وهو الذي أشار علىٰ يزيد بعزل النعمان بن بشير عن الكوفة وتولية عبيد الله بن زياد مكانه.

(الفتوح لابن أعثم ٥: ٦٠، الوزراء والكتّاب ٢٤ و٣١ و٣٢).

(٤٩) حُصَين بن نُمَير السكوني، أحد أُمراء يزيد في محاصرة المدينة ثمّ ابن الزبير.

عدّه ابن قتيبة من الذين أرادوا أن يلقوا الرسول ﷺ من الثنية في غزوة تبوك، وأنّه من الذين أغاروا علىٰ تمر الصدقة فسرقوه.

قتله إبراهيم بن مالك الأشتر سنة ٦٧ هـ، وأرسل برأسه إلىٰ المختار

الثقفي.

(المعارف ٣٤٢ و٣٥١، تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٣٨٢ـ٣٨٩، ميزان الاعتدال ١: ٥٥٤، تهذيب التهذيب ٢: ٢٢٨).

(٥٠) حمزة بن المغيرة بن شعبة الثقفي، أمّه حفصة بنت سعد بن أبي وقّاص.

روىٰ عن أبيه. وروىٰ عنه: إسماعيل بن محمّد بن سعد بن أبي وقّاص، وبكر بن عبد الله المزني، وعبّاد بن زياد بن أبي سفيان، والنعمان بن أبي خالد.

وهو من الذين وثّقهم ابن حبّان.

(الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٦: ٢٧٠، الجرح والتعديل ٣: ٢١٤، الثقات لابن حبّان ٤: ١٦٨، الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٠٦، الكاشف للذهبي ١: ٢٥٥، تهذيب التهذيب ٣: ٢٩).

(٥١) أبو عبّاد عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب التغلبي، أمّة ليلىٰ بنت المهلهل.

ولد في بلاد ربيعة شمالي الجزيرة العربيّة، ووالده من سادات قومه، وكان عمرو رجلاً شاعراً فارساً شجاعاً كريماً، وكان علىٰ الديانة النصرانيّة.

أنشد معلّقته مدافعاً عن قومه عند عمرو بن هند، ثمّ قتله في قصّة يطول ذكرها حتّىٰ أسره يزيد بن مرو السُحَيمي، ففكّ أسره بعد ذلك.

وقد ضرب المثل بفتكه، فقيل: أفتك من عمرو بن كلثوم.

وقد عمّر طويلاً وتوفّي حوالي سنة ٤٠ قبل الهجرة مخلّفاً ثلاثة أولاد: عبّاد والأسود وعبد الله.

(الشعر والشعراء لابن قتيبة ١٣٧ـ١٣٩، الأغاني ١١: ٤٦ـ٥٤، خزانة الأدب ٣: ١٧٤ـ١٧٦، شعراء النصرانيّة ١٩٧ـ٢٠٤).

(٥٢) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أمّه ليلىٰ بنت أبي عروة بن مسعود الثقفي، أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً بالرسول ﷺ.

كان رجلاً شجاعاً سخيّاً، وهو أوّل الخارجين لحرب ابن سعد من آل علي في كربلاء.

استشهد في معركة الطفّ سنة ٦١ هـ بيد مرّة بن منقذ العبدي، واختلف في عمره عند استشهاده، فقيل: ١٨ سنة، وقيل: ١٩ سنة، وقيل: ٢٥ سنة.

(الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٥: ٢١١، سير أعلام النبلاء ٤: ٣٨٧، منتهى الآمال ١: ٦٧١ ـ ٦٧٥).

(٥٣) أبو علي الحسن بن هانئ ـ وقيل: ابن وهب ـ الحكمي، الشاعر المشهور، أُمّه جلبان الأهوازيّة.

ولد بالأهواز، ونشأ بالبصرة، وسمع من حمّاد بن سَلَمَة وطائفة، وتلا علىٰ يعقوب، وأخذ اللغة عن أبي زيد الأنصاري وغيره، ومدح الخلفاء والوزراء، وبلغ في النظم الذروة.

قيل: لقّب بأبي نواس لضفيرتين كانتا تنوسان (تضطربان) علىٰ عاتقيه، وأكثر أشعاره في الغزل والخمريات.

توفّي سنة ١٩٥ هـ، وقيل: بل سنة ١٩٦ هـ، وقيل: بل سنة ١٩٨ هـ، واعتنىٰ الصولي وغيره بجمع ديوانه.

(الأغاني ٢٠: ٣ ـ ١٨، سير أعلام النبلاء ٩: ٢٧٩ ـ ٢٨١، العبر ١: ٣٢١، شذرات الذهب ١: ٣٤٥ ـ ٣٤٧، معاهد التنصيص ١: ٨٣ ـ ٩٨، أبجد العلوم ٣: ٦٣ ـ ٦٤).

(٥٤) أبو عبد القدّوس شَبَث بن رِبْعي التميمي اليربوعي الكوفي.

حدّث عن: علي، وحذيفة. وحدّث عنه: محمّد بن كعب القُرَظي، وسليمان التيمي.

كان مؤذّن سجاح التميميّة، وممّن خرج على علي وأنكر عليه التحكيم، وحضر قتل الحسين. شهد جنازته الأعمش.

(الطبقات الكبرى لابن سعد ٦: ٢١٦، تهذيب الكمال ١٢: ٣٥١-٣٥٣، تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات ٦١هـ-٨٠هـ) ٤١٦-٤١٧، سير أعلام النبلاء ٤: ١٥٠، تهذيب التهذيب ٤: ٢٦٦-٢٦٧).

(٥٥) عابس بن أبي شبيب الشاكري، من رجال الشيعة ومتقدّميهم.

كان شجاعاً خطيباً عابداً. قيل: إنّه كان له مجلس يجتمع الشيعة فيه ويؤخذ عنه الحديث.

وكان هو الذي أرسل مسلم كتابه للحسين بيده يدعوه للمجيء بعدما بايع أهل الكوفة له.

استشهد في معركة الطفّ سنة ٦١هـ.

(تاريخ الطبري ٤: ٦٤٠، منتهى الآمال ١: ٦٦٥).

(٥٦) نافع بن هلال بن نافع البجلي، وقيل: الجملي، من الرجال الشجعان الأشراف. جاء لنصرة الحسين من الكوفة، وكان دليله الطرماح، واستشهد مع الحسين سنة ٦١هـ.

وهو القائل للحسين: «إنّا على نيّاتنا وبصائرنا، نوالي من والاك ونعادي من عاداك».

(منتهى الآمال ١: ٦٦١-٦٦٢).

(٥٧) أبو أُميّة عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أُميّة الأُموي المعروف بالأشدق، وهو زوج أُخت مروان المدعوة بأُمّ البنين.

ولي المدينة ليزيد وقبله لمعاوية، ثمّ سكن دمشق.

حدّث عن: عمر، وعثمان. وروىٰ عنه: خُثيم بن مروان، وبنوه: موسىٰ، وأُميّة، وسعيد. وقد رام الخلافة وغلب علىٰ دمشق وادّعىٰ أنّ مروان جعله ولي العهد بعد عبد الملك، فسار إليه عبد الملك واصطلحا علىٰ أن يكون الخليفة بعده، فدخل عبد الملك دمشق، ثمّ غدر به، فقتله سنة ٧٠هـ، وقيل: سنة ٦٩هـ.

(الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٥: ٢٣٧ـ٢٣٨، التاريخ الكبير ٦: ٣٢٨، المعارف ١٤٥ و٢٩٦ و٦١٥، الجرح والتعديل ٦: ٢٢٦، مشاهير علماء الأمصار ٢٠، سير أعلام النبلاء ٣: ٤٤٩ـ ٤٥٠).

(٥٨) الملك الصالح وزير مصر أبو الغارات طلائع بن رُزِّيك الأرمني المصري، واقف جامع الصالح الذي على باب زويلة بظاهر القاهرة، من الأُدباء الشجعان الخطباء الأجواد.

ولّي نواحي الصعيد، واستولىٰ علىٰ مصر بعد أن أخذ بثأر الظافر.

صنّف كتباً، وله ديوان شعر صغير، ولعُمارة اليمني فيه مدائح ومراثي.

ولمّا مات الفائز أقام العاضد، فتزوّج العاضد بابنته، ثمّ دبّر قتله مع بعض الأُمراء وأولاد الداعي، فاغتالوه سنة ٥٥٦هـ.

(وفيات الأعيان ٢: ٥٢٦ـ٥٢٩، البداية والنهاية ١٢: ٢٤٣ـ٢٤٤، سير أعلام النبلاء ٢٠: ٣٩٧ـ٣٩٩، نسمة السحر ٢: ٢٥١ـ٢٦٥، أعيان الشيعة ٧: ٣٩٦ـ٤٠١، الغدير ٤: ٣٨٥ـ٤١٣).

(٥٩) أبو محمّد عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي الشعراني، من العلماء المتصوّفين. يرجع نسبه إلىٰ محمّد بن الحنفية.

ولد سنة ٨٩٨هـ في قلقشندة بمصر، ونشأ بساقية أبي شعرة من قرىٰ

المنوفية، وإليها نسبته، وتوفّي بالقاهرة سنة ٩٧٣ هـ.

له تصانيف منها: لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، الأنوار القدسيّة في معرفة آداب العبوديّة، البدر المنير، الجواهر والدرر الكبرىٰ، كشف الغمّة عن جميع الأمّة، لطائف المنن، مختصر تذكرة القرطبي، الميزان الكبرىٰ.

(شذرات الذهب ٨: ٣٧٢ ـ ٣٧٤، معجم المطبوعات لسركيس ١: ١١٢٩ ـ ١١٣٤، الأعلام للزركلي ٤: ١٨٠ ـ ١٨١، معجم المؤلّفين ٦: ٢١٨).

(٦٠) أبو الحسن علي بن أبي بكر الهَرَوي، ولد بالموصل واستوطن حلب.

كان فاضلاً جوّالاً غريباً مشعوذاً حلو المجالسة، علىٰ حدّ تعبير الذهبي. ألّف خطباً وقدّمها للناصر لدين الله، فوقّع له بالحسبة في سائر البلاد، وبنىٰ السائح لنفسه مدرسة درّس بها وخطب، وسمع من عبد المنعم الفَراوي سُباعياته، ودخل إلىٰ بعض جزائر الإفرنج وكاد أن يؤسر.

له: كتاب الإشارات إلىٰ معرفة الزيارات، والخطب الهروية.

توفّي سنة ٦١١ هـ، وقبره في قبّة بمدرسته بظاهر حلب.

(التكملة للمنذري ٢: ٣١٥ ـ ٣١٦، سير أعلام النبلاء ٢٢: ٥٦ ـ ٥٧، مرآة الجنان ٤: ١٩، كشف الظنون ١: ٩٦، شذرات الذهب ٥: ٤٩).

(٦١) أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن محمّد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطّوطة، رحّالة مؤرّخ ناظم.

ولد سنة ٧٠٣ هـ بطنجة ونشأ بها، وطاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين وجاوة وأواسط أفريقية، واتّصل بكثير من الملوك والأمراء، وعاد إلىٰ المغرب الأقصىٰ، وانقطع إلىٰ أبي عنان من ملوك بني مدين.

من آثاره: رحلة تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.
توفّي بمراكش سنة ٧٧٩ هـ.
(إيضاح المكنون ١: ٢٦٢، هدية العارفين ٢: ١٦٩، الأعلام للزركلي ٦: ٢٣٥ـ٢٣٦، معجم المؤلّفين ١٠: ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

(٦٢) شمس الدين أبو المظفّر يوسف بن قُزْعلي بن عبد الله التركي العَوني الهُبَيري البغدادي الحنفي المعروف بسبط ابن الجوزي، العالم المتفنّن الواعظ البليغ المؤرّخ.
ولد سنة ٥٨١ هـ، وسمع من: جدّه، وعبد المنعم بن كُلَيب، وابن طَبَرْزَد، وأبي اليُمن الكندي، وطائفة. وحدّث عنه: الدمياطي، وعبد الحافظ الشروطي، والنجم الشقراوي، والعماد ابن البالسي، وآخرون.
سكن دمشق، فأفتى ودرّس، وألّف كتباً كثيرة منها: مرآة الزمان، والردّ على المتعصّب العنيد، والتفسير.
توفّي بسفح قاسيون من دمشق سنة ٦٥٤ هـ.
(وفيات الأعيان ٣: ١٤٢، ميزان الاعتدال ٤: ٤٧١، الجواهر المضية ٣: ٦٣٣ـ ٦٣٥، العسجد المسبوك ٦٢٣ ـ ٦٢٤، لسان الميزان ٦: ٢٨، الدارس ٢: ٦٦، شذرات الذهب ٥: ٢٦٦ ـ٢٦٧، أبجد العلوم ٣: ٧٧).

(٦٣) أبو عمرو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الخزرجي الأنصاري، من مشاهير الصحابة.
كان نزيلاً في الكوفة، وشهد غزوة مؤتة وغيرها، وشهد كذلك مع علي صفّين، وكان معدوداً في خاصّة أصحابه.
له عدّة أحاديث، حدّث عنه: ابن أبي ليلى، وطاووس، وعطاء بن أبي رباح، وعدّة. توفّي بالكوفة سنة ٦٦ هـ، وقيل: بل سنة ٦٨ هـ.

(الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٦: ١٨، المعارف ٤٩٩، الجرح والتعديل ٣: ٥٥٤، مشاهير علماء الأمصار ٤٧، الاستيعاب ٢: ١٠٩ ـ ١١٠، الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٤٣، تهذيب الكمال ١٠: ٩ ـ ١٢، الكاشف للذهبي ١: ٣٣٦، تقريب التهذيب ١: ٢٢٥، تهذيب التهذيب ٣: ٢٤٠ ـ ٢٤١، شذرات الذهب ١: ٧٤، تهذيب تاريخ مدينة دمشق ٥: ٤٣٩ ـ ٤٤٢).

(٦٤) أبو عبد الله محمّد بن سعيد بن منيع البغدادي، الحافظ الحجّة.

ولد سنة ١٦٨ هـ، وطلب العلم في صباه، وسمع من: هُشَيم بن بشير، وابن عُيينة، ووكيع، وأنس بن عياض الليثي، ومحمّد بن عمر الواقدي، وغيرهم. وحدّث عنه: ابن أبي الدنيا، وأحمد بن يحيىٰ البَلاذري، وأبو القاسم البغوي، وآخرون.

توفّي ببغداد سنة ٢٣٠ هـ مخلّفاً عدّة كتب أشهرها: الطبقات الكبرىٰ.

(وفيات الأعيان ٤: ٣٥١ ـ ٣٥٢، تذكرة الحفّاظ ٢: ٤٢٥، سير أعلام النبلاء ١٠: ٦٦٤ ـ ٦٦٧، الكاشف للذهبي ٣: ٤٦، ميزان الاعتدال ٣: ٥٦٠، طبقات الحفّاظ ١٨٣، شذرات الذهب ٢: ٦٩).

(٦٥) أبو سعيد يحيىٰ بن سعيد بن قيس بن عمرو النجّاري الخزرجي الأنصاري، مولده قبل السبعين زمن ابن الزبير.

سمع من: أنس بن مالك، والسائب بن يزيد، وسعيد بن المسيّب، وعلي بن الحسين، وابن شهاب، وغيرهم. وحدّث عنه: ابن أبي ذئب، وشعبة، وابن الماجشون، ومالك، وسفيان الثوري، وطائفة.

استقضاه المنصور علىٰ الهاشميّة بقرب الكوفة، وتوفّي بها سنة ١٤٣ هـ.

(طبقات خليفة ٤٧٠، كتاب المعرفة والتأريخ ١: ٦٤٨ ـ ٦٥٠، الجرح والتعديل ٩: ١٤٧ ـ ١٤٩، سير أعلام النبلاء ٥: ٤٦٨ ـ ٤٧٦، تهذيب التهذيب

١١: ١٩٤ـ١٩٦، طبقات الحفّاظ ٥٧).

(٦٦) يحيىٰ بن الحكم بن أبي العاص بن أُميّة الأُموي.

روىٰ عن معاذ، وروىٰ عنه سَلَمَة بن أُسامة. وولّي المدينة لابن أخيه عبد الملك، ثمّ ولّي حمص.

قيل: كان فيه حمق، فوفد علىٰ عبد الملك بلا إذن، فعزله عن المدينة.

(تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات ٦١هـ ـ ٨٠هـ) ٥٢٧ـ٥٢٨، فوات الوفيات ٣: ١٦١).

(٦٧) أُمّ عبد الله فاطمة بنت الحسين بن علي الهاشميّة، أُمّها أُمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيميّة.

تُلقّب بفاطمة الصغرىٰ، تزوّجها الحسن المثنىٰ بن الحسن، وولدت له عبد الله المحض وإبراهيم الغمر والحسن المثلّث وزينب.

قال عنها الحسين: «أمّا في الدين فتقوم الليل كلّه وتصوم النهار».

وهي صاحبة الخطبة المشهورة في الكوفة بعد مقتل أبيها.

توفّيت سنة ١١٧هـ عن أكثر من سبعين عاماً، وقيل: توفّيت سنة ١١٠هـ.

(الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٨: ٤٧٣ ـ ٤٧٤، مرآة الجنان ١: ١٨٤، أدب الطفّ ١: ١٦٥ـ١٦٨، أعلام النساء لدخيل ٢٦٠ـ٢٩٢).

(٦٨) أبو سنان ـ وقيل في كنيته غير ذلك كأبي عبد الرحمان وأبي يزيد ـ مَعقِل ابن سِنان الأشجعي الغطفاني، له صحبة ورواية، وهو الحامل لواء أشجع يوم الفتح.

حدّث عنه: مسروق، وعلقمة، والأسود، وسالم بن عبد الله، والحسن البصري، وغيرهم.

كان ساكناً الكوفة، فوفد علىٰ يزيد ورأىٰ منه أُموراً منكرة، فسار إلىٰ

المدينة وخلعه، ثمّ أُسر يوم الحرّة، فذبح صبراً سنة ٦٣ هـ بيد نوفل بن مساحِق وبأمر مسرف بن عقبة، وله نيّف وسبعون سنة.

(التاريخ الكبير ٧: ٣٩١، المعارف ٢٩٨، كتاب المعرفة والتأريخ ١: ٣١٠، الجرح والتعديل ٨: ٢٨٤، مشاهير علماء الأمصار ٤٥، تاريخ مدينة دمشق ٥٩: ٣٥٧ ـ ٣٦٧، أُسد الغابة ٤: ٢٩٧ ـ ٢٩٨، سير أعلام النبلاء ٢: ٥٧٦ ـ ٥٧٧، الكاشف للذهبي ٣: ١٦٢، تهذيب التهذيب ١٠: ٢١٠، شذرات الذهب ١: ٧١).

(٦٩) المختار بن أبي عُبيد بن مسعود الثقفي. أسلم أبوه في حياة النبي ﷺ، واستعمله عمر بن الخطّاب على جيش فغزا العراق، ونشأ المختار فكان من كبراء ثقيف وذوي الرأي والفصاحة والشجاعة، وكانت أُخته صفية تحت عبد الله بن عمر، وكانت ابنة سمُرة بن جُندب تحت المختار، وله منها ابنان: إسحاق ومحمّد، ومن غيرها بنون.

انتقم للحسين وأهل بيته، فقتل قَتَلَتَه. وقد نُسبت إليه بعض القبائح، وصنّف بعض علماء الشيعة رسائل في نزاهته.

قتله طريف وأخوه طرّاف الحنفيان، وأتيا برأسه إلى مصعب بن الزبير سنة ٦٧ هـ، وقيل: إنّ الذي قتله ضرّار بن يزيد الحنفي.

(المعارف ٤٠٠ ـ ٤٠١، ربيع الأبرار ٤: ٢٣٥ و٣٩٣، أُسد الغابة ٤: ٣٣٦، وفيات الأعيان ٣: ٧١، ١٦٥ و٤: ١٧٢ ـ ١٧٣، سير أعلام النبلاء ٣: ٥٣٨ ـ ٥٤٤، البداية والنهاية ٨: ٢٨٩، شذرات الذهب ١: ٧٤ ـ ٧٥، الغدير ٢: ٤٠٢ ـ ٤٠٧).

(٧٠) أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أُميّة الأُموي، ولد سنة ٢٦ هـ، وسمع: عثمان، وأبا هريرة، وأبا سعيد، ومعاوية، وأمّ

سلمة، وغيرهم. وحدّث عنه: عروة، وخالد بن معدان، والزهري، وآخرون.

قيل: أفضى الأمر إلى عبد الملك والمصحف بين يديه، فأطبقه وقال: (هذا آخر العهد بك).

تملّك بعد أبيه الشام ومصر، ثمّ حارب مصعباً وعبد الله ابني الزبير، فقتلهما.

قال الذهبي: (كان من رجال الدهر ودهاة الرجال، وكان الحجّاج من ذنوبه).

توفّي سنة ٨٦هـ.

(الطبقات الكبرى لابن سعد ٥: ٢٢٣ ـ ٢٣٥، طبقات خليفة ٢٠٤، التاريخ الكبير ٥: ٤٢٩، تهذيب الكمال ١٨: ٤٠٨ ـ ٤١٤، سير أعلام النبلاء ٤: ٢٤٦ ـ ٢٤٩، العقد الثمين ٥: ١٣١ ـ ١٣٢، شذرات الذهب ١: ٩٧).

(٧١) أبو محمّد الحجّاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي، أُمّه الفارعة بنت همام ابن عروة الثقفي. تولّى الحجاز ثلاث سنين ثمّ العراق وخراسان عشرين سنة من قبل عبد الملك بن مروان، وكان تحته هند بنت المهلّب وهند بنت أسماء بن خارجة.

وصفه الذهبي بقوله: (كان ظلوماً جبّاراً ناصبيّاً خبيثاً سفّاكاً للدماء، وكان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء وفصاحة).

رمى الكعبة بالمنجنيق، وهلك سنة ٩٥هـ، بعد قتله سعيد بن جبير بأيام، وله نيّف وخمسون سنة.

(المعارف ٣٩٥ ـ ٣٩٨ و٥٤٨، سير أعلام النبلاء ٤: ٣٤٣، البداية والنهاية ٩: ١١٧ ـ ١٣٩، تعجيل المنفعة ٨٧ ـ ٨٩، تهذيب التهذيب ٢: ١٨٤ ـ ١٨٧،

تهذيب تاريخ مدينة دمشق ٤: ٥١ ـ ٨٥).

(٧٢) أبو العبّاس عبد الله بن محمّد بن علي بن عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب العبّاسي الهاشمي القرشي الملقّب بالسفّاح، أوّل الخلفاء من بني العبّاس.
كان شاباً مليحاً مهيباً أبيض طويلاً، وكان يحضر الغناء من وراء ستارة.
بويع له بالخلافة سنة ١٣٢ هـ، فجهّز عمّه عبد الله بن علي في جيش لقتال مروان الحمار.
توفّي سنة ١٣٦ هـ، وله من العمر ثمانية وعشرون عاماً على قول، وقام بالأمر بعده أخوه المنصور.
(تاريخ بغداد ١٠: ٤٦ ـ ٥٣، سير أعلام النبلاء ٦: ٧٧ ـ ٨٠، فوات الوفيات ٢: ٢١٥ ـ ٢١٦، شذرات الذهب ١: ١٨٣ و١٩٥ ـ ٢٠٥).

(٧٣) محمّد بن عفيفي الباجوري المصري المعروف بالخُضَري، باحث خطيب من علماء الشريعة والأدب والتاريخ.
ولد سنة ١٨٧٢ م، وكانت إقامته بالزيتون من ضواحي القاهرة.
تخرّج من مدرسة دار العلوم، وعيّن قاضياً شرعيّاً في الخرطوم، ثمّ مدرّساً بمدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة مدّة (١٢) سنة، وأُستاذاً للتأريخ الإسلامي في الجامعة المصريّة، فوكيلاً لمدرسة القضاء الشرعي، فمفتشاً بوزارة المعارف. توفّي بالقاهرة سنة ١٩٢٧ م.
من مؤلّفاته: أُصول الفقه، وتأريخ التشريع الإسلامي، وإتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، ومحاضرات في تاريخ الأُمم الإسلاميّة، ونور اليقين في سيرة سيّد المرسلين، ومهذّب الأغاني.
(الأعلام للزركلي ٦: ٢٦٩).

(٧٤) أبو المستهل الكميت بن زيد بن خُنَيْس بن مُجَالد بن وهب الأسدي،

الشاعر المشهور.

ولد أيام مقتل الحسين، وكان عالماً بالأنساب من كبار شيعة بني هاشم، مدح الباقر والصادق، وله أشعار معروفة بالهاشميّات في مدح أهل البيت عليهم السلام.

توفّي سنة ١٢٦ هـ في أيام مروان بن محمّد، قيل: مات من الضرب بأعقاب السيوف بأمر يوسف بن عمر الثقفي.

(البيان والتبيين ١: ٤٥ـ٤٦ و ١٣٤، الأغاني ١٦: ٣٢٨ ـ ٣٦٠، نسمة السحر ٢: ٥٤٥ ـ ٥٥٥، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١: ٢٤٢ ـ ٢٤٤، الغدير ٢: ٢١٣ـ٢٤٩).

(٧٥) أبو الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي، أُمّه فاطمة بنت هشام ابن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومية.

كان أبيض مسمّناً أحول حريصاً جمّاعاً للمال. استُخلف بعهد معقود له من أخيه يزيد سنة ١٠٥ هـ

مات بورم الحلق سنة ١٢٥ هـ عن عمر ناهز (٥٤) عاماً، وخلّف خمسة عشر ولداً وعدّة بنات.

(تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات ١٢١ هـ ـ ١٤٠ هـ) ٢٨٢ ـ ٢٨٤، سير أعلام النبلاء ٥: ٣٥١ـ٣٥٣، فوات الوفيات ٤: ٢٣٨ ـ ٢٣٩، مرآة الجنان ١: ٢٠٥ـ٢٠٦، البداية والنهاية ٩: ٣٥١ ـ ٣٥٤، شذرات الذهب ١: ١٦٣ـ١٦٥).

(٧٦) أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرز البَجَلي القَسري الدمشقي، أمير العراقين لهشام، وولّي قبل ذلك مكّة للوليد بن عبد الملك ثمّ لسليمان.

رويٰ عن أبيه. ورويٰ عنه: سيّار، وحُميد الطويل، وغيرهما.

كان فيه نصب معروف علىٰ حدّ تعبير الذهبي، وكان متّهماً في دينه، بنىٰ لأُمّه كنيسة تتعبّد فيها.

قتله يوسف بن عمر الثقفي بأمر هشام سنة ١٢٦ هـ، وقيل: بل قتله الوليد ابن يزيد.

(التاريخ الكبير ٣: ١٥٨، الأغاني ٢٢: ٥ ـ ٣٦، وفيات الأعيان ٢: ٢٢٦ ـ ٢٣١، سير أعلام النبلاء ٥: ٤٢٥ ـ ٤٣٢، البداية والنهاية ١٠: ١٧ ـ ٢١، شذرات الذهب ١: ١٦٩ ـ ١٧١).

(٧٧) أبو علي دِعبل بن علي بن رزين بن سليمان الخزاعي البغدادي.

ولد سنة ١٤٨ هـ، كان شاعراً متقدّماً مطبوعاً هجّاءً، له نقائض مع الكميت، وقد مدح الرضا بقصيدة خالدة.

توفّي سنة ٢٤٦ هـ، وكان سبب وفاته أنّه قصد مالك بن طوق التغلبي أمير الحويزة، فلم يرض ثوابه، فهجاه، ثمّ هرب إلىٰ الأهواز، فبعث مالك رجلاً إليه، فاغتاله بأن ضرب قدمه بزجّ عكّاز مسموم بعد العتمة، فمات من الغد بالسوس، ورثاه البحتري.

(الأغاني ٢٠: ٦٨ ـ ١٤٥، رجال النجاشي ١٦١ ـ ١٦٢، رجال الطوسي ٣٥٧، تاريخ بغداد ٨: ٣٨٢ ـ ٣٨٥، الخلاصة ١٤٤، لسان الميزان ٢: ٤٣٠ ـ ٤٣٢، نسمة السحر ٢: ١٠٥ ـ ١١٧، أبجد العلوم ٣: ٦٨ ـ ٦٩، روضات الجنّات ٣: ٣٠٦ ـ ٣٢٥، الغدير ٢: ٤٠٩ ـ ٤٤٩).

الفهارس العامّة

- فهرس الآيات الكريمة
- فهرس الأحاديث النبويّة والآثار
- فهرس الأعلام
- فهرس الطوائف والقبائل والجماعات والفرق
- فهرس أنصاف الأبيات والأشعار
- فهرس الألفاظ اللغويّة المفسّرة
- فهرس الأماكن والبقاع
- فهرس المصادر
- فهرس المواضيع

فهرس الآيات الكريمة

سورة آل عمران (٣)

سورة النساء (٤)

سورة الأنفال (٨)

سورة الزمر (٣٩)

سورة الشورى (٤٢)

سورة الحديد (٥٧)

سورة المسد (١١١)

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

فهرس الأعلام

فهرس الطوائف والقبائل والجماعات والفرق

فهرس انصاف الأبيات والأشعار

فهرس الألفاظ اللغويّة المفسّرة

فهرس الأماكن والبقاع

فهرس المصادر

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الأئمّة الاثنا عشر لابن طولون: الشذرات الذهبيّة في تراجم الأئمّة الاثني عشر عند الإماميّة .

المؤلّف: شمس الدين محمّد بن طولون المتوفّى سنة ٩٥٣ هـ / تحقيق: د. صلاح الدين المنجد / نشر: مكتبة الشريف الرضي ـ قم .

٣ ـ أبجد العلوم .

المؤلّف: صدّيق بن حسن خان القنوجي البخاري المتوفّى سنة ١٣٠٧ هـ / تحقيق: أحمد شمس الدين / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٠ هـ.

٤ ـ الإتحاف بحبّ الأشراف .

المؤلّف: عبد الله بن محمّد بن عامر الشبراوي الشافعي المتوفّى سنة ١١٧١ هـ / نشر: مكتبة الشريف الرضي ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٣٦٣هـ. ش .

٥ ـ الإحكام لابن حزم: الإحكام في أُصول الأحكام .

المؤلّف: أبو محمّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي المتوفّى

سنة ٤٥٦ هـ / نشر: دار الحديث ـ القاهرة / الطبعة الثانية ـ ١٤١٣ هـ.

٦ ـ الأخبار الطوال.

المؤلّف: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري المتوفّىٰ سنة ٢٨٢ هـ / تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: د. جمال الدين الشيّال / نشر: مكتبة الشريف الرضي ـ قم / أُفست عن طبعة دار إحياء الكتب العربيّة ـ القاهرة / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٩٦٠ م.

٧ ـ أخبار القضاة لوكيع: أخبار القضاة.

المؤلّف: أبو بكر محمّد بن خلف بن حيّان بن صدقة بن زياد الضبي المعروف بوكيع المتوفّىٰ سنة ٣٠٦ هـ / نشر: عالم الكتب ـ بيروت.

٨ ـ أدب الدنيا والدين.

المؤلّف: أبو الحسن علي بن محمّد بن حبيب الماوردي البصري المتوفّىٰ سنة ٤٥٠ هـ / تحقيق: مصطفى السقا / نشر: المكتبة الثقافيّة ـ بيروت / الطبعة الثالثة.

٩ ـ أدب الطفّ: أدب الطف، أو: شعراء الحسين.

المؤلّف: جواد شبّر / نشر: دار المرتضىٰ ـ بيروت / ١٤٠٩ هـ.

١٠ ـ الأدب المفرد.

المؤلّف: أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي المتوفّىٰ سنة ٢٥٦ هـ / تحقيق: محمّد عبد القادر عطا / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٠ هـ.

١١ ـ **الإرشاد: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد.**
المؤلّف: أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالمفيد وابن المعلّم المتوفّى سنة ٤١٣ هـ / تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / نشر: المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٣ هـ.

١٢ ـ **الاستيعاب: الاستيعاب في معرفة الأصحاب.**
المؤلّف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البر القرطبي المتوفّى سنة ٤٦٣ هـ / تحقيق: علي محمّد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، تقديم: د. محمّد عبد المنعم البرّي و د. جمعة طاهر النجا / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٥ هـ.

١٣ ـ **أُسد الغابة: أسد الغابة في معرفة الصحابة.**
المؤلّف: أبو الحسن عزّ الدين علي بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفّى سنة ٦٣٠ هـ / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٤ ـ **الإصابة: الإصابة في تمييز الصحابة.**
المؤلّف: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمّد بن محمّد بن علي الكناني المصري العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر المتوفّى سنة ٨٥٢ هـ / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت.

١٥ ـ **أعلام الأدب المعاصر في مصر: أعلام الأدب المعاصر في مصر (عبّاس العقّاد).**
المؤلّف: د. حمدي السكوت / نشر: مركز الدراسات الجامعيّة بالجامعة

الأمريكيّة بالقاهرة ودار الكتاب المصري ـ القاهرة ودار الكتاب اللبناني ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٣ هـ.

١٦ ـ الأعلام للزركلي: الأعلام.

المؤلّف: خير الدين الزركلي المتوفّى سنة ١٩٧٦ م / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الثامنة ـ ١٩٨٩ م.

١٧ ـ أعلام النساء لدخيّل: أعلام النساء.

المؤلّف: علي محمّد علي دخيّل / نشر: الدار الإسلاميّة ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤١٢ هـ.

١٨ ـ أعلام النساء لكحّالة: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام.

المؤلّف: عمر رضا كحّالة / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة الخامسة ـ ١٤٠٤ هـ.

١٩ ـ إعلام الورىٰ: إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ.

المؤلّف: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري / تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٧ هـ.

٢٠ ـ أعيان الشيعة.

المؤلّف: محسن الأمين العاملي المتوفّىٰ سنة ١٣٧١ هـ / تحقيق: حسن محسن الأمين العاملي / نشر: دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت / ١٤٠٣ هـ.

٢١ ـ أغاليط المؤرّخين.

المؤلّف: د. محمّد أبو اليسر عابدين / نشر: مكتبة الغزالي ـ دمشق / الطبعة الثانية ـ ١٤١٠ هـ.

٢٢ـ الأغاني.

المؤلّف: أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني المتوفّى سنة ٣٥٦ هـ / مراجعة: عبد الستار أحمد فرّاج / نشر: دار الثقافة ـ بيروت.

٢٣ـ الإكمال لابن ماكولا: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب.

المؤلّف: أبو نصر علي بن أبي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر المعروف بابن ماكولا المتوفّى سنة ٤٧٥ هـ / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٢٤ـ أمالي الصدوق: الأمالي، أو: المجالس.

المؤلّف: أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق المتوفّى سنة ٣٨١ هـ / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الخامسة ـ ١٤١٠ هـ.

٢٥ـ الإمام الحسين في حلّة البرفير.

المؤلّف: سليمان كتّاني / نشر: دار الكتاب الإسلامي ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٠ هـ.

٢٦ـ الإمام الحسين للعلايلي: الإمام الحسين.

المؤلّف: عبد الله العلايلي / نشر: دار مكتبة التربية ـ بيروت / ١٩٧٢ م.

٢٧ـ الإمامة والسياسة: الإمامة والسياسة، أو: تاريخ الخلفاء.

المؤلّف: أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفّى سنة ٢٧٦ هـ / تحقيق: علي شيري / نشر: مكتبة الشريف الرضي ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٣ هـ.

٢٨ ـ **إنباه الرواة: إنباه الرواة على أنباه النحاة .**

المؤلّف: علي بن يوسف القفطي المتوفّى سنة ٦٢٤ هـ / تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم / نشر: دار الفكر العربي ـ القاهرة ومؤسّسة الكتب الثقافيّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٦ هـ.

٢٩ ـ **أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي): أنساب الأشراف .**

المؤلّف: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري من أعلام القرن الثالث الهجري / تحقيق: محمّد باقر المحمودي / نشر: دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٣٩٧ هـ.

٣٠ ـ **أهل البيت في المكتبة العربيّة .**

المؤلّف: عبد العزيز الطباطبائي المتوفّى سنة ١٤١٦ هـ / إعداد ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٧ هـ.

٣١ ـ **أيام العرب في الإسلام .**

المؤلّف: محمّد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمّد البجّاوي / نشر: دار إحياء الكتب العربيّة ـ القاهرة / الطبعة الرابعة ـ ١٣٩٤ هـ.

٣٢ ـ **إيضاح المكنون: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .**

المؤلّف: إسماعيل بن محمّد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي المتوفّى سنة ١٣٣٩ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤٠٢ هـ.

٣٣ ـ **بحار الأنوار: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار .**

المؤلّف: محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي المتوفّى سنة ١١١١ هـ / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الثانية المصحّحة ـ ١٤٠٣ هـ.

٣٤ـ البدء والتاريخ .
المؤلّف: أبو مطهّر بن طاهر المقدسي المتوفّى سنة ٥٠٧ هـ / نشر: دار صادر ـ بيروت .
٣٥ـ البداية والنهاية .
المؤلّف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفّى سنة ٧٧٤هـ / نشر: مكتبة المعارف ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤١٣ هـ .
٣٦ـ البدر الطالع: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع .
المؤلّف: محمّد بن علي الشوكاني المتوفّى سنة ١٢٥٠ هـ / نشر: مطبعة السعادة ـ القاهرة / الطبعة الأُولى ـ ١٣٤٨ هـ .
٣٧ـ بغية الوعاة: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة .
المؤلّف: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر الكمال بن محمّد بن سابق الدين السيوطي المتوفّى سنة ٩١١ هـ / تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم / نشر: المكتبة العصريّة ـ بيروت .
٣٨ـ بلوغ الإرب: بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب .
المؤلّف: محمود شكري عبد الله محمود الآلوسي البغدادي / تحقيق: محمّد بهجة الأثري / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت .
٣٩ـ البيان والتبيين .
المؤلّف: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ المتوفّى سنة ٢٥٥هـ / تحقيق: عبد السلام محمّد هارون / نشر: دار الفكر ـ بيروت .
٤٠ـ تاج العروس: تاج العروس من جواهر القاموس .
المؤلّف: محمّد بن محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق بن مرتضى الحسيني

الزبيدي المتوفّى سنة ١٢٠٥ هـ/تحقيق: عبد الستّار أحمد فرّاج /نشر: دار الهداية ـ الكويت / ١٣٨٥ هـ.

٤١ ـ **تاريخ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول.**

المؤلّف: أبو الفرج غريغوريس بن أهرون الملطي المعروف بابن العبري المتوفّى سنة ١٢٨٦ م / تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي / نشر: دار الرائد اللبناني ـ بيروت / ١٤٠٣ هـ.

٤٢ ـ **تاريخ ابن معين: التاريخ.**

المؤلّف: يحيى بن معين بن عون المري الغطفاني البغدادي المتوفّى سنة ٢٣٣ هـ/ رواية: العبّاس بن محمّد بن حاتم الدوري البغدادي المتوفّى سنة ٢٧١ هـ/ تحقيق: عبد الله أحمد حسن / نشر: دار العلم ـ بيروت.

٤٣ ـ **تاريخ أبي الفداء: المختصر في أخبار البشر.**

المؤلّف: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيّوب المتوفّى سنة ٧٣٢ هـ/ تحقيق: محمود ديّوب / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٧ هـ.

٤٤ ـ **تاريخ أبي مخنف: التاريخ.**

المؤلّف: لوط بن يحيى بن سعيد الغامدي الأزدي الكوفي المتوفّى سنة ١٥٧ هـ/ تحقيق: كامل سلمان الجبوري / نشر: دار المحجّة البيضاء ودار الرسول الأكرم ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٩ هـ.

٤٥ ـ **تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: تاريخ الأدب العربي.**

المؤلّف: كارل بروكلمان المتوفّى سنة ١٩٥٦ م / تعريب: د. عبد الحليم النجّار / نشر: مؤسّسة دار الكتاب الإسلامي ـ قم / الطبعة الثانية.

٤٦ـ **تاريخ الإسلام للذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.**

المؤلّف: أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨ هـ/ تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري / نشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٧ هـ.

٤٧ـ **التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر: التاريخ الإسلامي.**

المؤلّف: محمود شاكر / نشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت، دمشق، عمّان / الطبعة السابعة ـ ١٤١١ هـ.

٤٨ـ **تاريخ أصفهان: ذكر أخبار أصبهان.**

المؤلّف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ بن مهران المهراني الأصفهاني المتوفّىٰ سنة ٤٣٠ هـ/ تحقيق: سيّد كسروي حسن / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٠ هـ.

٤٩ـ **تاريخ بغداد: تاريخ بغداد، أو: تاريخ مدينة السلام.**

المؤلّف: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفّىٰ سنة ٤٦٣ هـ/ نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت.

٥٠ـ **تاريخ الخلفاء للسيوطي: تاريخ الخلفاء.**

المؤلّف: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر الكمال بن محمّد بن سابق الدين السيوطي المتوفّىٰ سنة ٩١١ هـ/ تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد / نشر: مكتبة الشريف الرضي ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١١ هـ.

٥١ـ **تاريخ خليفة: التاريخ.**

المؤلّف: أبو عمرو خليفة بن خيّاط بن أبي هبيرة الليثي العصفري المعروف بشبّاب المتوفّىٰ سنة ٢٤٠ هـ/ رواية: بَقي بن مَخلَد / تحقيق: د.

مصطفى نجيب فوّاز و د. حكمت كشلي فوّاز / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٥ هـ.

٥٢ ـ تاريخ الطبري: تاريخ الأُمم والملوك.

المؤلّف: أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد الطبري المتوفّى سنة ٣١٠ هـ / تحقيق: عبد الله علي مهنا / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الأُولى المصحّحة ـ ١٤١٨ هـ.

٥٣ ـ التاريخ الكبير.

المؤلّف: أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري المتوفّى سنة ٢٥٦ هـ / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت.

٥٤ ـ تاريخ الكوفة.

المؤلّف: حسين بن أحمد البراقي النجفي المتوفّى سنة ١٣٣٢ هـ / تحرير: محمّد صادق بحر العلوم / نشر: دار الأضواء ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٧ هـ.

٥٥ ـ تاريخ مدينة دمشق.

المؤلّف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفّى سنة ٥٧١ هـ / تحقيق: علي شيري / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٥ هـ.

٥٦ ـ تاريخ المدينة المنوّرة: أخبار المدينة النبويّة.

المؤلّف: أبو زيد عمر بن شبّة النميري البصري المتوفّى سنة ٢٦٢ هـ / تحقيق: فهيم محمّد شلتوت / نشر: دار التراث والدار الإسلاميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٠ هـ.

٥٧ ـ تاريخ اليعقوبي: كتاب التاريخ.

المؤلّف: أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي المتوفّىٰ بعد سنة ٢٩٢ هـ / نشر: دار صادر ـ بيروت.

٥٨ ـ تحف العقول: تحف العقول عن آل الرسول.

المؤلّف: أبو محمّد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني من أعلام القرن الرابع الهجري / تحقيق: علي أكبر الغفاري / نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٤ هـ.

٥٩ ـ تذكرة الحفّاظ.

المؤلّف: أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨ هـ / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٦٠ ـ تذكرة الخواص: تذكرة الخواص من الأُمّة في ذكر مناقب الأئمّة.

المؤلّف: أبو المظفّر شمس الدين يوسف بن قُزعلي بن عبد الله البغدادي الحنفي المعروف بسبط ابن الجوزي المتوفّىٰ سنة ٦٥٤ هـ / تقديم: محمّد صادق بحر العلوم / نشر: مكتبة نينوى الحديثة ـ طهران.

٦١ ـ تعجيل المنفعة: تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمّة الأربعة.

المؤلّف: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفّىٰ سنة ٨٥٢ هـ / نشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٦٢ ـ تقريب التهذيب.

المؤلّف: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفّىٰ سنة ٨٥٢ هـ / تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٥ هـ.

٦٣ـ التكملة للمنذري: التكملة لوفيات النقلة.
المؤلّف: أبو محمّد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المتوفّى سنة ٦٥٦هـ/ تحقيق: د. بشّار عوّاد معروف / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٨هـ.
٦٤ـ تنزيه الأنبياء والأئمّة.
المؤلّف: أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمّد الموسوي البغدادي المعروف بالشريف المرتضى وعلم الهدى المتوفّى سنة ٤٦٣هـ/ تحقيق: فارس حسّون كريم تبريزيان / نشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢هـ.
٦٥ـ تنقيح المقال: تنقيح المقال في أحوال الرجال.
المؤلّف: عبد الله بن محمّد حسن بن عبد الله المامقاني المتوفّى سنة ١٣٥١هـ/ طبعة حجريّة ـ قم.
٦٦ـ تهذيب تاريخ مدينة دمشق: تهذيب تاريخ دمشق الكبير.
المؤلّف: عبد القادر بدران المتوفّى سنة ١٣٤٦هـ/ نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٧هـ.
٦٧ـ تهذيب التهذيب.
المؤلّف: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العقسلاني المتوفّى سنة ٨٥٢هـ/ نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٤هـ.
٦٨ـ تهذيب الكمال: تهذيب الكمال في أسماء الرجال.
المؤلّف: أبو الحجّاج جمال الدين يوسف المزّي المتوفّى سنة ٧٤٢هـ/ تحقيق: د. بشّار عوّاد معروف / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة

الخامسة ـ ١٤١٥هـ.

٦٩ ـ **الثقات لابن حبّان: كتاب الثقات.**

المؤلّف: أبو حاتم محمّد بن حبّان بن أحمد التميمي البَستي المتوفّىٰ سنة ٣٥٤ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / أُفست عن مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة بالهند / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٣٩٣ هـ.

٧٠ ـ **الجامع الصغير: الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير.**

المؤلّف: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر الكمال بن محمّد بن سابق الدين السيوطي المتوفّىٰ سنة ٩١١ هـ / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت.

٧١ ـ **الجرح والتعديل.**

المؤلّف: أبو محمّد عبد الرحمان بن أبي حاتم محمّد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي المتوفّىٰ سنة ٣٢٧ هـ / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / أُفست عن مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة بالهند / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٣٧٢ هـ.

٧٢ ـ **الجمع بين رجال الصحيحين: الجمع بين رجال الصحيحين بخاري ومسلم لكتابي أبي نصر الكلاباذي وأبي بكر الأصبهاني.**

المؤلّف: أبو الفضل محمّد بن طاهر بن علي المقدسي الشيباني المعروف بابن القيسراني المتوفّىٰ سنة ٥٠٧ هـ / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٥هـ.

٧٣ ـ **جمهرة الأمثال.**

المؤلّف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيىٰ بن مهران العسكري المتوفّىٰ ما بعد الأربع مائة / تحقيق: محمّد أبو الفضل

إبراهيم وعبد المجيد قطامش / نشر: دار الجيل ودار الفكر ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨ هـ.

٧٤ ـ جمهرة اللغة.
المؤلّف: أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد المتوفّى سنة ٣٢١ هـ / تحقيق: د. رمزي منير البعلبكي / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٩٨٧ م.

٧٥ ـ جمهرة النسب للكلبي: جمهرة النسب.
المؤلّف: أبو المنذر هشام بن محمّد السائب الكلبي المتوفّى سنة ٢٠٤ هـ / رواية: السكّري عن ابن حبيب / تحقيق: د. ناجي حسن / نشر: عالم الكتب ومكتبة النهضة العربيّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٧ هـ.

٧٦ ـ الجواهر المضيّة: الجواهر المضيّة في طبقات الحنفيّة.
المؤلّف: عبد القادر محمّد بن محمّد بن نصر الله بن سالم القرشي الحنفي المتوفّى سنة ٧٧٥ هـ / تحقيق: د. عبد الفتّاح الحلو / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٣ هـ.

٧٧ ـ الحسن والحسين لمحمّد رضا: الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ.
المؤلّف: محمّد رضا المصري المتوفّى سنة ١٣٦٩ هـ / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٧ هـ.

٧٨ ـ الحسين لأبي علم: الحسين بن علي.
المؤلّف: توفيق أبو علم / نشر: دار المعارف ـ القاهرة / الطبعة الخامسة.

٧٩ـ الحسين ثائراً شهيداً.
المؤلّف: عبد الرحمان الشرقاوي / نشر: الدار العالميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٥ هـ.

٨٠ـ الحسين في الفكر المسيحي.
المؤلّف: أنطون بارا / نشر: الكويت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٠ هـ.

٨١ـ حلية الأولياء: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.
المؤلّف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ بن مهران المهراني الأصفهاني المتوفّىٰ سنة ٤٣٠ هـ / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٩ هـ.

٨٢ـ حياة الحيوان للدميري: حياة الحيوان الكبرىٰ.
المؤلّف: أبو البقاء كمال الدين محمّد بن موسىٰ بن عيسىٰ بن علي الدميري القاهري المتوفّىٰ سنة ٨٠٨ هـ / نشر: مكتبة ناصر خسرو ـ طهران.

٨٣ـ خزانة الأدب: خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب.
المؤلّف: عبد القادر بن عمر البغدادي المتوفّىٰ سنة ١٠٩٣ هـ / تحقيق: د. محمّد نبيل طريفي / إشراف: د. إميل بديع يعقوب / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٨ هـ.

٨٤ـ الخطط المقريزية: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.
المؤلّف: أبو العبّاس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي المتوفّىٰ سنة ٨٤٥ هـ / تحقيق: خليل المنصور / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٨ هـ.

٨٥ـ الخلاصة: خلاصة الأقوال في معرفة الرجال.
المؤلّف: أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهّر الأسدي المعروف بالعلّامة الحلّي المتوفّىٰ سنة ٧٢٦ هـ / تحقيق: جواد القيّومي الأصفهاني / نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٥ هـ.

٨٦ـ دائرة المعارف الإسلاميّة.
المؤلّف: مجموعة من الباحثين الأجانب / تعريب: أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس / مراجعة: د. محمّد مهدي علّام / نشر: دار الفكر ـ بيروت.

٨٧ـ دائرة المعارف الشيعيّة العامّة.
المؤلّف: محمّد حسين الأعلمي الحائري / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٣ هـ.

٨٨ـ الدارس: الدارس في تاريخ المدارس.
المؤلّف: عبد القادر بن محمّد النعيمي الدمشقي المتوفّىٰ سنة ٩٧٨ هـ / اعتناء: إبراهيم شمس الدين / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٠ هـ.

٨٩ـ الدرّ النظيم: الدرّ النظيم في مناقب الأئمّة اللهاميم.
المؤلّف: جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي من أعلام القرن السابع الهجري / تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٢٠ هـ.

٩٠ـ دراسة وثقيّة للتاريخ: دراسة وثقيّة للتاريخ الإسلامي ومصادره.
المؤلّف: د. محمّد ماهر حمادة / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٨هـ.

٩١ـ دلائل الإمامة.
المؤلّف: أبو جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبري الآملي من أعلام المائة الرابعة / نشر: مكتبة الشريف الرضي ـ قم / الطبعة الثالثة ـ ١٣٦٣هـ. ش / أُفست عن المطبعة الحيدريّة بالنجف الأشرف ـ ١٣٨٣هـ.

٩٢ـ دول الإسلام.
المؤلّف: أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّى سنة ٧٤٨هـ / تحقيق: فهيم محمّد شلتوت ومحمّد مصطفى إبراهيم / نشر: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ـ مصر / ١٩٧٤م.

٩٣ـ ديوان ابن الرومي.
شرح: أحمد حسن بسج / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٥هـ.

٩٤ـ ديوان أبي نواس.
تحقيق وشرح: أحمد عبد المجيد الغزالي / إشراف: عزيز أباظة / نشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت / ١٤١٢هـ.

٩٥ـ ديوان دعبل الخزاعي.
شرح وتقديم: ضياء حسين الأعلمي / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٧هـ.

٩٦ـ ديوان الشريف الرضي.

باهتمام ونشر: مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي ـ إيران / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٦هـ.

٩٧ـ ديوان عمرو بن كلثوم.

جمع وتحقيق وشرح: د. إميل بديع يعقوب / نشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١١هـ.

٩٨ـ ديوان الفرزدق.

شرح وتقديم: علي خريس / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٦هـ.

٩٩ـ ديوان الهاشميّات للكميت.

باهتمام ونشر: دار الفكر العربي ـ القاهرة.

١٠٠ـ ذخائر العقبى: ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى.

المؤلّف: أبو العبّاس محبّ الدين أحمد بن عبد الله بن محمّد بن أبي بكر بن محمّد الطبري المتوفّى سنة ٦٩٤هـ / نشر: دار المعرفة ـ بيروت.

١٠١ـ الذرّيّة الطاهرة.

المؤلّف: أبو بشر محمّد بن أحمد بن حمّاد الأنصاري الرازي الدولابي المتوفّى سنة ٣١٠هـ / تحقيق: محمّد جواد الحسيني الجلالي / تقديم: محمّد حسين الحسيني الجلالي / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨هـ.

١٠٢ـ ربيع الأبرار: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار.

المؤلّف: أبو القاسم محمّد بن عمر الزمخشري المتوفّى سنة ٥٣٨هـ /

تحقيق: د. سليم النعيمي / نشر: مكتبة الشريف الرضي ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٠ هـ.

١٠٣ ـ رجال الطوسي: كتاب الرجال.

المؤلّف: أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة المتوفّىٰ سنة ٤٦٠ هـ / تحقيق: جواد القيّومي الأصفهاني / نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٥ هـ.

١٠٤ ـ رجال النجاشي: كتاب الرجال.

المؤلّف: أبو العبّاس أحمد بن علي النجاشي الأسدي الكوفي المتوفّىٰ سنة ٤٥٠ هـ / تحقيق: موسىٰ الشبيري الزنجاني / نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة السادسة ـ ١٤١٨ هـ.

١٠٥ ـ رحلة ابن بطّوطة: الرحلة.

المؤلّف: أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن عبد الله بن محمّد بن إبراهيم الطنجي اللواتي المعروف بابن بطّوطة المتوفّىٰ سنة ٧٧٩ هـ / نشر: دار بيروت ودار النفائس ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٨ هـ.

١٠٦ ـ رحلة ابن جبير: تذكرة بالأخبار عن اتّفاقات الأسفار.

المؤلّف: أبو الحسين محمّد بن أحمد بن جبير الكناني الشاطبي البلنسي المتوفّىٰ سنة ٦١٤ هـ / نشر: دار بيروت ـ بيروت / ١٤٠٤ هـ.

١٠٧ ـ الردّ علىٰ المتعصّب العنيد: الردّ على المتعصّب العنيد المانع من ذمّ يزيد.

المؤلّف: أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمّد بن علي المعروف بابن

الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧ هـ / تحقيق: محمّد كاظم المحمودي / نشر: إيران / ١٤٠٣هـ.

١٠٨ ـ رسائل المرتضى: الرسائل.

المؤلّف: أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي المعروف بالشريف المرتضى وعلم الهدى المتوفّى سنة ٤٣٦ هـ / إعداد: مهدي الرجائي / إشراف: أحمد الحسيني / نشر: دار القرآن الكريم ـ قم / ١٤٠٥هـ.

١٠٩ ـ رسالة الجاحظ في بني أُميّة: رسالة في بني أُميّة.

المؤلّف: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ المتوفّى سنة ٢٥٥هـ / مخطوطة.

١١٠ ـ الروض الآنف: الروض الآنف في تفسير السيرة النبويّة لابن هشام.

المؤلّف: أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي المتوفّى سنة ٥٨١ هـ / تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤٢٠هـ.

١١١ ـ روضات الجنّات: روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات.

المؤلّف: محمّد باقر بن زين العابدين بن أبي القاسم بن حسين الموسوي الخوانساري الأصفهاني المتوفّى سنة ١٣١٣ هـ / نشر: مكتبة إسماعيليان ـ قم.

١١٢ ـ الرياض النضرة: الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشّرين بالجنّة.

المؤلّف: أبو جعفر أحمد المحبّ الطبري المتوفّى سنة ٦٩٤ هـ / نشر: دار

الندوة الجديدة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٨ هـ.

١١٣ ـ زهر الآداب: زهر الآداب وثمر الألباب.

المؤلّف: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني المتوفّىٰ سنة ٤٥٣ هـ / تحقيق: د. صلاح الدين الهواري / ن: المكتبة العصريّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٢١ هـ.

١١٤ ـ سقط الزند.

المؤلّف: أبو العلاء المعرّي المتوفّىٰ سنة ٤٤٩ هـ / نشر: دار بيروت ـ بيروت / ١٤٠٧ هـ.

١١٥ ـ سمط النجوم العوالي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي.

المؤلّف: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العاصمي المكّي الشافعي المتوفّىٰ سنة ١١١١ هـ / تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوّض / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٩ هـ.

١١٦ ـ سنن أبي داوود: السنن.

المؤلّف: أبو داوود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني المتوفّىٰ سنة ٢٧٥ هـ / تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد / نشر: دار الفكر ـ بيروت.

١١٧ ـ سنن الترمذي: الجامع الصحيح.

المؤلّف: أبو عيسىٰ محمّد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي المتوفّىٰ سنة ٢٧٩ هـ / تحقيق: أحمد محمّد شاكر / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١١٨ ـ السنن الكبرىٰ للبيهقي: السنن الكبرىٰ.

المؤلّف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفّىٰ سنة ٤٥٨ هـ/ نشر: دار المعرفة ـ بيروت.

١١٩ ـ سنن النسائي: السنن.

المؤلّف: أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان بن دينار النسائي المتوفّىٰ سنة ٣٠٣ هـ/ نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٣٤٨ هـ.

١٢٠ ـ سير أعلام النبلاء.

المؤلّف: أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨ هـ/ تحقيق: مجموعة من المحقّقين تحت إشراف: شعيب الأرناؤوط / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة الحادية عشرة ـ ١٤١٧ هـ.

١٢١ ـ سيرة الأئمّة الاثني عشر.

المؤلّف: هاشم معروف الحسني / نشر: دار التعارف ـ بيروت / الطبعة السادسة ـ ١٤١١ هـ.

١٢٢ ـ السيرة النبويّة لابن هشام: السيرة النبويّة.

المؤلّف: أبو محمّد عبد الملك بن هشام بن أيّوب الحميري المعافري الذهلي المتوفّىٰ سنة ٢١٨ هـ/ تحقيق: مصطفىٰ السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٢١ هـ.

١٢٣ ـ شذرات الذهب: شذرات الذهب في أخبار من ذهب.
المؤلّف: أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمّد المعروف بابن العماد الحنبلي المتوفّىٰ سنة ١٠٨٩ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٤ هـ.

١٢٤ ـ شرح المفصّل لابن يعيش: شرح المفصّل.
المؤلّف: موفّق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي المتوفّىٰ سنة ٦٤٣هـ / نشر: عالم الكتب ـ بيروت ومكتبة المتنبي ـ القاهرة.

١٢٥ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة.
المؤلّف: عزّ الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني المعتزلي المعروف بابن أبي الحديد المتوفّىٰ سنة ٦٥٦ هـ / تعليق: حسين الأعلمي / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٥ هـ.

١٢٦ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة: الشعر والشعراء، أو: طبقات الشعراء.
المؤلّف: أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفّىٰ سنة ٢٧٦هـ / تحقيق: د. مفيد قميحة ونعيم زرزور / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٥ هـ.

١٢٧ ـ شعراء النصرانيّة: شعراء النصرانيّة قبل الإسلام.
المؤلّف: لويس شيخو اليسوعي المتوفّىٰ سنة ١٩٢٧ م / نشر: دار المشرق ـ بيروت / الطبعة الخامسة.

١٢٨ ـ شفاء الغرام: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام.
المؤلّف: أبو الطيّب تقي الدين محمّد بن أحمد بن علي الفاسي المكّي المالكي المتوفّىٰ سنة ٨٣٢ هـ / تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري / نشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٥ هـ.

١٢٩ ـ صحاح اللغة: تاج اللغة وصحاح العربيّة.
المؤلّف: أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري المتوفّى سنة ٣٩٣ هـ / تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٧ هـ.
١٣٠ ـ صحيح مسلم: الصحيح.
المؤلّف: أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري المتوفّى سنة ٢٦١ هـ / تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
١٣١ ـ الصراط المستقيم: الصراط المستقيم لمستحقّي التقديم.
المؤلّف: أبو محمّد زين الدين علي بن يونس العاملي النباطي البياضي المتوفّى سنة ٨٧٧ هـ / ت: محمّد باقر البهبودي / نشر: المكتبة المرتضويّة ـ إيران.
١٣٢ ـ صفوة الصفوة.
المؤلّف: أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمّد بن علي المعروف بابن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧ هـ / تحقيق: محمود فاخوري و د. محمّد روّاس قلعجي / نشر: دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٦ هـ.
١٣٣ ـ صلح الحسن لآل ياسين: صلح الحسن.
المؤلّف: راضي بن عبد الحسين بن باقر آل ياسين النجفي المتوفّى سنة ١٣٧٢ هـ / نشر: مطابع علاء الدين ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٣٩٨ هـ.
١٣٤ ـ الصواعق المحرقة: الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة.
المؤلّف: أحمد بن حجر الهيتمي المكّي المتوفّى سنة ٩٧٤ هـ / تحقيق:

عبد الوهاب عبد اللطيف / نشر: مكتبة القاهرة ـ القاهرة / الطبعة الثانية ـ ١٣٨٥ هـ.

١٣٥ ـ **الضعفاء للعقيلي: كتاب الضعفاء الكبير.**

المؤلّف: أبو جعفر محمّد بن عمرو بن موسى بن حمّاد العقيلي المكّي المتوفّى سنة ٣٢٢ هـ / تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٤ هـ.

١٣٦ ـ **طبقات الأولياء لابن الملقّن: طبقات الأولياء.**

المؤلّف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن أحمد المصري المعروف بابن الملقّن المتوفّى سنة ٨٠٤ هـ / تحقيق: نور الدين شريبة / نشر: دار المعرفة ـ بيروت.

١٣٧ ـ **طبقات الحفّاظ.**

المؤلّف: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمّد بن سابق الدين السيوطي المتوفّى سنة ٩١١ هـ / تحقيق: علي محمّد عمر / نشر: مكتبة وهبة ـ القاهرة / الطبعة الأُولى ـ ١٣٩٣ هـ.

١٣٨ ـ **طبقات خليفة: الطبقات.**

المؤلّف: أبو عمرو خليفة بن خيّاط بن أبي هبيرة الليثي العصفري المعروف بشبّاب المتوفّى سنة ٢٤٠ هـ / رواية: موسى بن زكريا بن يحيى التستري لمحمّد بن أحمد بن محمّد الأزدي / تحقيق: د. سهيل زكّار / نشر: المكتبة التجاريّة ـ مكّة / أُفست عن دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٤ هـ.

١٣٩ ـ **طبقات الشعراء لابن سلّام: طبقات الشعراء.**

المؤلّف: محمّد بن سلّام الجمحي المتوفّى سنة ٢٣١ هـ / نشر: دار الكتب

العلميّة ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨ هـ.

١٤٠ ـ **طبقات الفقهاء للشيرازي: طبقات الفقهاء.**

المؤلّف: أبو إسحاق إبراهيم الشيرازي الشافعي المتوفّىٰ سنة ٤٧٦ هـ / نشر: مطبعة بغداد ـ بغداد / ١٣٥٦ هـ.

١٤١ ـ **الطبقات الكبرىٰ لابن سعد: الطبقات الكبرىٰ.**

المؤلّف: محمّد بن سعد بن منيع الزهري المتوفّىٰ سنة ٢٣٠ هـ / نشر: دار بيروت ـ بيروت / ١٤٠٥ هـ.

١٤٢ ـ **طبقات المفسّرين للداوودي: طبقات المفسّرين.**

المؤلّف: شمس الدين محمّد بن علي بن أحمد الداوودي المتوفّىٰ سنة ٩٤٥ هـ / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٣ هـ.

١٤٣ ـ **عبّاس محمود العقاد (قطرات من بحر أدبه).**

المؤلّف: كامل محمّد محمّد عويضة / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٤ هـ.

١٤٤ ـ **العبر: العبر في خبر من غبر.**

المؤلّف: أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨ هـ / تحقيق: صلاح الدين المنجد / نشر: الكويت / ١٩٦٠ م.

١٤٥ ـ **عبقرية الإمام علي.**

المؤلّف: عبّاس محمود العقّاد المتوفّىٰ سنة ١٩٦٤ م / نشر: دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ودار الكتاب المصري ـ القاهرة / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١١ هـ.

١٤٦ ـ العسجد المسبوك: العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك.
المؤلّف: إسماعيل بن العبّاس الغسّاني المتوفّىٰ سنة ٨٠٣ هـ / تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم / نشر: دار التراث الإسلامي ـ بيروت ودار البيان ـ بغداد / ١٣٩٥ هـ.

١٤٧ ـ العقد الثمين: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين.
المؤلّف: تقي الدين محمّد بن أحمد الحسني الفاسي المكّي المتوفّىٰ سنة ٨٣٢ هـ / تحقيق: محمّد عبد القادر أحمد عطا / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٩ هـ.

١٤٨ ـ العقد الفريد.
المؤلّف: أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي المتوفّىٰ سنة ٣٢٨ هـ / تحقيق: د. مفيد محمّد قميحة / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٧ هـ.

١٤٩ ـ العلل لأحمد: الجامع في العلل ومعرفة الرجال.
المؤلّف: أحمد بن محمّد بن حنبل المتوفّىٰ سنة ٢٤١ هـ / رواية: عبد الله بن أحمد بن محمّد بن حنبل والمروزي والميموني وصالح بن أحمد / اعتناء: محمّد حسام بيضون / نشر: مؤسّسة الكتب الثقافيّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٠ هـ.

١٥٠ ـ العواصم: العواصم من القواصم.
المؤلّف: أبو بكر محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري المتوفّىٰ سنة ٥٤٣ هـ / تحقيق: محبّ الدين الخطيب / نشر:

الرئاسة العامّة لإدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض / ١٤٠٤ هـ.

١٥١ ـ العوالم للبحراني: عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال.

المؤلّف: عبد الله بن نور الله البحراني الأصفهاني / تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٥ هـ.

١٥٢ ـ العين للفراهيدي: كتاب العين.

المؤلّف: أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفّى سنة ١٧٥هـ/ تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي / نشر: دار ومكتبة الهلال ـ بيروت.

١٥٣ ـ عيون الأخبار.

المؤلّف: أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفّى سنة ٢٧٦هـ / تحقيق: د. يوسف علي طويل / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت.

١٥٤ ـ عيون أخبار الرضا.

المؤلّف: أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق المتوفّى سنة ٣٨١ هـ / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ طهران / أُفست عن المطبعة الحيدريّة بالنجف / ١٣٩٠ هـ.

١٥٥ ـ الغدير: الغدير في الكتاب والسنّة والأدب.

المؤلّف: عبد الحسين أحمد الأميني النجفي المتوفّى سنة ١٣٩٢ هـ / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٤ هـ.

١٥٦ـ **غزوة خيبر.**

المؤلّف: قوام الدين الوشنوي القمّي / نشر: مطبعة الحكمة ـ قم / ١٣٩٨ هـ.

١٥٧ ـ **الفتوح لابن أعثم: الفتوح.**

المؤلّف: أبو محمّد أحمد بن أعثم الكوفي المتوفّى سنة ٣١٤ هـ / نشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة ـ الهند / الطبعة الأُولى ـ ١٣٩٠ هـ.

١٥٨ ـ **فصل الحاكم: فصل الحاكم في النزاع والتخاصم بين بني أُميّة وبني هاشم.**

المؤلّف: محمّد بن عقيل بن عبد الله بن محمّد العلوي المتوفّى سنة ١٣٥٠هـ/ نشر: دار الثقافة ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٢ هـ.

١٥٩ ـ **الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: الفصول المهمّة في معرفة أحوال الأئمّة.**

المؤلّف: علي بن محمّد بن أحمد المالكي المكّي المعروف بابن الصبّاغ المتوفّى سنة ٨٥٥ هـ / نشر: مكتبة دار الكتب التجاريّة ـ النجف الأشرف.

١٦٠ـ **فضائل الخمسة من الصحاح الستّة.**

المؤلّف: مرتضى الحسيني الفيروزآبادي / تحقيق: أبو الفضل علي الإسلامي / نشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢ هـ.

١٦١ ـ **فهرست ابن النديم: الفهرست.**

المؤلّف: أبو الفرج محمّد بن إسحاق بن محمّد بن إسحاق النديم الورّاق المتوفّى سنة ٤٣٨ هـ / نشر: دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٧هـ.

١٦٢ـ فهرست الطوسي: فهرست كتب الشيعة وأُصولهم وأسماء المصنِّفين وأصحاب الأُصول.

المؤلّف: أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة المتوفّى سنة ٤٦٠ هـ / تحقيق: عبد العزيز الطباطبائي / نشر: مكتبة المحقّق الطباطبائي ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٠ هـ.

١٦٣ـ فوات الوفيات: فوات الوفيات والدليل عليها.

المؤلّف: محمّد بن شاكر الكتبي المتوفّى سنة ٧٦٤هـ / د. إحسان عبّاس / نشر: دار صادر ـ بيروت.

١٦٤ـ القادسيّة.

المؤلّف: أحمد عادل كمال / نشر: دار النفائس ـ بيروت / الطبعة التاسعة ـ ١٤٠٩ هـ.

١٦٥ـ القاموس المحيط: القاموس المحيط.

المؤلّف: أبو طاهر مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفّى سنة ٨١٧ هـ / نشر: دار الجيل ـ بيروت.

١٦٦ـ الكاشف للذهبي: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستّة.

المؤلّف: أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّى سنة ٧٤٨ هـ / تحقيق: عزّة علي عيد عطيّة وموسى محمّد علي الموشي / نشر: دار الكتب الحديثة ـ القاهرة / الطبعة الأُولى ـ ١٣٩٢هـ

١٦٧ـ الكافي.

المؤلّف: أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي المتوفّى سنة ٣٢٩ هـ / تحقيق: محمّد الآخوندي / نشر: دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران / الطبعة الثالثة ـ ١٣٨٨ هـ.

١٦٨ـ كامل الزيارات.

المؤلّف: أبو القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه القمّي المتوفّى سنة ٣٦٨هـ/تحقيق ونشر: مؤسّسة نشر الفقاهة ـ قم /الطبعة الأُولى ـ ١٤١٧هـ

١٦٩ـ الكامل في التأريخ.

المؤلّف: أبو الحسن عزّ الدين علي بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفّى سنة ٦٣٠هـ/نشر: دار الفكر ـ بيروت /١٣٩٨هـ.

١٧٠ـ الكامل في اللغة والأدب.

المؤلّف: أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد المتوفّى سنة ٢٨٥هـ/ اعتناء: أحمد محمّد كنعان / نشر: دار الفكر العربي ـ بيروت /الطبعة الأُولى ـ ١٩٩٩م.

١٧١ـ الكامل لابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال.

المؤلّف: أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني المتوفّى سنة ٣٦٥هـ/ تحقيق: د. سهيل زكّار / نشر: دار الفكر ـ بيروت /الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٩هـ.

١٧٢ـ كتاب المعرفة والتاريخ.

المؤلّف: أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جُوّان البسوي المتوفّى سنة ٢٧٧هـ أو ٢٨٠هـ/ رواية: عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي / تحقيق: د. أكرم ضياء العمري / نشر: مكتبة الدار ـ المدينة المنوّرة / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٠هـ.

١٧٣ـ كشف الظنون: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.

المؤلّف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي المعروف بالملّا كاتب

الجلبي أو حاجي خليفة المتوفّى سنة ١٠٦٧ هـ / نشر: دار الفكر - بيروت / ١٤١٠ هـ.

١٧٤ - **كشف الغمّة: كشف الغمّة في معرفة الأئمّة.**

المؤلّف: أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي المتوفّى سنة ٦٩٣ هـ / نشر: دار الكتاب الإسلامي - بيروت.

١٧٥ - **كفاية الطالب: كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب.**

المؤلّف: أبو عبد الله محمّد بن يوسف بن محمّد القرشي الكنجي الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٨ هـ / تحقيق: محمّد هادي الأميني / نشر: دار إحياء تراث أهل البيت - طهران / الطبعة الثالثة - ١٤٠٤ هـ.

١٧٦ - **الكنى والألقاب.**

المؤلّف: عبّاس بن محمّد رضا بن أبي القاسم القمّي المتوفّى سنة ١٣٥٩هـ / نشر: مكتبة الصدر - طهران / الطبعة الخامسة - ١٣٦٨ هـ. ش.

١٧٧ - **كنز العمّال: كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال.**

المؤلّف: علاء الدين علي المتّقي بن حسام الدين الهندي البرهانفوري المتوفّى سنة ٩٧٥ هـ / ضبط وتفسير الغريب من الكتاب: بكري حيّاني / تصحيح وفهرسة: صفوة السقا / نشر: مؤسّسة الرسالة - بيروت / ١٤٠٩ هـ.

١٧٨ - **اللباب في تهذيب الأنساب.**

المؤلّف: أبو الحسن عزّ الدين علي بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفّى سنة ٦٣٠ هـ / نشر: دار صادر - بيروت / الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ.

١٧٩ ـ اللزوميّات: لزوم ما لا يلزم.
المؤلّف: أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمّد التنوخي المعرّي المتوفّىٰ سنة ٤٤٩ هـ / نشر: دار صادر ـ بيروت.

١٨٠ ـ لسان العرب.
المؤلّف: أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرّم بن علي بن أحمد الأنصاري الرويفعي المصري المعروف بابن منظور المتوفّىٰ سنة ٧٧١هـ / تصحيح: أمين محمّد عبد الوهاب ومحمّد الصادق العبيدي / نشر: دار إحياء التراث العربي ومؤسّسة التاريخ العربي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤١٩هـ.

١٨١ ـ لسان الميزان.
المؤلّف: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفّىٰ سنة ٨٥٢ هـ / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٦هـ.

١٨٢ ـ المجالس الحسينيّة.
المؤلّف: محمّد جواد مغنية المتوفّىٰ سنة ١٩٧٩ م / نشر: دار التيار الجديد ودار الجواد ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٤هـ.

١٨٣ ـ مجمع الأمثال.
المؤلّف: أبو الفضل أحمد بن محمّد بن إبراهيم النيسابوري الميداني المتوفّىٰ سنة ٥١٨ هـ / نشر: دار ومكتبة الحياة ـ بيروت / ١٩٦١ م.

١٨٤ ـ مجمع الزوائد: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.
المؤلّف: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفّىٰ سنة ٨٠٧ هـ / نشر:

دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٢ هـ.

١٨٥ ـ محاضرات في تاريخ الأُمم الإسلاميّة (الدولة الأُمويّة).

المؤلّف: محمّد الخضري بك المتوفّىٰ سنة ١٩٢٧ م / نشر: دار المعرفة ـ بيروت.

١٨٦ ـ المحتسب: المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها.

المؤلّف: أبو الفتح عثمان بن جنّي المتوفّىٰ سنة ٣٩٢ هـ / تحقيق: محمّد عبد القادر عطا / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٩هـ

١٨٧ ـ مختصر تاريخ دمشق.

المؤلّف: أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرّم بن علي بن أحمد الأنصاري الرويفعي المصري المعروف بابن منظور المتوفّىٰ سنة ٧١١هـ / تحقيق: روحيّة النحّاس ورياض عبد الحميد مراد ومحمّد مطيع الحافظ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٤ هـ.

١٨٨ ـ المخدّرات: المخدّرات إمبراطوريّة الشيطان.

المؤلّف: د. هاني عرموش / نشر: دار النفائس ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٣ هـ.

١٨٩ ـ مرآة الجنان: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان.

المؤلّف: أبو محمّد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكّي المتوفّىٰ سنة ٧٦٨ هـ / تحقيق: خليل المنصور / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٧ هـ.

١٩٠ ـ **مروج الذهب: مروج الذهب ومعادن الجوهر.**
المؤلّف: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفّى سنة ٣٤٦هـ / تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد / نشر: دار المعرفة ـ بيروت.

١٩١ ـ **المستدرك على الصحيحين.**
المؤلّف: أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفّى سنة ٤٠٥هـ / تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١١هـ.

١٩٢ ـ **مسند أحمد: المسند.**
المؤلّف: أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل المتوفّى سنة ٢٤١هـ / نشر: دار صادر ـ بيروت.

١٩٣ ـ **مشاهير علماء الأمصار.**
المؤلّف: أبو حاتم محمّد بن حبّان التميمي البستي المتوفّى سنة ٣٥٤هـ / تصحيح: م. فلايشهمر / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت.

١٩٤ ـ **المصباح المنير: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير.**
المؤلّف: أحمد بن محمّد بن علي المقري الفيّومي المتوفّى سنة ٧٧٠هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت.

١٩٥ ـ **مطالب السؤول: مطالب السؤول في مناقب آل الرسول.**
المؤلّف: كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٢هـ / تحقيق: ماجد أحمد العطيّة / نشر: مؤسّسة أُمّ القرى ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٠هـ.

١٩٦ ـ **المعارف.**

المؤلّف: أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفّىٰ سنة ٢٧٦هـ / تحقيق: ثروت عكاشة / نشر: مطبعة دار الكتب / ١٩٦٠ م.

١٩٧ ـ **معاهد التنصيص: معاهد التنصيص علىٰ شواهد التلخيص.**

المؤلّف: عبد الرحمان بن أحمد العبّاسي المتوفّىٰ سنة ٩٦٣ هـ / تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد / نشر: عالم الكتب ـ بيروت.

١٩٨ ـ **معجم الأُدباء.**

المؤلّف: أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي الحموي المتوفّىٰ سنة ٦٢٦ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٠هـ.

١٩٩ ـ **معجم البلدان.**

المؤلّف: أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي الحموي المتوفّىٰ سنة ٦٢٦ هـ / نشر: دار إحياء التراث العربي ومؤسّسة التاريخ العربي ـ بيروت / ١٩٩٦ م.

٢٠٠ ـ **المعجم الكبير للطبراني: المعجم الكبير.**

المؤلّف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفّىٰ سنة ٣٦٠هـ / تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي / نشر: مطبعة الزهراء الحديثة ـ الموصل / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٤هـ.

٢٠١ ـ **معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت.**

المؤلّف: عبد الجبّار الرفاعي / نشر: مؤسّسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٣٧١ هـ. ش.

٢٠٢ ـ **معجم المطبوعات لسركيس: معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة.**

المؤلّف: يوسف إليان سركيس المتوفّىٰ سنة ١٣٥١ هـ / نشر: مكتبة المرعشي النجفي ـ قم.

٢٠٣ ـ **معجم مقاييس اللغة.**

المؤلّف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي المتوفّىٰ سنة ٣٩٥ هـ / تحقيق: عبد السلام محمّد هارون / نشر: مركز النشر في مكتب الإعلام الإسلامي ـ إيران / ١٤٠٤ هـ.

٢٠٤ ـ **معجم المؤلّفين.**

المؤلّف: عمر رضا كحّالة / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٢٠٥ ـ **المغازي للواقدي: المغازي.**

المؤلّف: أبو عبد الله محمّد بن عمر بن واقد الواقدي المتوفّىٰ سنة ٢٠٧ هـ / تحقيق: د. مارسدن جونس / نشر: مركز النشر في مكتب الإعلام الإسلامي ـ إيران / ١٤١٤ هـ.

٢٠٦ ـ **مقاتل الطالبيين.**

المؤلّف: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمّد بن أحمد المرواني الأصفهاني المتوفّىٰ سنة ٣٥٦ هـ / نشر: مؤسّسة دار الكتاب ـ قم / الطبعة الثانية / أُفست عن المكتبة الحيدريّة بالنجف الأشرف / ١٣٨٥ هـ.

٢٠٧ ـ **مقتل الحسين لكاشف الغطاء: مقتل الحسين ﷺ.**

المؤلّف: محمّد حسين كاشف الغطاء المتوفّىٰ سنة ١٣٧٣ هـ / تحقيق: هادي الهلالي / نشر: مكتبة الشريف الرضي ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٩ هـ.

٢٠٨ ـ **الملحمة الحسينيّة.**

المؤلّف: مرتضى المطهّري / تعريب: محمّد صادق الحسيني / نشر: الدار الإسلاميّة ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٣ هـ.

٢٠٩ ـ **المناقب لابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب.**

المؤلّف: أبو جعفر رشيد الدين محمّد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني المتوفّى سنة ٥٨٨ هـ / تحقيق: هاشم الرسولي المحلّاتي / نشر: المطبعة العلميّة ـ قم.

٢١٠ ـ **المناقب لابن المغازلي: مناقب علي بن أبي طالب.**

المؤلّف: أبو الحسن علي بن محمّد بن محمّد الواسطي الجُلّابي الشافعي المعروف بابن المغازلي المتوفّى سنة ٤٨٣ هـ / تحقيق: محمّد باقر البهبودي / نشر: المكتبة الإسلاميّة ـ طهران / ١٤٠٣ هـ.

٢١١ ـ **مناقب علي لابن مردويه: مناقب علي بن أبي طالب وما نزل من القرآن في علي.**

المؤلّف: أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصفهاني المتوفّى سنة ٤١٠ هـ / جمع وترتيب وتقديم: عبد الرزّاق محمّد حسين حرز الدين / نشر: دار الحديث ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢ هـ.

٢١٢ ـ **المنتظم: المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك.**

المؤلّف: أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمّد بن علي المعروف بابن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧ هـ / تحقيق: محمّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا / مراجعة وتصحيح: نعيم زرزور / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٩ هـ.

٢١٣ ـ **منتهىٰ الآمال: منتهىٰ الآمال في تواريخ النبي والآل.**

المؤلّف: عبّاس بن محمّد رضا بن أبي القاسم القمّي المتوفّىٰ سنة ١٣٥٩هـ/ تعريب: هاشم الميلاني / تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الثالثة ـ ١٤١٩ هـ.

٢١٤ ـ **المنجد في الأعلام.**

المؤلّف: مجموعة من الباحثين / نشر: دار المشرق ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٩٩٦ م.

٢١٥ ـ **منحة المعبود: منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي.**

المؤلّف: أحمد بن عبد الرحمان بن محمّد البنّا المعروف بالساعاتي المتوفّىٰ بعد سنة ١٣٧١ هـ / نشر: مكتبة الفرقان ـ مصر / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٣ هـ.

٢١٦ ـ **المنهل الصافي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي.**

المؤلّف: أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأُتابكي المتوفّىٰ سنة ٨٧٤هـ / تحقيق: د. محمّد محمّد أمين / نشر: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ـ مصر / ١٩٨٥ م.

٢١٧ ـ **موسوعة طبقات الفقهاء.**

المؤلّف: لجنة علميّة في مؤسّسة الإمام الصادق بقم / إشراف: جعفر السبحاني / نشر: دار الأضواء ـ بيروت / ١٤٢٠ هـ.

٢١٨ ـ **موسوعة عالم المعرفة.**

المؤلّف: مجموعة من الاختصاصيين برئاسة: البروفسور ليونارد سيلي / دار نوبليس ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٩٩٦ م.

٢١٩ ـ **موسوعة العتبات المقدّسة .**

المؤلّف: جعفر الخليلي / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٧ هـ.

٢٢٠ ـ **موسوعة المورد .**

المؤلّف: منير البعلبكي / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٩٨٠ م .

٢٢١ ـ **ميزان الاعتدال: ميزان الاعتدال في نقد الرجال .**

المؤلّف: أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨ هـ / تحقيق: علي محمّد البجّاوي / نشر: دار المعرفة ـ بيروت .

٢٢٢ ـ **النزاع والتخاصم: النزاع والتخاصم فيما بين بني أُميّة وبني هاشم .**

المؤلّف: أبو العبّاس تقي الدين أحمد بن علي بن علي بن عبد القادر الحسيني العُبيدي المصري المعروف بابن المقريزي المتوفّىٰ سنة ٨٤٥هـ / تحقيق: د. حسين مؤنس / نشر: مكتبة الشريف الرضي ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٢ هـ.

٢٢٣ ـ **نزهة الألباب: نزهة الألباب في الألقاب .**

المؤلّف: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمّد المعروف بابن حجر العسقلاني المتوفّىٰ سنة ٨٥٢ هـ / تحقيق: عبد العزيز محمّد صالح السديدي / نشر: مكتبة الرشد ـ الرياض / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٩ هـ.

٢٢٤ ـ **نزهة المشتاق: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق .**

المؤلّف: أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن عبد الله بن إدريس الحمّودي

الحسيني المعروف بالشريف الإدريسي من أعلام القرن السادس الهجري / تحقيق: مجموعة من الباحثين الأجانب / نشر: مكتبة الثقافة الدينيّة ـ القاهرة .

٢٢٥ ـ **نسمة السحر: نسمة السحر بذكر من تشيّع وشعر .**

المؤلّف: ضياء الدين يوسف بن يحيىٰ الحسيني اليمني الصنعاني المتوفّىٰ سنة ١١٢١ هـ / تحقيق: كامل سلمان الجبوري / نشر: دار المؤرّخ العربي ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٢٠ هـ.

٢٢٦ ـ **النصائح الكافية: النصائح الكافية لمن يتولّىٰ معاوية .**

المؤلّف: محمّد بن عقيل بن عبد الله بن عمر العلوي المتوفّىٰ سنة ١٣٥٠ هـ / نشر: دار الثقافة ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٢ هـ.

٢٢٧ ـ **نهضة الحسين .**

المؤلّف: هبة الدين الحسيني الشهرستاني / نشر: مكتبة الشريف الرضي ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٣٦٣ هـ. ش .

٢٢٨ ـ **نور الأبصار: نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ﷺ .**

المؤلّف: مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي المصري من أعلام القرن الثالث عشر الهجري / نشر: دار الجيل ـ بيروت / ١٤٠٩ هـ.

٢٢٩ ـ **هديّة العارفين .**

المؤلّف: إسماعيل بن محمّد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي المتوفّىٰ سنة ١٣٣٩ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٠ هـ.

٢٣٠ ـ **الوافي .**

المؤلّف: محمّد محسن الفيض الكاشاني المتوفّىٰ سنة ١٠٩١ هـ / نشر:

مكتبة أمير المؤمنين العامّة ـ أصفهان / الطبعة الثانية ـ ١٤١٢ هـ.

٢٣١ ـ **الوافي بالوفيات**.

المؤلّف: صلاح الدين خليل بن إيبك الصفدي المتوفّىٰ سنة ٧٦٤ هـ / باعتناء: هلموت ريتر / نشر: دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن / ١٣٨١ هـ.

٢٣٢ ـ **وجيز الكلام: وجيز الكلام في الذيل علىٰ دول الإسلام**.

المؤلّف: شمس الدين محمّد بن عبد الرحمان السخاوي المتوفّىٰ سنة ٩٠٢ هـ / تحقيق: د. بشّار عوّاد معروف وعصام فارس الحرستاني و د. أحمد الخطيمي / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٦ هـ.

٢٣٣ ـ **الوزراء والكتّاب**.

المؤلّف: أبو عبد الله محمّد بن عبدوس الجهشياري المتوفّىٰ سنة ٣٣١ هـ / تحقيق: مصطفىٰ السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي / نشر: شركة ومكتبة ومطبعة البابي الحلبي ـ مصر / الطبعة الثانية ـ ١٤٠١ هـ.

٢٣٤ ـ **وفيات الأعيان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**.

المؤلّف: أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلّكان المتوفّىٰ سنة ٦٨١ هـ / تحقيق: د. إحسان عبّاس / نشر: مكتبة الشريف الرضي ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٣٦٤ هـ. ش.

٢٣٥ ـ **ينابيع المودّة**.

المؤلّف: سليمان بن إبراهيم بن محمّد بن ترسون الحسيني البلخي القندوزي المتوفّىٰ سنة ١٢٩٤ هـ / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت.

فهرس المواضيع